

دروس الصباح والمساء

في إعداد

الواعظين والخطباء

تأليف

أ/ شعبان أحمد صالح

2257882

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله نبي الرحمة ورسول الأمة والذى بين لهم طريق الحق ليتبعوه، وحدد لهم طريق الباطل ليجتنبوه، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه وسلك طريقه واتبع سنته إلى يوم الدين.

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى سيدنا محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

وبعد..

فهذا كتاب فى الوعظ والخطابة جعله الله تعالى عوناً لكل داعى إلى الله ودينه الحنيف، ويكون بإذنه تعالى سراجاً يضيء للواعظين طريقهم إلى قلوب العباد؛ حيث فيه معظم أمور الدين وكيفية الدعوة إلى الله وإرشاد الناس إلى الطريق القويم فى ظل كتاب الله عز وجل وسنة النبی الكريم سيدنا محمد ﷺ.

والواعظ لابد أن يبدأ بنفسه أولاً ويتعلم، ويكون صادقاً مع الله ومع نفسه؛ وحيث انتهى الإنسان من تعليم نفسه وضبط النفس الإيماني الذى فيه يبدأ بعد ذلك بتكميل الناقصين قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

فاقرأ أخى المسلم هذا الكتاب وتعلم وزد علمك حتى تصل كلمة وعظك إلى قلوب الناس، وتؤثر فيهم بقوة إيمانك وحسن كلامك وفيض ما تعلمته، يجعله الله في ميزان حسناتك، ونسأل الله العفو والعافية وأسأله العلى القدير أن ينفعنا جميعا بما جاء فى هذا الكتاب إن ربى لسميع الدعاء وقريب مجيب وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم...

الفقير إلى الله

سبحان (أحمد صالح)

معنى الدعوة

أرسل الله جل شأنه وعزت قدرته رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة وهو المثل الأعلى في مكارم الأخلاق وجلال الأعمال، وكانت حياته ﷺ عامرة بالخير والهدى، وبالأخلاق الحميدة التي كانت في كل مظهر من مظاهر حياته مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وتحقيقا لقوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ» (رواه ابن ماجه) وقوله: «أَدْبَنِي رَبِّي فَأَحْسِنَ تَأْدِيبِي» (رواه العسكرى وهو ضعيف ولكنه صحيح المعنى).

وزاد عدد المسلمين من طريقته ﷺ اللينة الحميدة المهذبة الرحيمة في دعوة المسلمين، وأخذوا يتكاثرون، ولم يترك النبي ﷺ وسيلة من وسائل نشر الدعوة إلا سلكها، وأمر أصحابه رضى الله عنهم بالتأسي به والسير على نهجه.

وكانت دعوته غير تبليغ القرآن واردة من طريق الخطابة في المجالس والأسواق وهجرة أصحابه في سبيل الله وإعلاء كلمته وإرسال كتبه ورساله إلى الملوك والأمراء، بل كانت حياته عليه الصلاة والسلام يومئذ في ذاتها دعوة قوية إلى دين الله وأساسا لهداية الناس إليه، ذلك بأنهم رضوان الله عليهم فهموا سنة الرسول ﷺ وتأثروا بها وفهموا غايتها الشريفة، فتحملوا الأمانة بجدارة وأدوها حق التأدية فكانوا في رسالتهم العلمية مثل رسالتهم العملية في تأدية الواجب على أكمل وجه، فكانوا قدوة صالحة وأسوة حسنة وأئمة يهدون بأمر الله إلى دين الله.

والدعوة إلى الله حياة الأديان وما قام دين من الأديان، ولا أنتشر مذهب من المذاهب ولا ثبت مبدأ من المبادئ إلا بالدعوة.

وللدعوة إلى الله عز وجل مراتب: أولها: دعوة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ودعوتهم راجحة على دعوة غيرهم من أربعة

وجوه:

1 - أنهم جمعوا بين الدعوة بالحجة أولاً والدعوة بالسيف ثانياً لحماية لها ودفاعاً عن الحق وأهله، لا قهراً للناس على الدخول في الدين ولا إرغاماً لهم فما شرع الجهاد إلا لحماية الدعوة ومنع الاعتداء على المسلمين وتأمينهم على دينهم.

2 - أنهم هم المبتدئون بهذه الدعوة، والعلماء إنهم يبنون دعوتهم على دعوة الأنبياء والسابق بنشر الأمر الشريف أفضل.

3 - أن نفوسهم أقوى قوة، وأرواحهم أصفى جوهرًا فكانت تأثيراتها في إحياء القلوب الميتة قوية وكاملة.

4 - أن نفوس الأنبياء حصل لها صفتان: الكمال في الذات والتكميل للغير فكانت قوتهم على الدعوة إلى الله تعالى أقوى، وكانت درجاتهم أفضل.

والمرتبة الثانية والثالثة: دعوة العلماء والملوك بطريق الخلافة عن أنبياء الله تعالى، وذلك أن للأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين صنفين:

العلم والقدرة، والعلماء نواب الأنبياء في العلم، والملوك العادلون نواب الأنبياء في القدرة، العلم له الأرواح والقدرة لها الأجساد فالعلماء خلفاء الأنبياء في عالم الأرواح والملوك خلفاء الأنبياء في عالم الأجساد، والعلماء خلفاء الله في أرضه وخلفاء رسوله ﷺ، وخلفاء كتابه في تبليغ شرائعه وفي بيان هديه وسنته وعقائده وأحكامه وأخلاقه الكريمة وعظاته البالغة.

ولاشك أن مقصود الدعوة إلى الله تعالى نشر الهداية الإسلامية بتصحيح العقائد واستقامة الأعمال ومقاومة الإلحاد ودفع الشبهات عن الدين، ولكي نصل إلى هذا الهدف السامي نتبع الخطوات الآتية:

1- بث الدعوة إلى الإسلام بقدر الطاقة.

2- انتشار المرشدين والواعظين الناصحين بين المسلمين في القرى والمدن.

3- نشر كتب دينية تشتمل على أصول الإسلام وفروعه وآدابه وأسرار التشريع فيه.

4- إلقاء الندوات والمحاضرات والخطب الدينية في الأندية، والمجتمعات العامة والمساجد ودور المناسبات.

5- إنشاء صحف ومجلات تعنى بالشئون الإسلامية.

6- العمل على إصلاح منهج الخطب ودروس الوعظ والإرشاد في المساجد.

7- السعى لدى حكومات البلاد الإسلامية ومدارسها لأجل العناية بالتعليم الديني والتربية الإسلامية.

وللدعوة أنواع ثلاث الأول: دعوة الأمة المحمدية باقى الأمم الأخرى إلى الإسلام وأن يشاركوهم فيما هم عليه من الهدى ودين الحق، والنوع الثانى: هو دعوة المسلمين بعضهم إلى بعض إلى الخير، وتأمروهم فيما بينهم بالمعروف وتناهيهم عن المنكر، والنوع الثالث: ما يكون بين الأفراد بعضهم مع بعض، ويستوى فى ذلك الخاصة والعامة بالدلالة على الخير والترغيب فيه، والنهى عن المنكر والشر والتحذير منهما، فإذا رأى أحد المسلمين أخاه على منكر هو يعلمه تصدى لنصحه وإرشاده وتوضيح ما يقوله الدين الحنيف فى هذه الواقعة، ويكون ذلك بالرفق واللين لا بالقوة والترهيب والغضب عليه بل بالرحمة وحسن المعاملة والقول الطيب معه.

الحاجة إلى الدعوة

خلق الله تبارك وتعالى الإنسان في أحسن تقويم، وركبه في أحسن صورة وكرمه وعظمه على كثير من خلقه بالفكر والعقل حتى يميز به الحسن من القبيح والحق والباطل ولكن العقل البشري وحده لا يستقل بإدراك المصالح الدنيوية فضلا عن الأخروية، ولا يهتدى وحده إلى تمييز الخير من الشر والمعروف من المنكر، وليس من غرائز العقل الوقوف على حقائق الأمور فإنه وإن وصل إلى الغاية القصوى من الإدراك قد يميل العقل عن الحق إلى الباطل، وعن الصلاح إلى الفساد ويخفى عليه وجه المصلحة، ولما كانت العقول هكذا اشتدت حاجة أصحابها إلى الهداة المصلحين والواعظين الناصحين يعلمونهم ما شاء الله أن يصلح به معاشهم ومعادهم، ويدعونهم إلى ما فيه الخير والسعادة، ويحذرونهم من السقوط في مهاوى الشرور، ويحررون العقول من رق الأهواء والشهوات، ويطهرون النفوس من أدران النقائص والردائل وما فيه المسلمون اليوم من سوء الحال إثر تفريط عظيم في طاعة الله ورسوله بعد ما عظم التساهل والتواكل في أمر الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكثر التهاون وإهمال التناصح ورد ما يتنازع فيه المسلمون إلى كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، حتى خوت القلوب من الحياء واحترام الدين، فلم يبق له سلطان على النفوس، بل صار كل إنسان أسير شهوته وهواه.

وذلك أوجب أن تقوم طائفة من المسلمين بوظيفة الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حفظا للشرعية من أن يتجاوز حدودها المعتدون، وصونا لأحكامها من أن يتعالى ذوو الشهوات قال تعالى: {قُلُوا لَا نَفَرٍ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}.

أوجب الله عز وجل على كل جماعة كثيرة من المسلمين كأهل بلدة عظيمة أن تقوم منهم جماعة قليلة ليتعلموا الدين ويجعلوا غاية سعيهم

ومرمى غرضهم من العلم إرشاد قومهم، وإسداء النصيحة لهم، وقال تعالى: **{وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}** أى لا تدع التذكير والموعظة فإنها تؤثر في الذين قدر الله تعالى إيمانهم، أو الذين آمنوا بالفعل فإنها تزيدهم بصيرة في الدين وقوة اليقين ولقد شدد بالإنكار على قوم أغفلوا هذه الفريضة وأهل الدين والعلم أهملوها فقال سبحانه وتعالى: **{لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فَعْلُوهُ لِبُئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}** فقذف الله عليهم اللعنة ومقته وغضبه على قوم أغفلوا هذه، وكان سبب ذلك اللعن الذى طال أمده عصيانهم لله تعالى، واعتداءهم المستمر، وقد بين عز وجل ذلك العصيان، وسبب استمرارهم على الخروج عن حدود الله بأنهم كانوا لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر ما من المنكرات مهما اشتد قبحه.

والنهي عن المنكر حفاظ الدين وسياس الآداب والكمالات فإذا أهمل تجرأ الفساق على إظهار الفسوق والفجور بلا مبالاة، وحتى صار العامة يرون المنكرات بأعينهم ويسمعونها بأذانهم تزول عنهم وحشتها وقبحها من نفوسهم، ثم يتجرأ الكثيرون على ارتكابها - ذلك كان شأن القوم وصفتهم التى اعتادوها وأصروا عليها وذكرها الله للمؤمنين عبرة، ولا يفعلوا فعلهم فيكونوا مثلهم ويحل بهم ما حل لهم (السابقين) من لعنة الله وغضبه.

وروى أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وغيرهم من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِنْ أَوَّلَ مَنْ دَخَلَ النَّقْصَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ كَانَ الرَّجُلُ يُلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِّ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بَبَعْضٍ»**، ثم قال: **{لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا}** إلى قوله تعالى: **{فَاسْقُونِ}** ثم قال عليه الصلاة والسلام: **«كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**

ثم لتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا، ولتقصرنه على الحق قصرا - أو ليضرب الله على قلوب بعضكم ببعض ثم يلعنكم كما يلعنهم» ومعنى لتأطرنه: بكسر الطاء وضم الراء، أى لتردنه وبابه ضرب والأصل الأطر العطف، ومعنى ولتقصرنه: بضم الصاد والراء أى تمنعنه من مجاوزته وبابه نصر وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» (رواه مسلم) وفرق الرسول عليه الصلاة والسلام بين تغيير المنكر وبين النهى عنه حيث إن النهى عن الشيء يكون قبل فعله، وإلا كان رفعا للواقع، فإذا علمت إنسانا يغش اللبن، أو يغش الناس فى بيع مثلا، وجب عليك تغيير ذلك ومنعه منه بالفعل إن استطعت، والإستطاعة هنا شرط بالنص فإن لم تقدر على ذلك وجب عليك التغيير باللسان، وهو غير قاصر على نهى الغاش ووعظه بل يدخل فيه رفع أمره إلى الحاكم الذى هو أقدر منه.

أما التغيير بالقلب فهو عبارة عن مقت الفاعل للمنكر وعدم الرضا عنه وعن فعله، بل ومقاطعته وترك مجالسته ومعاملته، وإقراءه السلام والرد عليه ويدل على ذلك ما فعله النبى ﷺ وأصحابه مع الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك بغير عذر وهم: كعب بن مالك، مرارة بن الربيع، وهلال بن أمية ومعنى كون ذلك أضعف الإيمان أنه أقل آثاره وثمراته فى النفع؛ لأن مجرد كراهته له بقلبه لا يحصل بها المراد وهو تغيير المنكر المطلوب تغييره، ونرى ما سبق يوجب الدعوة والالتزام بها، فلا بد من وجود جماعات تدعوا إلى الله بالحسنى وتدعوا إلى تغيير المنكر، على نهج رسول الله ﷺ حتى يصل إلى الناس كل صغيرة وكبيرة فى الدين.

الرسل ودعوتهم إلى الدين

عندما ننظر فيما قصة الله جل شأنه في كتابه الحكيم على رسوله الصادق الأمين ﷺ من أنباء الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، نرى أنهم قد اتفقوا على دعوة أقوامهم إلى توحيد الألوهية وإخلاص العبادة لله تبارك وتعالى، والإيمان باليوم الآخر وما فيه من البعث والجزاء على الأعمال، والإيمان بالرسول من غير تفريق بينهم، والترغيب في طاعة الله عز وجل، والترهيب من مخالفته وعصيانته، والحث على التحلي بالأخلاق الحسنة، والتحذير من الأخلاق والصفات السيئة، كما نرى أيضا أن جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام كانوا يعالجون الأمراض الاجتماعية المنتشرة في أممهم فنرى نوحا وهودا وصالحا وإبراهيم عليهم السلام يهتمون كثيرا بالتوحيد والقضاء على الشرك بشتى الوسائل؛ لأن الوثنية كانت متسلطة على عقولهم، ونرى لوط عليه السلام كان همه في القضاء على فاحشة "اللوطة" ونرى شعيبا عليه السلام بعد دعوة قومه إلى التوحيد ينهاهم عن نقص الكيل والوزن ونرى موسى عليه السلام يعمل على إنجاء بني إسرائيل من فرعون وآله الطغاة الظالمين، كل هذا قام به الرسل مع الصبر واحتمال الأذى في سبيل إقامة الدين، ومن ذلك نعلم أن الداعي إلى الله ينبغي له أن يوجه همته إلى تغيير المنكر والمفاسد الفاشية في قومه، ويبدأ بأشدها وأخطرها وأكبرها ضررا.

هدى النبي ﷺ في نشر الدعوة:

كان ﷺ يدعو إلى دين الله عز وجل على أساس أربعة أصول نعرضها فيما يلي:

الأول: الحجج البالغة:

فكانت دعوته عليه الصلاة والسلام تقوم على الآية البينة والحجج المحكمة؛ حيث أعتمد في تبليغها ونشرها على ما يتقبله العقل ويألفه الذوق ويشعر به الوجدان ولا تقف دونه البديهة ولا تنكره الحقيقة - ولذا لم يعتمد

الرسول ﷺ على الخوارق بل كان يوجه العقل إلى الحقائق، ويهيب به إلى التأمل في الكون وما حوى من خلائقه ومظاهر الإبداع والإتقان، وكل أية فيه تنطق بلسان حالها أن الله عز وجل واحد لا شريك له: موجود قبل كل شيء كامل الوجود هو الله، ومن كان كذلك فهو واهب الوجود لكل موجود يدعوهم إلى النظر في الكائنات ليصلوا من طريق التأمل الصادق والنظر الصحيح والبرهان القاطع إلى أن خالق هذه الأكوان على هذا الإتقان ومدبرها على هذا النظام البديع، لا بد أنه تعالى قوى قادر عليم حكيم، لا يعجزه شيء، ولا يعزب عن علمه مقدار ذرة في الأرض ولا في السماء ومنزه عن مشابهة المخلوقين وغنى عن العالمين، فلا صاحبة له ولا ولد ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ بِكَوْنُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وبهذا الأسلوب الجميل المقنع الذى اتبعه رسول الله ﷺ آمن على يده الكثير من الناس وإيمان على بينة، وأشربوا في قلوبهم عقيدة التوحيد الخالص عن عقل وروية، وهذه هي طريقة القرآن الكريم الحكيم فقد جعل العقل حكيماً، والبرهان أساس العلم وعاب التقليد وذم المقلدين وأنب من يتبع الظن وقال: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ وعاب أيضاً القرآن الكريم تقديس ما كان عليه الآباء. وكان رسول الله ﷺ يدعو إلى الله بهذه الطريقة الواضحة وجدير بها أن تكون مسلكه في الدعوة وجدير به أن يكون سبيله الدعوة إلى الله جل شأنه على هدى وبصيرة فجاءت الآية الكريمة يقول فيها الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ هذه طريقة القرآن وسبيله القويم الحكيم التى أرشد إليها النبي الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه في الدعوة إلى الله جل وعلا، وسار فيها علماء السلف الصالح من بعده رضوان الله عليهم أجمعين، فقد أمر الله تعالى بالنظر في الكون وما فيه من آيات وتأمل فيما فيه من دقائق الصنع وبدائع الإحكام والإتقان، للوصول إلى هذا الغرض الأسمى في آيات كثيرة من كتابه

العزیز فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾.

وقال عز وجل في التوحيد وإنكار الشرك: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ * وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ * إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ * إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ * وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾.

ثم قال عز وجل في تقرير عقيدة البعث: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * لَبِيبٌ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ * إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

قال الحسن البصري رضى الله: جاء أمية بن خلف بعظم نخر قد

صار رميما ففركه حتى صار كرماد ثم قال: يا محمد أنت تزعم أنا وآباءنا نعود إذا صرنا هكذا ؟ لقد قلت قولا عظيما ما سمعناه من غيرك، من يحيى العظام وهى رميم ؟.

فقال ﷺ : «يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون، أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم، إنما أمه إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ وإليه ترجعون» فأنصرف مبهورا.

وعلى ما رأينا نجد أن الله تبارك وتعالى أحكم ما شرعه بأوضح دليل، وأبين تعليل، وعلم رسوله ما يسلكه فى هداية الناس إلى الصراط المستقيم.

الثانى: المبادئ الحكيمة:

هناك نفوس تتأثر بالحق والفضيلة ، وينعكس ذلك على تصرفات أصحابها، وهناك أصحاب نفوس قدرة ترى الحق باطلا والفضيلة رذيلة فهم يتعذر إقناعهم ويستعصى على الدعاة الناصحين علاجهم لأنهم لا يميلون إلى الرشد والهدى بل يألفون الغى والضلال، أما رسول الله ﷺ رسول السلام لم ييأس من إصلاحهم، وكان يعالجهم وغيرهم بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة النافذة فى الأسلوب الذى يجعلها مألوفة لعقولهم خفيفة على قلوبهم، فيدعو بالبرهان القوى والحجة القاطعة طلاب الحقائق وهم أصحاب النفوس القوية، ويدعو عليه الصلاة والسلام المعاندين المجادلين بالباطل كان يدعوهم بأحسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين تطبيقا لقوله تعالى إليه: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}.

ومن أساليبه عليه الصلاة والسلام فى الدعوة والمبادئ التى سار عليها:

أنه كان يسئل عن الشيء الخاص فيجيب بما يتناوله وغيره حتى يكون ما أجاب به قاعدة عامة للسائل وغيره كقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الإسلام يجب ما قبله» في جواب من قال له: «استغفر لى» وهو رجل من بنى محارب كان يؤذى رسول الله أيام كان يعرض نفسه على القبائل فأجابه بما يفيد عدم المؤاخذه عن كل من اعتنق الإسلام أيا كانت سيئاته التى أسلفها قبله، وقد كان يكفيه فى الجواب أنه يقول له: «غفرت لك» أى جواب خاص يخص موقفه معه فقط.

وأيضا من مبادئ وأساليبه صلوات الله وسلامه عليه: الإيجاز فى الحديث إذا اقتضى الحال ذلك كما كان الحال فى رسائله إلى الملوك والأمراء، والأطناب عند مقتضى الحال كما فى خطبه فى الحث على الالتزام بالأحكام أو التحريض على القتال، وتوجيه النفوس إلى التجميل بالفضائل.

ومن أسلوبه ﷺ إعطاء الوسائل صورة ما تفضى إليه، كما فى قوله عليه الصلاة والسلام: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» (رواه مسلم) فقد صور للسامع الدلالة على فعل الخير فى صورة الفعل نفسه؛ لأنهما فى الأجر سواء، وكقوله عليه الصلاة والسلام: «من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه»، قيل: يا رسول الله، كيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه» (رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو) فقد أعطى عليه الصلاة والسلام من يسب أبا الغير وأمه صورة من يسب والديه لأنه تسبب فى سبهما.

ومن أساليبه عليه الصلاة والسلام ضرب الأمثال التى تهدى إلى الحقيقة حيث إن للتمثيل أثرا كبيرا فى إظهار الحقائق الخفية وتقريب المعانى البعيدة كقوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» (متفق عليه من حديث أبى موسى الأشعرى).

وكقوله عليه الصلاة والسلام: «ترى المؤمنين فى توادهم

وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (رواه البخارى من حديث النعمان بن بشير).

فقد مثل المؤمنين في تبادل المودة والرحمة والعطف بالجسد في روابطه العضوية إذا مرض أو اعتل عضو اعتلت ومرضت باقي الأعضاء، وهكذا يكون المؤمنون الكاملون، فهو يرشدنا بهذا الأسلوب الحكيم إلى ما يجب أن يكون عليه حال المؤمنين من الاتحاد والوئام حتى يكونوا يدا واحدة على مر العصور ويشتد بذلك ساعدتهم وقوتهم.

الثالث: الآداب الراقية:

لابد للدعوة شيء من الآداب الراقية وحسن التصرف وكذلك حسن الخلق، إذ لا يكفي في الدعوة أن يطرق الداعي بها الأندية والمجتمعات أو يعرضها على الأفراد في أوقات مختلفة دون أن يكسوها من جمال الأدب ما يجعلها حسنة السمات بعيدة الأثر في نفوس السامعين، فكم من خطيب فصيح يغشى المجالس ويزاحم الدعاة الناصحين في الدعوة إلى الحق فلا يكون نصيبه إلا إعراض الناس عن دعوته فعلى كل داعي إلى الحق والفضيلة أن يراعى ذلك ويحلى أسلوبه بجمال الآداب وحسن التصرف، فكان رسول الله ﷺ قدوة حسنة، وشخصية ممتازة بكل صفات الأدب والكمال التي تكون في الدعاة إلى الخير والفضيلة، قال عليه الصلاة والسلام: «أدبني ربي فأحسن تأديني» (متفق عليه) وأثنى الله تعالى عليه في قوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} ومن أمثلة ما يظهر أدبه في أقواله وفي أعماله ما يلي:

1 - كان عليه الصلاة والسلام رفيق حليم وذى ثبات وصبر فكثيراً لحقه أذى من سفهاء المشركين فيتلقاه بالصبر الجميل امتثالاً لقول ربه عز وجل: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ} وكان يرمى عليه الصلاة والسلام بكلمات غليظة خبيثة فيقابلها بالصفح والابتسام، وهو الذى لا عتاب بعده، ثم بعد ذلك يعرض عليهم دعوته فى

لين من القول، معرضاً عن جهل الجاهلين.

2 - كان عليه الصلاة والسلام يتواضع في حديثه مع المدعوين إلى حد أنه كان يتقدم إليهم بأجمل عبارات اللين والحب والمجاملة كقوله ﷺ: «إنما أنا لكم مثل الوالد لولده أعلمكم» (رواه ابن ماجه).

3 - أنه كان عليه الصلاة والسلام لا يواجه أحداً بعينه عندما يريد أن يؤدبه أو يعرفه خطئه أو يزجره مادام يجد في الموعظة العامة كفاية وهذا من الأدب الراقى ومنتهى الحكمة، وهناك الكثير من الأمثلة العالية الرفيعة في أدبه ﷺ الذي كان من أكبر أسباب نجاح دعوته صلوات الله وسلامه عليه.

رابعاً: سياسته ﷺ:

كانت سياسته عليه الصلاة والسلام حكيمة جداً، وهي ذات أثر عظيم في نجاح دعوته ويتضح ذلك في بعض الأمثلة الآتية من سياسته:

1 - كان دائماً عليه الصلاة والسلام يتخير وقت الموعظة وقت الحاجة والفراغ والنشاط إلى استماعها حتى لا يجعل الوعظ على الناس ثقيلًا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «كان النبي ﷺ يتخولنا (أو قال يتحيننا) بالموعظة كراهة السامة علينا» (متفق عليه).

2 - أنه ﷺ كان يفعل الشيء في بعض الأحيان مسaire لمن يعلم أنه يريد فعله كاتخاذ خاتماً من فضة نقشه (محمد رسول الله) لتوقيع رسائله إلى بعض الملوك والأمراء حينما أراد أن يدعوهم إلى الإسلام، وقيل له أنهم لا يقرؤون إلا كتاباً مختوماً، وهذا فيما يرجع إلى العادات، ولم يكن فعله جناح يستدعى تركه.

3 - تأليفه القلوب بالمال فكان يؤثر بعض حديثي العهد بالإسلام بجانب من المال، للاحتفاظ على الهداية بالإسلام ولهذا ظهر له أن الإيمان لم يرسخ في قلوبهم رسوخاً لا تزلزله الفتن، وإلى أمثال هؤلاء أشار عليه الصلاة والسلام بقوله: «يا سعد إنى أعطى الرجل وغيره أحب إلى منه

خشية أن يكبه الله في النار» (أخرجه البخارى) أما ما كان يعطيه بعض أشراف قريش قبل الدخول في الإسلام فليس لنشر الدعوة؛ لأنها - كما نعلم - تعتمد قبل كل شيء على البرهان والحجة، وإنما كان إعطاؤهم لتلافى أحقادهم؛ لأن الهدايا تذهب بالأحقاد، وتجمع القلوب إلى القلوب وغايتها أنها تجعل النفوس متهيئة للنظر في الدعوة، وهذا النوع هم المؤلفة قلوبهم، وهم ممن شرع الله لهم إعطاء الزكاة قال تعالى: **{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ}**.

4 - تألفه ﷺ بالجاه ولطف الكلام، حيث من على رجال من قريش بكثير من المال في موقفه مع الأنصار، فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: جمع رسول الله ﷺ الأنصار فقال: **«أفيكم أحد من غيركم؟»** فقالوا: لا إلا ابن أخت لنا، فقال رسول الله ﷺ: **«إن ابن أخت القوم منهم»**.

فقال: **«إن قريشا حديثو عهد بجاهلية ومصيبة، وإنى أردت أن أخبرهم، وأتألفهم، أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله إلى بيوتكم؟ لو سلك الناس واديا وسلك الأنصار شعبا لسلك شعب الأنصار»** (متفق عليه).

5 - تألفه عليه الصلاة والسلام بالعفو في موضع الانتقام، والإحسان في مكان الإساءة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: بعث النبي ﷺ خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له: ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: **«ما عندك يا ثمامة؟»** فقال: عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكرك، وإن تريد المال فسل منه ما شئت، فتركه حتى كان الغد قال له: **«ما عندك يا ثمامة؟»** قال: عندي ما قلت لك. فقال: **«أطلقوا ثمامة»** فانطلق إلى محل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، يا محمد: والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلى من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلی، والله ما كان أبغض إلى من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلی، والله

ما كان أبغض إلى من بلدك فأصبح بلدكم أحب البلاد إلى) (متفق عليه).

7 - لينه عليه الصلاة والسلام في موضع الشدة فكان يقابل من يخالفه بالتسامح ويجزى الجاحد بالمزيد فيحصل التآلف وفي حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال: لما حاصر رسول الله ﷺ الطائف فلم ينل منهم قال: «إنا قافلون إن شاء الله»، فقتل عليهم وقالوا: نذهب ولا نفتحه وقالوا مرة: نقفل قال: «أعدوا على القتال» فأصابهم جراح فقال: «إنا قافلون غدا إن شاء الله»، فأعجبهم فضحك النبي ﷺ (متفق عليه).

وأیضا ما وقع في غزوة أحد من مخالفة الرماة لأمر الرسول بالألا يبرحوا مكانهم، ثم برحوا المكان الذى أوصاهم بالبقاء فيه وكان ذلك سببا في هزيمة المسلمين، ورغم ذلك لم يغلظ عليهم النبي ﷺ بل قابلهم باللين والرفق فعفا عنهم ولم يقابلهم بالشدة والعنف، فأثنى الله عليه لذلك بقوله عز وجل: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}.

وبمثل هذه المعاملة الطيبة الحسنة التف حوله قلوب أصحابه فتفانوا في محبته عليه الصلاة والسلام والدفاع عن دعوته ومناصرتة.

8 - تألفه صلوات الله وسلامه عليه بالصبر على الأذى واحتمال الضرر من أعدائه حتى كان فيه المثل الأعلى للدعاة إلى الخير، فرغم الأذى الذى لحق به لم يجزع بل كان شجاعا حكيما، وصبورا كريما، فكم ناله من أذى وكيد المنافقين ؟ فما لج بالشكوى بل كان صابرا مع تفويض أمره إلى الله تعالى، حتى جعل له من أمره فرجا وصار يمهد لأصحابه سبيل المهاجرة حتى أذن له فيها فهاجر وقيض الله له من الأنصار المخلصين من استعان به على نشر دعوته وإقامة دينه.

9 - ومن سياسته الحكيمة صلوات الله وسلامه عليه حسن معاملته لأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، فكان أوسع الناس صدرا وأصدقهم

لهجة وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، يؤلف الناس ولا ينفهم ويكرم كريم القوم ويؤليه عليهم، ويتفقد أصحابه، ويعطى كل أحد من جلسائه نصيبه، ومن سألته حاجة لم يردده إلا بها أو بميسور القول، وقد وسع الناس، بسطه وخلقه حتى صار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء، وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ القلب ولا صخاب، ولا فاحش ولا عياب ولا مداح عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا، ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال له ليبيك» (متفق عليه).

وعن أنس رضى الله عنه: «كان رسول الله ﷺ من أشد الناس لطفًا، والله ما كان يمتنع في غداة باردة من عبد ولا من أمة ولا صبي أن يأتيه بالماء فيغسل وجهه وذراعيه، وما سألته أحد أو سائل قط إلا أصغى إليه أذنه، فلم ينصرف حتى يكون هو الذى ينصرف، وما تناول أحد بيده ﷺ إلا ناوله إياها فلم ينزع حتى يكون هو الذى ينزع»، (رواه أبو نعيم) وقال أيضا رضى الله عنه: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا وإن كان ليخالطنا حتى يقول لأخ لى صغير: يا أبا عمير ما فعل النغير؟»، أى ما شأنه وحاله (متفق عليه).

وعن الصعب بن جثامة قال: أهديت إلى رسول الله ﷺ حمارا وحشيا فردده على فلما رأى ما فى وجهى قال: «إنا لم نرده إلا لأنا حرم» (متفق عليه).

ما أرق هذا الشعور واللفظ فى المعاملة، وعن جرير بن عبد الله قال: ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآنى إلا ابتسم فى وجهى، ولقد شكوت إليه أنى لا أثبت على الخيل فضرب بيده فى صدرى وقال: «اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا» (متفق عليه).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ».

وكان ﷺ يباسط أصحابه ويمازحهم فقد كان هناك رجل يسمى زهيراً يهاديه بما يستطرف من البادية وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يكافئه بموجود الحاضرة، وما يستطرف منها ويقول: «زهير باديتنا ونحن حاضرتة» وجاء يوماً إلى السوق فوجد زهيراً قائماً فجاءه من قبل ظهره وضمه بيده إلى صدره فأحسن زهير أنه الرسول فجعل يمسح ظهره في صدره رجاء بركته فجعل الرسول يقول: «من يشتري العبد؟» قال زهير: إذن تجدني كاسدا فقال عليه الصلاة والسلام: «أنت عند الله غالي».

ومن حسن معاملته ﷺ أنه كان يدعو أصحابه بأحب أسمائهم وإذا أتى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ولا يحب مظاهر التفضيم من القيام والتزلف إليه بزخرف القول، وكان يؤثر أهل الفضل ويحذر الناس ويحترس منهم دون أن يمنع أحدا منهم بشاشته، وابتسامته وكثيراً ما كان يتغافل عما يعافه ويعرض عن يتكلم بغير الجميل، ولا يواجه أحداً بما يكره، وأفضلهم عنده أهمهم نصيحة وأكثرهم نفعا للناس، وكان مجلسه عليه الصلاة والسلام مجلس هدى وعلم وحياء وحلم وخير وأدب، لا مجال فيه للوشاة والسعاة بالنميمة، ولا يذكر في مجلسه العيوب، ورغم تواضعه في مجلس أصحابه وجلسائه وقربه منهم إلا أنه كان مهيباً جليلاً في نفس الوقت، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأن على رؤسهم الطير، وإذا سكت تكلموا فيما ينفع، ومن تكلم منهم يصمت الجميع له حتى ينتهي من حديثه، ويتكلم غيره فعلياً أن نتعلم من هذه المعاملة الحسنى والآداب الرفيعة التي كان عليها رسول الله ﷺ مع أصحابه والناس أجمعين كي نكون دعاة للحق راشدين ناصحين متصفين بخلق النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

هدى النبي ﷺ في تربية أصحابه :

كان أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام لهم به أسوة يحرصون عليها كل الحرص، والأسوة خير مرشد حيث كان ﷺ لم يكتفى في معاملته لهم كما رأينا فحسب، بل كان يتعهدهم بالإرشاد إلى الأخلاق الحميدة،

ويدر بهم عليها ويشجع المحسن منهم ولو بالكلمة الطيبة حتى يتنافس فيها المتنافسون ومن إرشاده لهم قوله عليه الصلاة والسلام: «ثلاث من كن فيه استوجب الثواب واستكمل الإيمان: خلق يعيش به في الناس، وورع يحجزه عن محارم الله، وعلم يرد جهل الجاهل» (أخرجه البزار من حديث أنس).

وقوله ﷺ: «إن أحبكم إلى وأقربكم مني منزلة يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، الموطنون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون» (أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة).

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه أنه قال: أراد معاذ بن جبل سفراً إلى جهة فقال: يا نبي الله، أوصني، قال: «اعبد الله ولا تشرك به شيئاً» قال: زدني قال: «إذا أسأت فأحسن» قال: زدني قال: «استقم وليحسن خلقك» (أخرجه ابن حبان).

وقوله صلوات الله وسلامه عليه: «اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك يميئ القلب» (أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة).

وقوله عليه الصلاة والسلام: «عفوا تعف نساؤكم وبروا آباءكم تبركم أبناءكم» (رواه الطبراني من حديث عائشة)، وقوله صلوات الله وسلامه عليه: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وإن الله يبغض الفاحش البذيء» (أخرجه الترمذي عن أبي الدرداء).

وقوله: «خيار عباد الله الذين إذا رؤا ذكر الله، وشرار عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة، الباغون للبرءاء العيب». (رواه أحمد من حديث عبد الرحمن بن غنم).

وقوله: «إن خياركم أحسنكم أخلاقاً» (متفق عليه)، وقوله: «إن لله

خلقا خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس إليهم في حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله» (رواه الطبراني) وقوله: «أحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تطرد عنه جوعا، أو تقضى عنه ديناً» (رواه أبو الشيخ من حديث ابن عمر) وقوله: «إن أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يمدحوا وإذا كان عليهم لم يمتثلوا، وإذا كان لهم لم يعسروا» (رواه البيهقي من حديث معاذ رضى الله عنه).

وعن ابن عباس قال: وقع بين خالد بن الوليد وعمار بن ياسر رضى الله عنهما كلام فقال عمار: لقد هممت بأن لا أكلمك أبدا فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «يا خالد مالك ولعمار رجل من أهل الجنة قد شهد بدرا» وقال لعمار: «إن خالدا يا عمار سيف من سيوف الله على الكفار» قال خالد: فما زلت أحب عمارا من يومئذ، وقوله: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» (رواه الترمذي)، وقوله: «إن هذه الأخلاق من الله فمن أراد الله به خيرا منحه خلقا حسنا، ومن أراد به شرا منحه خلقا سيئا» (رواه الطبراني).

وقوله عليه الصلاة والسلام: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا» (رواه أبو داود والترمذي).

ولقد كان لهذه التربية الحكيمة أثرها القوي في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فقال المقداد بن عمرو و لرسول الله ﷺ حين أخبرهم عن عزمه على لقاء الأعداء في غزوة بدر: «يا رسول الله، امض لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هنا قاعدون)، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فو الله الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك منه دونه حتى تبلغه» فدعا له بخير. وبرك

الغماد: هو موضع في أقصى أراضي هجر، والذي قاله المقداد بن عمرو هو من تأثير تربية رسول الله لهم التربية الحكيمة التي أثرت في نفوسهم تأثيراً بالغاً.

وكذلك قول سعد بن معاذ سيد الأوس لرسول الله عليه الصلاة والسلام حين قال النبي في هذا الموقف الرهيب: «أشيروا على أيها الناس» (يريد الأنصار) لأن العدد فيهم؛ ولأن بيعة العقبة ربما يفهم منها أنه لا تجب عليهم نصرته إلا ما دام بين أظهرهم، فإن فيها: يا رسول الله، إنا براء من ذمتك حتى تصل إلى دارنا، فإذا وصلت إليها فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فقال سعد بن معاذ: كأنك تريدنا يا رسول الله، فقال: «أجل» فقال سعد: قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا، ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا العدو غداً، إنا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فأشرق وجه النبي ﷺ.

نعم إنها العقيدة الثابتة، والعزيمة الصادقة والإرادة القوية من إيمان قوى ثابت، وذلك من النظر إعجاز البيان والنظم الذي جاء به القرآن، وما تعلموه من الهدى النبوى الحكيم ومن حسن خلقه وأدبه عليه الصلاة والسلام.

كتاب النبي ﷺ إلى قيصر الروم:

بعد رجوع المسلمين من الحديبية في أواخر السنة السادسة من الهجرة كتب النبي صلوات الله وسلامه عليه ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، وسنذكر بعضها لنرى طريقة دعوته الحكيمة الرفيعة التي يوجهها

إلى ملوك وأمراء الأرض، فكتب إلى قيصر الروم الآتى على ما ثبت فى الصحيحين: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى.. أما بعد.. فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، سلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» [آل عمران: 64]، ومعنى الأريسيين: جمع أريسى نسبة إلى أريس كفعل وهو الفلاح بصدده إياهم عن الإسلام ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا﴾ [الأحزاب: 67] أى عليك مثل إثمهم.

ولما وصل هذا الكتاب إلى قيصر الروم قال: انظروا لنا أحدا من قومه نسأله عنه وكان أبو سفيان بن حرب فى الشام مع رجال من قريش فى تجارة، فأرسل له قيصر الروم لمقابلاته ولما قدموا عليه فى القدس قال لترجمانه: سلهم أيهم أقرب نسبا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: أنا (لأنه لم يكن فى الركب من بنى عبد مناف وغيره) فقال قيصر: أدنى منى ثم أمر بأصحابه فجعلوا خلف ظهره ثم قال لترجمانه: قل لأصحابه إنما قدمت هذا أمامكم لأسأله عن هذا الرجل الذى يزعم أنه نبي، وقد جعلتكم خلفه كى لا تخلجوا من رد كذبه عليه إذا كذب ثم سأله: كيف نسب هذا الرجل فيكم؟ قال: هو فينا ذو نسب قال: هل تكلم بهذا القول أحد منكم قبله؟ قال: لا، قال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قال: لا قال: فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفائهم؟ قال: بل ضعفائهم قال: هل يزيدون أم ينقصون؟ قال: بل يزيدون، قال: هل يرتد أحد منهم سخطة ليدنه بعد أن يدخل فيه؟ قال: لا، قال: هل يغدر إذا عاهد؟ قال: لا، ونحن الآن منه فى ذمته لا ندرى ما هو فاعل فيها قال: فهل قاتلتموه؟ قال: نعم قال: فكيف حربكم وحربه؟ قال: الحرب بيننا وبينه سجال مرة لنا ومرة علينا قال: فبم يأمركم

؟ يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً وينهى عما كان آباؤنا يعبدون ويأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة فقال الملك: إني سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله فذكرت أن لا فقلت: لو كان أحدا قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسى بقول قيل قبله، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا فقلت: ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك هل كان من آباءه من ملك فذكرت أن لا، فقلت: لو كان من آباءه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك أشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم فقلت: ضعفاؤهم وهو أتباع الرسل، وسألتك يزيدون أم ينقصون، فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه فقلت: لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشة القلوب، وسألتك هل قاتلتموه فقلت: نعم وإن الحرب بينكم وبينه سجال، وكذلك الرسل تبلى ثم تكون لهم العاقبة، وسألتك بماذا يأمركم، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة، وسألتك هل يغدر إذا عاهد فذكرت لا، وكذلك الرسل لا تغدر فعلمت أنه نبي، وقد علمت أنه مبعوث ولم أظن أنه منكم، وإن كان ما كلمتني به حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، ولو أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه قال أبو سفيان: فعلت أصوات الذين عنده وكثر لغطهم، فلا أدري ما قالوا وأمر بنا فأخرجنا، فلما خرج أبو سفيان مع أصحابه قال: لقد بلغ أمر ابن أبي كبشة أن يخافه ملك بنى الأصفر فمازلت موقناً أنه سيظهر حتى دخل الله على الإسلام.

ولما سار قيصر إلى حمص جمع عظماء الروم في قصر له فيها وأمر بالأبواب فأغلقت ثم أطل عليهم فقال: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد ؟ وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش

إلى الأبواب فوجدوها مغلقة، فلما رأى قيصر نفرتهم ويئس من الإيمان قال: ردوهم على فقال لهم: إنى قلت مقالتي أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه، فكان هذا آخر شأن هرقل فغلبه حب الملك على الإسلام فذهب بإثم رعيته ولكنه رد دحية ردا جميلا.

كتابه عليه الصلاة والسلام إلى النجاشي:

كتب ﷺ إلى النجاشي: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، أسلم أنت فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول (الغذراء) الطيبة الحسنة، فحملت بعيسى فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده، وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والمولاة على طاعته، وأن تتبغنى وتؤمن بالذى جاءنى فإنى رسول الله وإنى أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتى والسلام على من اتبع الهدى».

وأرسل هذا الخطاب مع عمرو بن أمية الضمري فقال النجاشي: يا أصحابكم إن على القول وعليك الاستماع، إنك فى الرقة علينا وكأننا فى الثقة بك منك، لأننا لم نظن بك خيرا قط إلا لننا، ولم نخفك على شىء قط إلا أمناء، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك، الإنجيل بيننا وبينك شاهدا لا يرد قاضى لا يجور، وفى ذلك الموقع الحز وإصابة المفصل، وإلا فأنت فى هذا النبى الأُمى كاليهود فى عيسى ابن مريم، وقد فرق النبى ﷺ رسله إلى الناس فرجاك لما يرجهم له، وأمنك على ما أخافهم عليه، بخير سالف وأجر ينتظر، فقال النجاشي: أشهد بالله إنه النبى الأُمى الذى ينتظره أهل الكتاب، وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل، وأن العيان ليس بأشقى من الخبر. فقال النجاشي: أشهد بالله إنه النبى الأُمى، ثم كتب خطابا إلى النبى ﷺ فقال فيه: إلى محمد رسول الله من النجاشي أصحابكم، سلام عليك يا نبى الله من الله ورحمة الله وبركات الله

الذى لا إله إلا هو، أما بعد فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فو رب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت تفروقا، إنه كما ذكرت وقد عرفت ما بعثت إلينا، وقد عرفنا ابن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك واسلمت على يديه لله رب العالمين.

كتابه عليه الصلاة والسلام إلى كسرى ملك الفرس :

وكتب صلوات الله وسلامه عليه إلى كسرى ملك الفرس كتابا يدعو منه إلى الإسلام قال فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله فإني رسول الله إلى كافة الناس {لِيُنْذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ} [يس: 70] أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس» فعندما قرأ على كسرى الكتاب مزقه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «مزق الله مكله» وقد تم بالفعل فكانت مملكته أقرب الممالك سقوطا، وقد بدأ هذا الكافر الشقي بالعدوان فأرسل لعامله باليمن أن يوجه إلى الرسول من يأتي به إليه، فعاجله الله بقيام ابنه شيرويه عليه وقتله، ثم أرسل لعامل اليمن ينهاه عما أمره به أبوه.

كتابه عليه الصلاة والسلام إلى المقوقس أمير مصر :

كتب ﷺ إلى المقوقس أمير مصر من جهة قيصر: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى، أما بعد:

فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم القبط: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران:

[67] « وأرسل الخطاب مع حاطب بن أبي بلتعة، فلما دخل على المقوقس قال له: إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر غيرك إلا بك، فقال المقوقس: إن لنا ديناً لن ندعه إلا لما هو خير منه فقال له حاطب: ندعوك إلى الإسلام الكافي به الله فقد ما سواه، إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له اليهود وأقربهم منه النصارى ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، وكل نبي أدرك قوما فهم أمته فالحق عليهم، أن يطيعوه، وأنت ممن أدركه هذا النبي، ولسنا ننهك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به فقال المقوقس: إني نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آية النبوة، بإخراج الخبأ، والأخبار بالنجوى، وسأنظر، وأخذ كتاب النبي ﷺ فجعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه إلى جارية له، ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية فكتب إلى رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك أما بعد: فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً بقى وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان عظيم في القبط، وبثياب وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام عليكم. ولم يسلم المقوقس وإحدى الجاريتين مارية التي تسرى بها عليه الصلاة والسلام جاء منها بولده إبراهيم، والأخرى سيرين أعطاهما لحسان بن ثابت رضى الله عنه والغلة التي كانت تسمى لدل بقيت إلى زمن معاوية.

وعندما أرسل المقوقس بعثه إلى المسلمين ليخبروه عن حالتهم الدينية، فلما رجعوا إليه قال لهم: كيف رأيتموهم قالوا: رأينا قوما الموت أحب إليهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة، ليس لهم رغبة في الدنيا ولا بهجة أميرهم كواحد منهم ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا

السيد منهم من العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد، يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون في صلاتهم، وهنا قال المقوقس أمير مصر: والذي يحلف به، لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد.. وانظر إلى وصف المسلمين أيام كانوا في عزة الإسلام عاملين به وبكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، فسادوا بذلك العالم وبرسائلهم الحكيمة وبما تعلموه من النبي ﷺ دعوا إلى الحق وإلى عبادة الله الواحد القهار.

كتابه عليه الصلاة والسلام إلى ملك البحرين:

أرسل رسول الله ﷺ مع العلاء بن الحضرمي كتابا إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين يدعو فيه إلى الإسلام وجاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم أسلم فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإن من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمة الله وذمة الرسول، من أحب ذلك من المجوس فإنه آمن، ومن أبى فعليه الجزية» فأسلم المنذر بن ساوى ملك البحرين.

وكتب إلى رسول الله ﷺ: أما بعد: يا رسول الله، فإني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضى مجوس ويهود فأحدث إلى في ذلك أمرك.

فكتب إليه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد.. فإني أذكرك الله عز وجل فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أتتوا عليك خيراً، وإني قد شققتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فأقبل منهم وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن أقام على يهودية أو

مجوسية فعلية الجزية».

كتابه عليه الصلاة والسلام إلى ملكي عمان :

الذي أرسله مع عمرو بن العاص وفيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي سلام على من اتبع الهدى أما بعد: فإنني أدعوكم بدعاية الإسلام أسلما تسلما فإنني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين إنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وأن أبيتما أن تقررا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما وخيل تحل بساحتكما وتظهر نبوتى على ملككما».

قال عمرو: فخرجت حتى انتهيت إلى عمان، فلما قدمتها عمدت إلى عبد وكان أحلم الرجلين، وأسهلها خلقا فقلت: إني رسول رسول الله ﷺ إليك وإلى أخيك، فقال: أخى المقدم على بالسن والملك وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك ثم قال: وما تدعو إليه ؟ قلت: أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وتخلع ما عبد من دونه وتشهد أن محمدا عبده ورسوله قال: يا عمرو، إنك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك فإن لنا فيه قدوة ؟ قلت: مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ، وودت أنه كان أسلم وصدق به، وقد كنت أنا على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام، قال: فمتى تبعته ؟ قلت: قريبا، فسألني أين كان إسلامك ؟ قلت: عند النجاشي وأخبرته أن النجاشي قد أسلم، قال: فكيف صنع قومه بملكه ؟ فقلت: أقروه واتبعوه، قال: والأساقفة والرهبان تبعوه ؟ قلت: نعم: قال: انظر يا عمرو ما تقول إنه ليس من خصلة في رجل أفصح له من الكذب قلت: ما كذبت وما نستحل في ديننا ثم قال: ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي، قلت: بلى قال: بأى شيء علمت ذلك ؟ قلت: كان النجاشي يخرج له خرجا، فلما أسلم وصدق بمحمد ﷺ قال: لا والله لو سألتني درهم واحد ما أعطيته، فبلغ هرقل قوله، فقال له اليناك أخوه: أتدع عبدك لا يخرج لك حرجا ويدين بدين غيرك دينا محدثا؟ قال هرقل: رجل رغب في دين فاختره لنفسه ما أصنع به والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع قال: انظر ما تقول يا عمرو قلت: والله صدقتك

قال عبد: فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه ؟ قلت: يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر البر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان، وعن الزنا وعن الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب قال: ما أحسن هذا الذي يدعوا إليه لو كان أخى يتابعنى عليه لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به، لكن أخى أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنبا قلت: إن أسلم ملكه رسول الله ﷺ على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فيردها على فقيرهم قال: إن هذا لخلق حسن، وما الصدقة ؟ فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ في الصدقات في الأموال حتى انتهيت إلى الإبل قال: يا عمرو تؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه ؟ فقلت: نعم فقال: والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عدوهم يطيعون لهذا قال: فمكثت ببابه أياما وهو يصل إلى أخيه فيخبره كل خبرى، ثم إنه دعانى يوما فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبعى فأبوا أن يدعوني أجلس، فنظرت إليه قال: تكلم بحاجتك، فدفعت إليه الكتاب مختوما ففص ختمه وقرأ حتى انتهى إلى آخره، ثم دفعه إلى أخيه فقراه مثل قراءته إلا أنى رأيت أخاه أرق منه قال: ألا تخبرنى عن قریش كيف صنعت ؟ فقلت: تبعوه إما راغب فى الدين وإما مقهور بالسيف، قال: ومن معه ؟ قلت: الناس قد رغبوا فى الإسلام واختاروه عن غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله إياهم أنهم كانوا فى ضلال، فما أعلم أحدا بقى غيرك فى هذه الخرجة، وأنت إن لم تسلم اليوم وتتبعه نوطئك الخيل ونبيد خضراك، فأسلم تسلم ويستعملك على قومك، ولا تدخل عليك الخيل والرجال قال: دعنى يومى هذا وارجع إلى غدا فرجعت إلى أخيه فقال: يا عمرو إنى لأرجو أن يسلم إن لم يضمن بملكه حتى إذا كان الغد أتيت إليه فأبى أن يأذن لى فانصرفت إلى أخيه فأخبرته أنى لم أصل إليه فأوصلنى إليه، فقال: إنى فكرت فيما دعوتنى إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلا ما فى يدى وهو لا تبلغ خيله هنا، وإن بلغت خيله ألفت قتالا ليس كقتال من لاقى قلت: وأنا خارج غدا، فلما أيقن بمخرجى خلا به أخوه فقال: ما نحن فيما ظهر عليه ؟ وكل من أرسل إليه قد أجابه، فأصبح فأرسل إلى فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه

جميعاً وصدق النبي ﷺ وخلياً بين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم، وكاننا لى
عونا على من خالفنى.

وبعث الرسول ﷺ كتاباً إلى ملك اليمامة يدعو به إلى الإسلام، وكذلك
كتاباً آخر أرسله إلى أمير دمشق، وانتشر الإسلام فى العالم كله بحكمته
البالغة ﷺ وحسن خلقه وأدبه صلوات الله وسلامه عليه.

أشهر الدعاة من السلف الصالح

كان المسلمون في الصدر الأول من الإسلام يهتمون بأمر الدين فقد كانت خاصة الصحابة رضي الله عنهم الذين عاشروا النبي ﷺ وتلقوا عنه، متواصلين مترابطين يشعر كل منهم بما يشعر الآخر من الحاجة إلى نشر الإسلام وحراسته ومحاربة أعدائه فخطبهم في التحريض على القتال دعوة إلى الله وإعلاء الدين وكلمته ونشر الدعوة إليه، وخطبهم في الحث على الاعتصام بحبل الله وعلى المحبة والمودة والإخاء دعوة إلى الله عز وجل، وخطبهم في الشورى كان مظهرًا لفهم الدين حيث الكل يدلي برأيه ويؤيد دعواه بالقواعد الدينية الشرعية في ظل كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة النبي الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه، وهكذا في جميع أمورهم وأحوالهم كان الدين هو الأساس والمرجع الثابت لأي اختلاف في أمر أو موضوع ما، وكانت عامتهم من ورائهم يراقبون القائمين بالأعمال العامة دليلًا على الوعي الديني المنتشر بينهم حتى كان الصعلوك من رعاء الشاة يأمر مثل عمر بن الخطاب وهو أمير المؤمنين وينهاه فيما يرى أنه الصواب.

ولا يوجد أحد من بعد رسول الله ﷺ معصوم من الخطأ، وقد صرح عمر بن الخطاب رضي الله عنه بخطئه ورجع عن رأيه غير مرة. وكان يتصدر الدعوة أجلاء العلماء المشهود لهم بالفضل؛ حيث كان يختلف إلى مجالسهم الأمراء والعظماء ومن هؤلاء الدعاة العلماء:

الحسن البصري:

وهو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري كان أبوه يسار من سبى ميسان وهي بلدة بالعراق، سباه الأمير المغيرة بن شعبة مع سير بن أبي محمد بن سيرين حينما افتتحها في عهد عمر بن الخطاب ثم صار يسار هذا مولى لزيد بن ثابت الأنصاري، وكانت أم الحسن وتسمى خيرة مولاة لأم سلمة زوج النبي عليه الصلاة والسلام، وفي بيتها ولد الحسن

سنة 21 هـ، وربما غابت في حاجة فيبكي فتعطيه أم سلمة ثديها تغله به إلى أن تجيء أمه، فدر عليه ثديها فشربه فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة اللتين عرف بهما كانتا من بركة ذلك.

ونشأ الحسن بوادي القرى، وتلقى الفصاحة من الأعراب وسمع عثمان، وروى عن عمران بن حصين وأبي موسى الشعري، وابن عباس، وجندب، وزيد بن ثابت الأنصاري، ولما أتم علومه ومعارفه وظهرت مخايل النجابة عليه، عين كاتباً للربيع بن ثابت الحارثي والي خراسان وأحد فاتحيها لعمر بن الخطاب، ثم شاع فقه الحسن وفضله وتناقل الخلق ورعه ونبله، فتقلب في الأعمال والولايات مع انتياب مسجد البصرة يعقد فيه مجلسه ليفقه الناس ويذيع فيهم موعظته وحكمته، وينشر بينهم دعوته السياسية في تثبيت دعائم الدولة إلى أن اختاره عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لقضاء البصرة سنة 99 هـ، وقال عنه: لقد وليت قضاء البصرة سيد التابعين، نعم كان حقا سيد التابعين، وإمام أهل العلم والحكمة والرأى في عصره، وكان من الفصاحة والبلاغة في أعلى مقام مع الزهد والورع وإنه سيد سمح، وإنه أخطب الناس وأفصحهم وإن علانيته أشبه بسريرته، وسريرته بعلانيته، وأخذ الناس لنفسه بما يأمر به غيره، وإنه رجل استغنى عما في أيدي الناس من دنياهم واحتاجوا إلى ما في يديه من أمر دينهم قيل لليونس بن عبيد: هل تعرف رجلا يعمل بعمل الحسن البصري؟ فقال: رحم الله الحسن والله ما أعلم أحدا يقول بقوله فكيف يعمل بعمله؟ وسمعت السيدة عائشة رضي الله عنها يتكلم فقالت: من هذا الذي يتكلم بكلام الصديقين؟ وقيل لعلي بن الحسن رضي الله عنهما: إن الحسن البصري يقول: ليس العجب لمن هلك كيف هلك، وإنما العجب لمن نجا كيف نجا فقال علي: سبحان الله هذا كلام صديق.

وقد روى أبو حيان: كان الحسن البصري من درارى النجوم علما وتقوى وزهدا وورعا وعفه ورقة وتألها وتنزها وفقها ومعرفة ونصاحة وفصاحة مواظمة تصل إلى القلوب، وألفاظه تلتبس بالعقول، وما أعرف

له ثانيا لا قريبا ولا مدانيا، كان منظره وفق مخبره، وعلايته في وزن سريرته، عاش تسعين سنة لم يقرف بمقالة شنعاء، ولم يزن بريية ولا فحشاء، سليم الدين نقي الأديم محروس الحريم يجمع مجلسه ضروبا من الناس، وأصناف اللباس مما يوسعهم من بيانه هذا يأخذ عنه الحديث، وهذا يلقي منه التأويل، وهذا يسمع منه الحلال والحرام، وهذا يوجد له المقالة، وهذا يتعلم الحكم والقضاء، وهذا يسمع الموعظة، وهو في وسط كل هذه الأمور وغيرها من مبادئ وأحكام كالسراج الوهاج تألقا، وكان يتصف بالكلام الفصل، واللفظ الجزل، والصدر الرحب والوجه الصلب، واللسان العضب، لا تنثية لائمة في الله، ولا تذهله رائمة عن الله، يجلس تحت كرسيه قتادة صاحب التفسير وعمرو وواصل صاحب الكلام، وابن أبي إسحاق صاحب النحو، وفرقد السبخي صاحب الرقائق، فمن ذا مثله، ومن ذا يجرى مجراه ؟ ولم يمنع الحسن زهده وورعه ونسكه وتقاه أن يخصص غمار السياسة، وأن يكون له فيها سهم صائب، ولسان غاضب، وأن يكون من دعاة الدولة، ومهما أغفل التاريخ عن مذهبه السياسي، فإن مما لاشك فيه أن الدولة المروانية مدينة له بقوة حكمته وبلغ بيانه كما هي مدينة للحجاج بقوة سياسته وشدة جنانه، فلما كانت الدولة المروانية قد نشأت في عصر لا يزال الدين غضا، فكان لابد للقائم للدعوة لها من الالتجاء إلى الدين للاستعانة ببعض ما يتصل به من الفكر والآراء والأقيسة يشد بها جوانب دعوته السياسية، وقد كان ذلك المزيج من السياسة والدين مذهب الحسن البصري فيما هو سبيله من هذه الناحية من حياته السياسية، فلولا الحسن وسيف الحجاج لوئدت الدولة المروانية في مهدها.

ولما ولي يزيد بن عبد الملك عمر بن هبيرة العراق وخراسان عام 103هـ استدعى ابن هبيرة الحسن البصري ومحمد بن سيرين وعامر الشعبي فلما حضروا إليه قال لهم: إن يزيد خليفة الله استخلفه على عباده، وأخذ عليهم الميثاق بطاعته، وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة له، وقد ولاني ما ترون فيكتب إلى بالأمر من أمره فأقلده ما تقلده من ذلك الأمر فما

ترون ؟ فاستكان ابن سيرين والشعبي تقية ولم يجرؤ واحد منهما على معارضته فقال: ابن هبيرة ماذا تقول يا حسن ؟ فقال: يا ابن هبيرة، خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله، إن الله يمنعك من يزيد ولا يمنعك يزيد من الله وأوشك أن يبعث إليك ملكا فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، ثم لا ينجيك إلا عملك، يا ابن هبيرة، إن تعص الله فإنما جعل الله هذا السلطان ناصرا لدينه وعباده، فلا تركب دين وعباده، بسلطان الله فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فأكبر ابن هبيرة ذلك منه وأجازهم وأضعف جائزته فقال الشعبي لابن سيرين: سفسفنا له فسفسف لنا. وهذا يدل على ما كان له في الدولة من مكانة وفي النفوس مكانة أيضا وجلالة.

ومحصل هذا أن الأمير كان يكتب إلى ابن هبيرة كتباً يرى في تنفيذها معصية الله، فيخاف إن أطاعه غضب الله وإن عصاه لم يأمن سطوته فعرض أمره على هؤلاء فهون الشعبي وابن سيرين عليه الأمر ميلاً منهما إلى هوى الأمير، أما البصري فقد أنكر عليه طاعة الأمير فيما فيه معصية الله واشتد في الإنكار.

أما مذهب الحسن البصري الاعتقادي أنه كان يرى رأى القدرية كأكثر زعماء المعتزلة وأكابرهم قال أبو الجعد: سمعت الحسن يقول: من زعم أن المعاصي من الله جاء يوم القيامة مسوداً وجهه كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ وقال داود بن أبي هند: سمعت الحسن يقول: كل شيء بقضاء الله وقدره إلا المعاصي وهذا هو بعينه رأى المعتزلة في القدر.

وكانت وفاته بالبصرة سنة 110هـ، وتبع الناس كلهم جنازته، واشتغلوا بشأنه حتى لم تقم صلاة العصر في المسجد في ذلك اليوم، وكانت هذه أول مرة وقع فيها هذا الحادث منذ كان الإسلام.

أبو إدريس الخولاني:

أبو إدريس الخولاني عائد الله بن عبد الله، أحد من جمع بين العلم والعمل، أخذ عن معاذ بن جبل وغيره من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، كان واعظ أهل دمشق وقاصهم وقاضيههم، قال الزهري: كان أبو إدريس من فقهاء الشام توفي عام 80 هـ وطاوس بن كيسان اليماني الجندی من الأبناء سمع زيد بن ثابت وعائشة وأبا هريرة وغيرهم، وكان رأساً في العلم والعمل والوعظ قال عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً مثل طاوس. وقال الذهبي: كان طاوس شيخ أهل اليمن وبركتهم وفقههم، له جلالة عظيمة، وكان جريئاً في وعظ الملوك والأمراء وكان كثير الحج ومات بمكة سنة 106 هـ.

عمر بن ذر بن عبد الله وابن السماك :

أما عمر فهو ابن ذر بن عبد الله بن زرارة الهمداني المرحب الكوفي، وكان يكنى أبا ذر وهو ثقة في الحديث، روى له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ووالده أبا ذر عبد الله يكنى أبا عمر ثقة أيضاً من أقران النخعي وسعيد بن جبیر روى له الجماعة، وكان عمر قاصاً بليغاً مؤثراً إذا وعظ بكى وأبكى الناس قال ابن السماك: لما دفن عمر ابنه ذر وقف على قبره فبكى وقال: اللهم إني أشهدك أني قد تصدقت بما تثبيني عليه من مصيبتى فيه عليه فأبكى من حضر، ثم قال: شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك ثم ولى وهو يقول: انطلقنا وتركناك، ولو أقمنا ما نفعناك، ولكن أستودعك أرحم الراحمين مات سنة 153 هـ.

أما السماك فهو أبو العباس محمد بن صبيح مولى بنى عجل المعروف بابن السماك القاص الكوفي، كان زاهداً عابداً حسن الكلام صاحب مواظ، جمع كلامه وحفظ ولقى جماعة من الصدر الأول وأخذ عنهم مثل هشام بن عروة، والأعمش، وروى عنه أحمد بن حنبل وأنظاره، قدم بغداد زمن هارون الرشيد ثم رجع إلى الكوفة فمات بها سنة 383 هـ، ومن كلامه، خف الله كأنك لم تطعه، وارج الله كأنك لم تعصه، وكذلك: من جرعت الدنيا حلاوتها بميله إليها جرعت الآخرة بمرارتها بتجافيهها عنه،

ومنه: خير الإخوان أقلهم مصانعة في النصيحة، وخير الأعمال أحلاها عاقبة، وخير الثناء ما كان على أفواه الأخيار، وأشرف السلطان مالا يخالطه البطر، وأغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيرا، وخير الإخوان من لم يخاصم، وخير الأخلاق أعونها على الورع وإنما يختبر ذل الرجال عند الفاقة والحاجة، وأخباره ومواعظه كثيرة وموافقه المأثورة عديدة ومؤثرة في النفوس الطيبة.

سفيان الثوري:

هو أبو عبد الله سفيان بن سعد الثوري الكوفي، كان إماما في الحديث وغيره، أجمع الناس على دينه وورعه وزهده وتقاه وثقته، وهو أحد الأئمة المجتهدين، والدعاة الراشدين الناصحين، كان يعظ الناس ويرغبهم في الدين، وكان الناس يختلفون إليه للانتفاع بعلمه في دينهم ودنياهم، توفي بالبصرة سنة 161 هـ ولقب بالثوري نسبة إلى ثور بن عبد مناة من أجداده.

ابن الجوزي:

عالم وواعظ العراق وهو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي البكري البغدادي الفقيه الحنبلي الواعظ الملقب جمال الدين الحافظ، كان علامة عصره وإمام وقته في الحديث والوعظ صنف في فنون عديدة، وله في الوعظ المؤلفات المفيدة ومحاسنه كثيرة، توفي رحمة الله عليه سنة 597 هـ.

وغيرهم من العلماء والواعظين مثل ابن سمعون وهو أبو الحسن محمد بن أحمد ابن إسماعيل الواعظ البغدادي، كان وحيد دهره وعصره في، الكلام على الخواطر وحسن الوعظ ولطف العبارة، توفي ببغداد سنة 387 هـ وغيره شذيلة الواعظ، وهو أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك بن منصور الجيلاني الفقيه الشافعي، كان واعظا ماهرا فصيح اللسان وحلو العبارة كثير المحفوظات، صنف في الفقه وأصول الدين والوعظ توفي ببغداد سنة 494 هـ.

والكثير منهم كان يسلك في دعوة الناس وهدايتهم منهج الكتاب والسنة وبعضهم كان كثيرا ما يستعين في التذكير بضرب الأمثال وقصص الأولين، وقد غلب ذلك على البعض حتى عرفوا باسم القصاص حتى استسهله بعض الدخلاء واسترسل فيه إلى أن نسى معه المقصود، والهدف السامى من الإرشاد والوعظ والقصص ذات تأثير دينى على السامعين من حياة السلف الصالحين، فكان بعض من أوتى ذلافة فى اللسان وقوة فى البيان يعتمد على هذا الغرض أو الطريق ويتصدى للوعظ مع قلة بضاعته العلمية ومعلوماته الدينية، فيختلس من العامة إجلالا لاحق له فيه، وكان ذلك يثير عليه من معارضة المنافسين له ما يكشف خبيثته ويبين عدم قدرته ويظهر جهله، ولابد لنا أن نحذر من هذه الصفة فلا بد من أن يكون الواعظ دارسا لأمر الدين فى ظل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لا يكون جاهلا بهما ويتمتع بحسن اللسان وقراءة الخطابة دون علم، أو ذا علم ناقص غير كافى كى يكون واعظا ناصحا للناس.

كما أدى ذلك حينذاك انصراف كثير من العلماء عن التصدى إلى إرشاد الناس، وعكفوا على تحقيق المسائل العلمية مكتفين بمن يعرف فضلهم ويغترف من بحار علمهم، فأصبح العلم محصور بين طبقة خاصة، وتركوا جمهور الأمة لمن يتصدى لإرشادهم من ذوى البضاعة المزجاة، ويا ليتهم مع هذا أحسنوا العمل وأخلصوا فى القيام بهذه الوظيفة الخطيرة بل كانوا يريدون بها الارتزاق، فجر ذلك إلى سقوطهم وانحطاط القيمة وانصراف الناس عنهم وضياح روح التأثير والانتفاع، ومن هنا أخلت العامة من أيدى العلماء، وأصبح الفريقان يتلاومون ويتناكرون فهؤلاء يقولون: ما بال الناس قد ثقل عليهم أمر الدين وانصرف نفوسهم عن الهدى والوعظ والإرشاد ؟ وأولئك يقولون: أين العلماء الذين يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ؟ أين حماة الدين المصلحون الذى يصلحون الفاسد ويقومون المعوج.

وزاد الأمر سوءا بميل الأمراء والحكام إلى إقصاء ذوى الغيرة من

العلماء فرارا من قيودهم، ولكيلا يزاحموهم في المكانة التي استأثروا بها فأبعدوا المخلصين الصادقين في التمسك بالدين، وقربوا المنزلفين المسهلين لهم رغائبهم المسارعين إلى هواهم، فزاد هذا انشغال العاملين على ممارسة العلوم منهمكين في أنواع العبادة، واجدين لذلك من اللذة الروحية ما أنساهم الحياة ومتعتها، حتى استلأنوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحشه المنعمون فقالوا: نحن في لذة لو علمتها الملوك لجالدونا عليها بالسيف..

وكان الإقبال على الدعاة والواعظين والتعلق بهم موجودا في كل عصر، على قلته وعدم وفائه بحاجة الأمة، وكان الناس يعززون العلماء ويوقرونهم ويقرون لهم بمنزلة خاصة، ويعتقدون فيهم أنهم حفظه الدين وحراسة، ولا زال أمر الإرشاد يتراجع إلى الوراء حتى لم يبق منه إلا اسمه ورسمه والأمة تتدهور في أخلاقها وتتأخر في معرفة دينها حتى ضلت سواء السبيل وتاهت في تيه الهوى، وأصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا، وسبب ذلك هو من سكوت رجال الدين، وقلة الراشدين إلى كلمة الحق والدين، وإهمال الحكام في تنفيذ أوامر الدين، ولا يغنى رجال الدين عند الله عذرا أو عند الناس أن يلقوا كل الخطأ على عاتق ولاية الأمور والحكام إذا هم لم ينصرون الدين، أو يلقوه على الأغنياء إذا هم قبضوا أيديهم عن المساعدة بمالهم، أو على العاصين والفاجرين إذا هم تعدوا حدود الله، وتمردوا على شرع الله سبحانه وتعالى، فقد علمهم الله كيف يدعوا إلى الدين وإلى الخير وإلى كلمة الحق، وعلمهم أن العلم النافع متى اقترن بالإخلاص لا بد أن يلمس القلوب والعقول، ويؤثر فيها حتى لو كانت هذه القلوب والعقول قاسية مغلقة لا تريد النور أن يدخلها ويزيل عنها ظلام الجهل، بعبادة الله حق عبادته، وعلمهم أن الحق هو المنصور دائما حتى ولو قل أهله، وأن الباطل لا يثبت في وجه الحق أبدا وإن كثرت أنصاره، قال الإمام على كرم الله وجهه: لا قيام للباطل إلا في غفلة الحق، وقال بعض العلماء الحكماء: قليل الحق يدفع كثير الباطل، كما أن قليل

النار يحرق كثير الحطب.

فيجب على العلماء الذين هم ورثة الأنبياء في العلم والحكمة أن يدعو إلى الخير كما هي صفتهم، ويرشدون الناس إلى طرق الهدى والرشد بالجد والجهد، بل جرت سنة الأنبياء والمرسلين والسلف الصالح على دعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مهما كان ذلك يجلب عليهم التعب والمشقة والمكاره والخوف، وكم قتل في سبيل ذلك فكانوا أفضل الشهداء، روى أبو داود عن أبي سعيد مرفوعاً: «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أو أمير جائر» فلا يظلم العلماء من يقول لهم قوموا بواجبكم، وأدوا الأمانة التي في أعناقكم إلى أهلها بعد إيمانهم بقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ لا يمس كرامة السادة العلماء من يصوب نحوهم سهام اللوم في تخليهم عن إرشاد الأمة، حتى غلبهم عليه الدخلاء الذي لا بضاعة لهم في العلم والدين، ولا يمس كرامتهم من يقول لهم: أنتم رعاة الأمة في تصحيح عقائدها وصيانة الدين وكل راع مسئول عن رعيته.

لذلك لابد من الوعظ الدائم والإرشاد المستمر لدين الله وتعاليم سنة النبي الكريم ﷺ، فهي مسئولية أصحاب العلم والدين، فإن أهملوها تولاها غيرهم من الجهلاء الذين لا يفقهون شيئاً في الدين فيدمرون الأمة الإسلامية وشبابها، ولا نريد أن نكون مثل ما جاء في هذا البيت:

ومن رعى غنماً في أرض مسبعة
ونام عنها تولى رعيها الأسد

الوعظ والإرشاد

الوعظ والإرشاد به ثلاثة بنود: وعظ وتذكير وقصص، فالوعظ: هو الموعظة والعظة النصح والتذكير بالعواقب والترغيب، إما بالزجر أو الترهيب قال أحد العلماء: هو تذكيرك الإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب يقال: وعظته فاتعظ إذا أثرت فيه الموعظة، وفي الاصطلاح: يطلق على القول الحق الذي يلين القلوب ويؤثر في النفوس ويكبح جماحها، ويزيد النفوس الطيبة المهيبة إيماناً.

والتذكير: تعريف الخلق بنعم الله عز وجل عليهم، وحثهم على شكره، وتحذيرهم من مخالفته، والتذكر يقال له الاتعاض؛ لأنه يتعظ منه المرء قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ وقوله تعالى: ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾.

والقصص: تتبع قصة ماضية بالحكاية عنها وشرح ما جاء فيها من عبرة ودروس مستفادة، وكان يسمى من يقوم بذلك في الصدر الأول للإسلام بالقصاص، وهو عن يروي أخبار الماضين السابقين ليتعلموا منهم السامعين له.

وأما الإرشاد: فهو الهداية إلى الطريق المستقيم الذي يصل بالناس إلى الخير والنجاة مع الله تبارك وتعالى، وغاية الوعظ والإرشاد: صلاح المعاش والمعاد والفوز بسعادة الدارين، وهو متعلق بطب الأرواح وعلاج النفوس.

ويشرف فن الوعظ والإرشاد على بقية فنون الخطابة بالآتي:

- 1 - أنه وظيفة الأنبياء والمرسلين ومن على سنانهم من العلماء والهداة، الراشدين والعظماء المجاهدين.
- 2 - إنه يتعلق بأشرف الأمور وأخطرها وهي الأمور الروحية.
- 3 - التحلى بالفضيلة والتخلي عن النقيصة، ثم الفوز بالسعادة الدائمة

وسعادة الدارين.

كما أن للوعظ والإرشاد أثرهما في تهذيب النفوس، فمن المعلوم أن إذا لم يعالج المرض ولم يسعف استفحل وزاد ألمه على صاحبه وربما يقضى على حياته، وكذلك المرض الروحي الذي يمرض القلوب والنفوس الذي يأتي من الغي والضلال والانهماك في اللذات والشهوات والتهاون بالأوامر والنواهي وعدم المبالاة بأنواع الفسوق والفجور وسيئات البدع وارتكاب كل ما لا يرضاه العقل والشرع من الأفعال الخارجة عن ضوابط الشرع والدين، فمن هذه الأفعال تمرض القلوب قال عز وجل: **{كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}** وذلك بإصرارهم على المعاصي وتسويق التوبة، حتى يطبع على قلوبهم فلا تقبل الخير ولا تميل إليه، وكان هذا هو الصدا الذي يكون على القلوب من كثرة الذنوب، ولا دواء لها إلا بالشرع وأمره التي يذكرهم بها ويعلمونهم بها الواعظين الراشدين الناصحين من الكتاب والسنة، فبهذا النصح والإرشاد تصح النفوس وتبرأ القلوب وتسلم من المخاطر وترجع إلى صوابها ورشدتها.

وبالوعظ والإرشاد تنهذب النفوس وتتنبه العقول من غفلتها وتصحو من رقتها قال الحكماء: "الموعظة موقظة للقلوب من سنة الغفلة ومنقذة للبصائر من سكرة الحيرة، ومحياة لها من الموت (موت الجهالة) ومستخرجة لها من ضيق الضلالة" فالإرشاد هو العلاج الوحيد، والدين الحنيف هو الدواء المفيد لشفاء أمراض القلوب، ولا ريب أنه إذا تركت هذه الأمراض بلا علاج استفحل أمرها، ومتى أهمل تطهيرها من أدران النقائص والرذائل عظم خطرهما وانتشر الفساد وهلك العباد، ويحيا المجتمع بانتشار الوعاظ والخطباء فيه، فالوعاظ الماهر والخطيب الحكيم يستطيع أن يصحح القلوب من أمراضها بما وهبه الله من نور الحكمة والبرهان وقوة بيان، فإنه ينبه العقول من غفلتها ويطهر النفوس، وينير أمامها الطرق الموصلة إلى الرشd حتى ترجع عن غيها وتعود إلى الصلاح، وتتلى بالفضائل والأخلاق الحميدة، فتكون لها سعادة الدارين. ونسأل الله

القصص في الإسلام

كما ذكرنا هم الذين يقصونه على الناس ويكون من علمهم التفسير والأثر والخبر عن الأمم الماضية وغيرهم، حيث ينقلون ذلك موعظة واعتباراً، كما كانوا يقصوا على المقاتلين أخبار الشهداء وفضائلهم، وما وعدوا به في الجنة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ليحمسهم بذلك على قتال العدو، وحتى لا يفزعوا منه، وكان ذلك دأب الحجاج الثقفي أمير العراق لبني أمية في حروبه؛ لأن أكثر من قاتلهم كانوا من المستميتين ديانة أو حمية كالخوارج، والناقمين عليه وعلى بني أمية من العرب.

ولم يكن القصص في زمن النبي عليه الصلاة والسلام، ولا زمن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وذلك لاجتماع كلمة المسلمين، وقرب عهدهم بالنبوة، وإنما كان القصص في عهد معاوية رضي الله عنه بدايته حين كانت الفتنة بين الصحابة، وكان قاصراً على الموعظة الحسنة والتذكير ونحوه، أخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن نافع وغيره من أهل العلم قالوا: لم يقص في زمان النبي ﷺ ولا زمان أبي بكر ولا زمان عمر، وإنما القصص محدث أحدثه معاوية حين كانت الفتنة، وأخرج ابن أبي شيبة والمروزي عن ابن عمر قال: لم يقص في عهد النبي ﷺ، ولا عهد أبي بكر، ولا عهد عمر ولا عهد عثمان، إنما كان القصص حين كانت الفتنة، وفي التخريج الكبير للعراقي من رواية الزهري عن السائب فيما أخرجه أحمد والطبراني إلى قوله: "زمن أبي بكر" ثم قال: "وأول من قص تميم الداري استأذن عمر بن الخطاب أن يقص قائماً فأذن له"، وعلى ذلك قال بعض العلماء: إنه كان قليلاً أو لعله كان قليلاً في زمن عمر وعثمان ثم كثر بعدهما، وأول من قص من الصحابة هو الأسود بن سريع، وكان يقول في وعظه إذا ذكر الموت وخاطب الميت ومن قوله:

فإن تنج منها تنج من ذي وإلا فإنى لا إخالك
عظيمة ناجياً

وأول من قص من التابعين في مكة عبيد بن عمير الليثي، وقد حضر مجلسه عبد الله بن عمر وسمع منه، فكان ذلك داعياً لإقبال الناس في استماع القص لمكان ابن عمر من الدين والورع، وقد أقرته كذلك عائشة رضي الله عنها، حدث عطاء قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير عليها فقالت: من هذا. فقال: أنا عبيد بن عمير قالت: قاص أهل مكة؟ قال: نعم، قالت: خفف فإن الذكر ثقیل، وقد اتخذ معاوية رضي الله عنه قاصاً كان يجلس إليه إذا فرغ من صلاة الفجر، وأول من لزم القص في المسجد (مسجد المدينة) مسلم بن جندب الهذلي إمام أهل المدينة وقارئهم وفيه يقول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: من سره أن يسمع القرآن غصاً فليسمع قراءة مسلم بن جندب، ثم كان أول من قص بالبصرة بمسجدها هو جعفر بن الحسن رضي الله عنه، وأول من أقرأ القرآن فيه.

لم يكن القص في القرن الأول مردولاً؛ لأن فنونه إنما كانت ترجع إلى القرآن وسنة النبي ﷺ، ولم يكن يشوبه شيء إلا ما كان يسمونه بالعلم الأول وهو ما يتعلق بأخبار الأمم السابقة، وأكثره كان عن من أسلم من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام الذي أسلم عند هجرة النبي ﷺ، وكعب الأحبار الذي أسلم في خلافة عمر بن الخطاب فكان القصص مما يتعلق بالأمم وأخبار الأنبياء.

ولما كان القرن الثاني وانتهى عصر كبار الوعاظ والقصاص من التابعين، نشأت الطبقة التي أخذت عنها العامة، وقد اضطربت الفتن وكثر الكلام وفشت الأكاذيب في الحديث وأخبار العرب والسير، فصار هم القاص وهدفه أن يجيء بالغرائب والرقائق؛ لأن أهل العلم انصرفوا إلى حلقات الرواية، ولم يبق في حلقات القصص إلا العامة، فمن ثم ساءت المقالة فيهم كما عرضنا سابقاً، وصار القاص عند أولى العلم أحقق محرفاً، إلا قليلاً ممن استوعبوا وظهروا هؤلاء بعد الحسن البصري رحمة الله عليه، وكان أولهم موسى بن سيار الأسواري، قال الجاحظ: وكان من أعاجيب الدنيا كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية، حيث

كان يجلس في مجلسه العرب عن يمينه والفرس عن يساره فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية، ولم يكن في الأمة بعد أبى موسى الأشعري أقرأ في محراب من موسى بن يسار، ثم عثمان بن سعيد بن أسعد، ثم يونس النحوي، ثم المعلى، ثم قص في مسجده بالبصرة أبو على الأسواري وابتدأ لهم في تفسير سورة البقرة، فما ختم القرآن حتى مات حيث كان له تأويلات واسعة، فكان ربما يفسر آية في عدة أسابيع؛ لأنه كان يحفظ الكثير من الأحاديث الدالة على تفسير نفس الآية أو في نفس دليلها وموقفها التي نزلت فيه، وكان يقص في فنون كثيرة من القصص ويجعل للقرآن الكريم نصيباً طيباً من ذلك.

وقد اختلف الكثير من السلف في مدح وذم القصص فبعضهم يحرض على الحضور عندهم، وبعضهم ينهى عنه ذلك، ومن هنا نقول: إن القصص نوعان:

النوع الأول: القصص المذموم، والثاني: القصص المحمود، والنوع الأول هو الاشتغال بالقصص والحكايات عن الأمم السابقة التي يتطرق الاختلاف والزيادة والنقصان وتخرج عن القصص الواردة في القرآن الكريم وتزيد عليها، فإن ذلك مما يندر صحته خصوصاً ما ينقل عن بني إسرائيل مما لا يقره عقل ولا يؤيده نقل كإسرائيليات الخازن، وبدائع الزهور فكان هذا مذموماً لما فيه من الكذب، وإن كان فيه صواب فالأسلم البعد عنه، فإن من فتح الباب على نفسه اختلط عليه الصدق والكذب والصواب والخطأ والنافع والضار، فمن هنا نهى عنه. قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: ما أحوج الناس إلى قاص صادق، فإن كانت القصة من قصص الأنبياء والمرسلين عليهم السلام فيما يتعلق بأمر دينهم وكان القاص صادقاً صحيح الرواية فليست أرى به بأساً.

والنوع الثاني: الاشتغال بحكاية أحوال تومئ إلى هفوات أو مساهاة يقصر فهم العوام عن درك معانيها، أو عن كونها هفوة نادرة

الوقوع ومردفة بما يكفرها، ومتدركة بحسنات تغطي عليها كما هو المعهود في حضرات السلف، فإن العاصي يعتصم بذلك في مساهاسته وهفواته ويمهد لنفسه عذرا فيها، ولكي يكون هذا النوع محمودا لابد أن يكون القاص فيه لا ينقص ولا يزيد عن ما جاء في كتاب الله، والأحاديث الصحيحة الواردة عن النبي ﷺ حتى لا يضر السامعين بشيء أو يعلمهم خطأ في الدين، فإن واطب على الشريعة وما جاء فيها بسند صحيح فلا بأس به وإلا فيكون مذموما.

وللخلاص من خطر القص قال العلماء: لا يجوز لقاص أن ينقل حديث رسول الله ﷺ من غير معرفة بالصحيح والضعيف أو السقيم، وإن اتفق أنه نقل حديثا صحيحا كان آثما في ذلك؛ لأنه ينقل ما لا علم له به، ولا يحل له النقل من كتب التفسير؛ لأن فيها الأقوال المنكرة والصحيحة، ومن لا يميز الصحيح من الضعيف لا يحل له الاعتماد على الكتب، فلا يحل لأحد بهذا الوصف أن ينقل حديثا من الكتب بل ولو في الصحيحين ما لم يقرأه على من يعلم علم الحديث وأهله فقد حكى الحافظ أبو بكر اتفاق العلماء على أنه لا يصح لمسلم أن يقول: قال رسول الله ﷺ : كذا وكذا حتى يكون عنده هذا القول مرويا ولو على أقل وجوه الروايات؛ لذلك لا ينبغي أن يقص على الناس إلا العالم المتقن فنون العلم الحافظ لحديث رسول الله ﷺ وبروايته الصحيح منه والضعيف، والعالم بالتاريخ الإسلامي ولسيرة السلف الصالح والزهاد، وكذلك أن يكون عالم باللغة العربية جيدا على الأقل أثناء إلقاء درسه للناس.

وقبل أن نترك هذه المسألة لابد أن نعلم أن الإسرائيليات ثلاثة أنواع: نوع مقبول بلا شك وهو ما اشتمل عليه الكتاب وصحت به السنة، ونوع مردود بلا شك وهو ما لا يصدقه العقل ولا يشهد به النقل، والثالث مجهول الحال وهذا الذي يجب علينا قبل الحكم عليه أن نضعه أولا في ميزان الشرع والعقل، فإن أيده الشرع وصدقه العقل قبلناه وإلا تركناه وراء ظهورنا، ورجعنا إلى كتاب الله عز وجل وسنة النبي الكريم ﷺ

ففيهما الكفاية قال الله تعالى: ﴿إِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

آداب الدعاة وصفاتهم

الدعوة إلى الله هي وظيفة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، والسادة العلماء نواب عن الأنبياء في هذا الأمر العظيم، فهم أمناء الله تعالى على شرعه والحافظون لدينه والقائمون على حدود الله؛ لذلك هم قادة الناس ودليلهم للسير إلى طريق السعادة في الدنيا والآخرة، ولما كان العلماء والدعاة قادة للخلق وعليهم مسئولية بالغة الأهمية، فلهم آداب وصفات لابد أن تكون في الداعي إلى دين الحق والواعظ الناصح للناس في توضيح أمور دينهم، ومعرفة الصواب والخطأ في حياتهم وفيما يختلفون فيه، وهذه الصفات نذكرها كالتالي:

الصفة الأولى:

هي العلم بالقرآن الكريم والمراد به الرجوع إليه في كل شيء والنظر فيه قبل كل شيء إلى كونه هدى وموعظة وعبرة، ثم النظر والرجوع إلى السنة المحمدية وما صح من أقوال الرسول ﷺ وسيرته وسيرة الخلفاء الراشدين والتابعين الصالحين، مع معرفة أسرار التشريع مع الصدق في نشرها، فإن مكانة التبليغ عن الله تعالى لم تكن إلا من اتصف بالعلم مع الصدق، والمرشد وارث لهذه المكانة والمنزلة الرفيعة، ولا بد أن يكون متمكن في تعليم ذلك على الوجه الصحيح، فلا يخطأ في حديث أو آية أو شرح معلومة فقهية ومسندة بحديث صحيح، أو بآية من القرآن الكريم، ولا يعجز عن إقناع الناس المتطلعون إلى معرفة أسرار وأحكام الدين والشريعة فيكون الإذعان له أتم، والقبول منه أكمل، والجاهل عن العلم بأمور الدين فإنه ضال ومضل بل لا يصلح أصلاً إذ لا تمييز لجاهل بين الحق والباطل، أو معرفة الصواب من الخطأ، ولا عنده القدرة على تهذيب النفوس، وكيف ذلك وهو يريد من يهذب نفسه، أصلاً؟ قال الحسن البصري: العامل على غير علم كالسائر على غير طريق، والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح والقاعدة تقول: من سلك طريقاً بغير دليل ضل، ومن تمسك بغير أصل ذل.

والداعى الكاذب لا خير فيه ولعنة الله على الكاذبين وجعل الله القول من غير علم من الفواحش فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقال عز وجل: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وهذا بيان من الله تعالى أنه لا يجوز للعبد أن يقول هذا حلال وهذا حرام إلا بما علم أن الله تعالى أحله أو حرمه.

وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «من سئل فأفتى بغير علم فقد ضل وأضل» وقال بعض العلماء: من العلم ألا تتكلم فيما لا تعلم بكلام من يعلم، فحسبك جهلا من عقلك أن تتنطق بما لا تفهم.

وأخرج البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه: «من علم شيئا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم».

الصفة الثانية:

العمل بما يقول للناس من علم فلا يقول علم لا يعمل هو به أى لا يأمر بالشىء ما لم يكن هو أول عامل به، ولا ينهى عن الشىء ما لم يكن هو أول تارك له ليفيد وعظه ويثمر إرشاده، وإن كان يأمر وينهى وهو لا يعمل أولا بما يقول فهيهات أن ينتفع بعلمه أو بما يقول طالما هو يقول المعلومة للناس مثل الببغاء يكرر الكلام ولا يعمل به؛ فبذلك يكون فاقد الرشد فى نفسه يرشد غيره قال مالك بن دينار: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته من القلوب كما يزل القطر عن الصفا، ومثل هذا يسخر الناس منه واستهزؤا به واتهموه فى دينه وعلمه، وزاد حرصهم على ما نهوا عنه.

والدعوة إلى الله ودينه مبنية على القدوة الحسنة التى يأخذها المتعلم من المعلم، فإن كان المعلم والداعى قدوة حسنة نفذت دعوته فى النفوس ودخلت القلوب وطهرتها من الأمراض التى سكنت فيها من الجهل والبعد

عن الدين، وإلا كان الداعى والعالم غير ذلك لا يسير على نهج الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ونهج الصحابة والتابعين والواعظين منهم الراشدين قولاً وفعلاً حسناً قبل القول، فميله عن طريقهم لا يكون داعياً أبداً ولا عالماً، بل يكون جاهلاً حتى لو كان يجيد معرفة الدين دون تطبيق ذلك أولاً على نفسه قبل أن يطلبه من الناس فعله؛ ولذا قيل في المعنى:

لا تنه عن خلق وتأتى مثله	عار عليك إذا فعلت عظيم
أبدأ بنفسك فانها عن غيرها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهنالك يسمع ما تقول	بالقول منك وينفع
ويشتفى	التعليم

وقال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ وقال رسول الله ﷺ: «مثل الذى يعلم الخير ولا يعمل به مثل الفتيلة تضىء للناس وتحرق نفسها» (رواه الطبرانى بسند حسن).

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ فهذا وعيد شديد من الله لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو فى نفسه مقصر ويرتكب المنكر، كم يكذب أو يخلف ما وعد به، وعن أسامة بن زيد بن حارثة رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية» متفق عليه.

إذن فحق الواعظ أن يتعظ ثم يعظ، ويبصر ثم يبصر ويهتدى ثم يهتدى، ولا يكون دفترًا يفيد ولا يستفيد، وسراجاً يضئ للناس ويحرق نفسه، بل يكون كالشمس تفيد القمر الضوء ولها أفضل مما تفيده،

وكالمسك يطيب غيره وهو طيب في نفسه.

الصفة الثالثة:

وهي الحلم فلا بد أن يكون الداعي إلى الله حليم ذو صدر واسع فكمال العلم في الحلم، ولين الكلام مفتاح القلوب، فبذلك يستطيع الداعي والواعظ أن يعالج أمراض القلوب والنفوس وهو هادئ النفس لا يستفز الغضب، ولا يستثيره الحمق فتتفر منه الناس وتشمئز منه قلوبهم ونفوسهم، وانظر إلى ما قاله الله تعالى لسيدنا محمد ﷺ وهو إمام الدعاة: **{وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}** فلو كان الداعي إلى دين الله والواعظ سيئ الخلق قاسى القلب سريع الغضب لا يملك نفسه، صدره ضيق لا يتحمل أحد من تلاميذه، أو الذين يلقي إليهم الدرس فأغلظ لهم في القول تفرقوا عنه وانصرفوا من حوله، وبذلك يكون قد حرمهم من الهداية وحرّم نفسه من الثواب العظيم الذى يكون للعالم الداعي إلى دين الله، ويهتدى على يديه العاصين وذوى النفوس المريضة المحتاجة إلى داعي رحيم حليم واسع الصدر يتحمل هذا وذاك، ولا ينهر أحد في سبيل أن يصل إلى مراده، وهو نشر دعوته في سبيل الله، وتعليم كل جاهل بدينه يعلمه ويعرفه ماذا له وماذا عليه، أليس بأمر عظيم يحتاج منك أيها الداعي والواعظ إلى أن تكون حليم هادئ البال والأعصاب، حقا إنه أمر يستحق منك ذلك فكن كذلك حتى تكون داعيا وواعظا بمعنى الكلمة.

الصفة الرابعة:

القوة في الإلقاء والتحدث عن الحق في الجهر دون مهابة أحد، ولا تأخذه في نصره دين الله لومة لائم، فلا بد أن يكون شجاعا قويا في الدعوة إلى الله عز وجل عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: «**بأيعنا رسول الله ﷺ على أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم**» (متفق عليه)، وقال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم**» (رواه الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما).

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحقرن أحدكم نفسه» قالوا: يا رسول الله، وكيف يحقرن أحدنا نفسه؟ قال: «يرى أن لله عليه مقالا ثم لا يقول فيه فيقول الله عز وجل يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول خشية الناس فيقول: فأياي أحق كنت أن تخشى» (رواه ابن ماجه). فإن كان جباناً عجز عن الأخذ بناصر الحق وعجز عن تغيير المنكر، وعن تقرب إلى الناس بأنواع المداينة وتودده إليهم بطرق الود والمودة والفتنة العلمية، وكذلك الرحمة عليهم في إلقاء النصح والإرشاد لتغيير منكر يفعلوه، فالطبيب الرحيم هو الذى إذا عرف المرض فى أى شخص كان بادر إلى علاجه بما يستأصله حرصاً على سلامة المريض وهو لا يبالي بكرهه المريض للدواء، وكرها للعلاج، وأما إذا عمل الطبيب حساب ذلك وتساهل مع المريض حتى استفحل أمر مرضه مما يؤدى إلى موت المريض، فإنه بذلك ليس بناصح بل غاش، ولا يكون حكيماً بل يكون بذلك سفيهاً.

ومعنى المداينة أى السكوت على المنكر لداعى الهوى لا لأجل الدين، وهذا ما يفعله السفيه وليس الحكيم الناصح، فإذا سكت العلماء على المنكرات لداعى الدين كأن يكون فى الإنكار محذور يزيد على محذور السكوت سمي سكوتهم مداراة وهى مطلوبة شرعاً.

فلا بد أن يستخدم الداعى الكلام الحسن الطيب فى تغيير المنكر وبقوة وشجاعة، والشجاعة هنا أن القدرة على الحديث فى هذا الأمر دون حرج، وليس معناها أن يتهم على الناس بألفاظ غليظة وأفعال تجعل الناس ينفرون من الداعى، وبذلك لم يتم المقصود من دعوته وهى تغيير المنكر وعلاج نفوس الناس المريضة روحياً، وهذه صفة لا بد أن يمعن الداعى النظر فيها، وينظر أيضاً إلى نفسه وأسلوبه فى مخاطبة الناس هل هو مقبولا عندهم بأسلوبه أم أنهم يجزعون منه، فإن كانوا يجزعون فعليه من تغيير أسلوبه معهم.

الصفة الخامسة:

أن يكون الداعي الواعظ الناصح عفيفاً لا ينظر إلى ما في يد الناس ويبدأ منه، فمن يؤس مما عند الناس استغنى عنهم فيبقى سيّداً محبوباً جليلاً مهيباً ينتفع به، أما كان غير ذلك ولم تكن فيه صفة العفة وتطلع إلى ما في أيدي الناس، فقد باع دينه بدنياه وصار لديهم محقراً ممقوتاً ثقيلاً مردولاً، وهذا بلا ريب هو السقوط الذي لا خلاص منه والفقر الذي لا غنى معه.

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، أوصني وأوجز فقال: «عليك باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغنى، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وصل صلاتك وأنت مودع، وإياك وما يعتذر منه» (رواه العسكري والحاكم).

وقال أبو الحسن البصري رحمة الله عليه: لا يزال الرجل كريماً على الناس حتى يطمع في دينارهم، فإذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه.

فالواجب على الواعظ الراشد نزاهة النفس عن شبه المكاسب، والاكتفاء بالميسور عن ذل المطالب، فإن شبه المكتسب إثم وكد الطلب ذل، والأجر أجدر به من الإثم، والعز أليق به من الذل.

الصفة السادسة:

القناعة في الدنيا والرضا بما هو مقسوم له، فإن كان حريصاً على الدنيا منهمكاً في طلبها كانت حاله هذه داعية الترغيب في حبها وحب الدنيا رأس كل خطيئة، وبذلك يكون الداعي مفسداً لا مصلحاً وضاراً لا نافعاً، كان محمد بن واسع البصري رحمه الله يبيل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول: من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد، وقال بعض الحكماء: وجدت أطول الناس غماً الحسود، وأهنأهم عيشاً القنوع، وأصبرهم على الأذى الحريص إذا طمع، وأخفضهم عيشاً أرفضهم للدنيا، وأعظمهم ندامة العالم المفرط.

وقال سفيان الثوري: العالم طبيب هذه الأمة، والمال دأؤها، فإذا كان يجر الداء إلى نفسه فكيف يعالج غيره؟ والعيان أصدق شاهد على ذلك فإنك ترى أنه على قدر قناعة العلماء في الدنيا تكون مكانتهم في نفوس الناس والتفافهم حولهم والاستماع لنصائحهم والانقياد لإرشادهم وعلى قدر تعلق العلماء بالدنيا تكون الناس زهادة فيهم، وتنزع الثقة منهم والنفرة منهم فلا يسمعون لهم قولاً ولا يقبلون منهم نصيحة أو إرشاد، فلا بد للواعظ الناصح أن يكون بصيراً على نفسه ويزهد في الدنيا وحبها، حتى يكون مسموع النصيحة والإرشاد عند الناس.

الصفة السابعة:

وهذه صفة لا غنى عنها في الداعي وهي قوة البيان والفصاحة، وإلا كان النفع بعيداً بل كان مثال الخزي والعار على الإرشاد وأهله، حيث إن كلما اللسان أبين؛ والقلب أشد استبانة، كان ذلك أقوى وأكمل، وقد سأل موسى عليه السلام ربه حجة البيان والإفصاح حين بعثه ربه إلى فرعون بإبلاغ رسالته فقال حين ذكر العقدة التي كانت في لسانه ما جاء في الآية الكريمة: {وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَقْفُوهَا قَوْلِي} وقال أيضاً ما جاء أيضاً في الآية الكريمة: {أَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي} وكذلك الآية: {وَيُضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي}، رغبة منه عليه السلام في غاية الإفصاح بالحجة والمبالغة في وضوح الدلالة لتكون النفوس والعقول والقلوب إليه أسرع إلى الإيمان به، ودعوته إلى الله سبحانه وتعالى.

وذكر الله عز وجل عظيم منته في تعليم البيان فقال سبحانه وتعالى: {الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} فالفصاحة والبيان هما لا غنى عنهما في شخصية الواعظ الناصح، فبدونهما لا يستطيع تبليغ ما يريد إلى قلوب وعقول سامعية ومن كان بارعاً فيهما مع صدق قوله وعمله نال التفاف الناس حوله وسماع نصائحه، وبذلك يكون داعياً إلى الله ودينه الحنيف.

الصفة الثامنة:

أن يكون قوى الثقة بالله في وعده والثقة في الحصول على الفائدة مهما طال به العلاج وعظمت المصاعب أمامه، فإذا تمكن ذلك منه انبعثت همته وقوى نشاطه وتنبه إلى انتهاز كل فرصة بما يناسبها موقنا بأنه لم يظهر تأثيره اليوم، فغدا يظهر مؤمنا بأن الباطل زهوق، ولا بد من يوم يتغلب فيه الحق على الباطل.

ورسول الله ﷺ وهو سيد وإمام الداعين إلى الله لم يجزع أبداً، ولم يثن عزمه عن الدعوة إلى الله جل شأنه، فكان يقابل عناد أهل الضلال والعناد وكانوا يقابلونه بالإنكار وإيقاع الأذى به وبأصحابه المجاهدين، بل ثابروا عليها، وفي نهاية الأمر كان الظفر والنصر لهم لرسول الله ﷺ وأصحابه على هؤلاء المعاندين الكافرين، وحقق الله لرسوله ما وعد قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ونصر الله هو العمل بدينه والدعوة له وتحمل الأذى والمصاعب من أجل إعلاء كلمتي الحق والدين فلا بد أن ينصر الله هؤلاء القوم لأنهم نصروه.

الصفة التاسعة:

التواضع وعدم العجب بالنفس والمظهر والمكانة فذلك بالواعظين الناصحين أليق، ولهم أوجب؛ لأن التواضع يجمع الناس حول الدعاة والعجب يجعلهم ينفرون منهم وهو بكل أحد قبيح، وبالواعظين المرشدين أقبح؛ لأنهم هم قدوة للناس وإليهم ينظرون ويقلدون وكثيرا ما يداخل بعض العلماء الإعجاب لتوحدتهم بفضيلة العلم، فلا بد لهؤلاء أن يعلموا جيدا أن التواضع لهم واجب عليهم الاتصاف به ومجانبة العجب بهم أخرى؛ لأن العجب نقص ينافي الفضل، لاسيما مع قول الرسول ﷺ: «إِنَّ الْعَجَبَ لِيَأْكُلَ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ». وقد روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «قَلِيلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ الْعِبَادَةِ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ عِلْمًا إِذَا عَبْدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا إِذَا أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ

مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» (رواه مسلم).

وقال عليه الصلاة والسلام لأبى ثعلبة حين ذكر آخر هذه الأمة وما تؤول إليه من الحوادث: «إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأى رأيه فعليك نفسك» (رواه أبو واود والترمذى وحسنه).

وقال سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه: وجدنا الكرم فى التقوى والغنى فى اليقين والشرف فى التواضع، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون فيه ليتواضع لكم من تعلمونه، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم، وقال بعض الحكماء: من تكبر بعلمه وترفع وضعه الله به، ومن تواضع بعلمه رفعه الله به، وقال ابن المبارك: رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك فى نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس لك عليه بدنياك فضل، وأن ترفع نفسك عن من هو فوقك فى الدنيا حتى تعلمه أن ليس له بدنياه عليك فضل، وأخيرا قال ابن العميد:

من شاء عيشا هنيئا يستفيد به	فى دينه ثم فى دنياه إقبالا
فلينظرن إلى من	ولينظرن إلى من
فوقه أدبا	دونه مالا

يا أخى الداعى إياك والعجب، وكن متواضعا يحبك الناس ويلتقون حولك راغبين فى علمك، وتكون ذو دعوة إلى الله ناجحة، وتكون أيضا سعيدا فى دنياك وأخراك بإذنه تعالى.

الصفة العاشرة:

عدم البخل بالتعليم عن ما يريد العلم منه، ولا يمتنع عن أن يعلم أو يجيب عن علم نافع، فإن البخل به ظلم وإثم، وكيف يكون الداعى الراشد الناصح بخيلا وقد أكرمه الله بالعلم وجاد عليه به وأتاه الله من غير بذل؟ وكيف يجوز له الشح بما لو بذلوه لزاد ونما وإن كتمه تناقص وانتهى، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا

تَكْتُمُونَهُ، وروى عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا تمنعوا العلم أهله فإن ذلك فساد دينكم والتباس بصائرهم»** ثم قرأ الآية: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَثُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾**.

وروى البخارى وابن ماجه وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: **«لولا أية ي كتاب الله تعالى ما حدثت أحدا بشئ أبدا»** وقرأ الآية السابقة. والكتم وكتمان العلم ترك إظهار الشئ قصدا مع مساس الحاجة إليه وتحقق الداعي إلى إظهاره، والبيّنات الواضحة الآيات الدالة على الحق ومن ذلك ما أنزل على موسى وعيسى فى أمر سيدنا محمد صلوات الله عليهم أجمعين، والهدى كل ما يهدى إلى وجوب إتباعه ﷺ والإيمان به وهى الآيات الشاهدة على صدقة صلوات الله عليه والعطف باعتبار التغاير فى المفهوم، ويلعنهم الله يبعدهم عن رحمته، ويذيقهم عذابا أليما ويلعنهم اللاعنون يدعو عليهم بالإبعاد عن رحمة الله كل من يتأتى منه اللعن من الملائكة والجن والإنس والآية كما نرى تدل على ضرورة وجوب إظهار علم الشريعة وحرقة كتمانها.

وروى عن النبي صلوات الله وسلامه عليه: **«من علم علما فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من النار»** (أخرجه أبو داود من حديث أبى هريرة).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سئل عن علم فكتمه جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار»** (رواه الطبرانى).

وروى عن النبي ﷺ قال لعلى كرم الله وجهه: **«يا على، لأن يهدى الله بك رجلا خير مما طلعت عليه الشمس»** (رواه الجميع إلا واحد).

الصفة الحادية عشرة:

الإمساك عن فضول الكلام وكثرة الإشارة، والحركة فيما يستغنى عن الحركة فيه فلا بد أن يكون ذو وقار ورزانة، والإصغاء عند الاستفهام له بسؤال، والتوقف عند الجواب وعدم التسرع، والتحفظ من التبذل بالهزل القبيح، ومخالطه أهله وحضور مجالسه، وعليه أيضا ضبط لسانه من الفحش، والمزاح السخيف وخاصة في المحافل ومجالس المحتشمين المحترمين، فلا كرامة لمبتذل، ولا عظمة لمن يسرف في المزاح ويفحش فيه، والإقلال من الظهور بين الناس بغير حاجة، والترفع عن الجلوس في قوارع الطرق والأسواق من غير ضرورة، فإن الإكثار من ذلك مخل بكرامته، فإن أعظم الناس قدرا عند الخلق من ظهر اسمه وخفى شخصه.

الصفة الثانية عشرة:

أن الداعي والواعظ يكون كبير الهمة عالي النفس يستصغر ما دون النهاية من معالي الأمور ويترفع عن الدنيا ويغضب عند الأحساس بالنقص، ويغار لانتهاك الحرمات ليتحقق فيه مقام الوراثة فإن الواعظ مصلح داعي إلى الله تبارك وتعالى، وكلما كان الداعي أقوى نفسا وأعلى همة كان في ذلك أمضى وعليه أقدر، ومهما نقص في ذلك نقص من تأثيره في نفوس السامعين له.

الصفة الثالثة عشرة:

عليه بالصبر في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، فإن الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين نجحت دعوتهم إلى الله بالصبر، وظفروا بنصر الله لهم بالصبر والتحمل في سبيل الله، قال تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} وقال الله تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ} أمره الله تعالى بالثبات في مقام الدعوة إليه، والصبر على ما كان يصيبه في الله من أذى المكذبين المعاندين من قومه، والاقتداء في هذا الثبات بأرباب الجد والصبر على القيام بأمر الله من رسله الذين لم يضعف من عزائمهم، في

مقام الإرشاد ما كان ينزل بهم من ضروب الأذى وأنواع الشدائد؛ ولذلك لابد للواعظين أن يقتدوا بأرباب الدعوة إلى الله وهم رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ويسيروا في نفس طريقهم الذي ساروا فيه بالصبر والاحتمال على الشدائد والصعاب التي وجدت في طريقهم لتبليغ دعوة الله، فلا بد على كل واعظ وداعى إلى الله أن يتحلى بالصبر وقوة الاحتمال حتى يستطيع الاستمرار في تعليم الناس وفي تغيير المنكر الذي يحتاج تغييره إلى صبر وقوة وإيمان ورجاحة عقل وحسن خلق، فبدون ذلك يترك الواعظ سريعا ساحة العلم من غير أن يترك فيها بصمة له في قلوب الناس بعلمه ينتفعون بها في الدين والدنيا. قال الله تعالى: **{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}**.

الصفة الرابعة عشرة:

التقوى والأمانة والتحرز بطاعة الله عن مساخطه، فإنها صفة المورث الذي هو خلف عنه قال الله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}** وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: **«اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»** (رواه مسلم)، فلا يصح أن يكون فاسقا في دينه قبيحا في سيرته، فإن الداعى الواعظ بمنزلة كبيرة ومرتبة خطيرة فمتى لم تكن له تقوى تحجزه عن ارتكاب المآثم وأمانة تكفه عن اقتحام المحارم كان الضرر به أكثر من الانتفاع بل كان شرا على نفسه وعلى الناس، وأيضا فإنه لا يقبل قول الفاسق في الديانات فتتلاشى على يديه وظيفة الإرشاد، والفاسق لا يجوز أن يلى شيئا من أمور المسلمين فلا يكون إماما ولا قاضيا، ولا شاهدا ولا يقدم للصلاة فعلى الداعى الحذر كل الحذر من هذه الصفة وأن يكون تقى أمين على دين الله.

وهناك أمور لابد أن يضعها الداعى فى الاعتبار وهى:

1- أن يكون الواعظ الناصح عالما بمن يوجه إليهم الدعوة وعالما

بشئونها واستعدادهم وطبائع بلادهم وأخلاقهم وما هو العرف الذي يتعاملون به في أحوالهم الاجتماعية، فقد روى أن من أسباب ارتضاء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين خلافة أبي بكر؛ لأنه كان أعلمهم بأحوال قبائل العرب وتاريخ كل قبيلة وأخلاقها من الشجاعة والجبين والأمانة والخيانة، ومدى قوتهم وضعفهم وغناهم وفقرهم، فكل هذا والعلم به يجعل الداعى قريب من فهم عقول وقلوب الناس، وحتى يتخير طريقته معهم في الإقناع على تغيير المنكر أو الإصلاح فيما بينهم.

2- وكذلك يكون عالما بالتاريخ العام والمواقف والأحداث العامة ماضيها وحاضرها، ليعرف الفساد في العقائد والأخلاق والعادات فيبنى دعوته على أساس صحيح، ويعرف كيف تنهض الحجة ويبلغ الكلام غايته من التأثير، وكيف يمكن نقل هؤلاء المدعويين من حال إلى الحال؛ ولهذا كان القرآن الكريم مملوءا بعبر وقصص التاريخ ليتأثر الناس بما كان قبلهم، ويعرفون دينهم جيدا وكيف يعبدون الله الواحد الأحد حق عبادته.

3- أن يعلم علم النفس ومبادئه ليعرف قوى النفس وخواطرها وميولها وتصرفها؛ كي يستطيع أن يتعامل معها خاصة في بعض حالات النفوس الشديدة المرض والسوء والبعد عن الدين.

4- أن يكون ملما بعلم تقويم البلاد فيفيده ذلك في البلاد التي هو غريب عنها ويسافر إليها، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أعلم أهل زمانهم بالتاريخ وما يسمى الآن بتقويم البلاد وعلم الجغرافية، ولذا أقدموا على الفتوحات ومحاربة الأمم فانتصروا عليهم بالعلم لا بالجهل.

5- معرفة مذاهب الأمم وتقاليدهم الدينية ليتيسر للداعى بيان ما فيها من الباطل؛ فإن من لم يتبين له بطلان ما هو عليه لا يلتفت إلى الحق الذي عليه غيره، وإن دعاه إليه، ومن لم يقف على ما عند الناس من المذاهب والتقاليد الدينية لا يستطيع أن يخاطبهم على قدر عقولهم.

6- العلم باللغات المختلفة وخاصة للعالم والداعى الذى يسافر بلاد غيره بلاده ليدعو لدين الله الحق، وقد ورد في صحيح البخارى، أن رسول

الله ﷺ أمر بعض الصحابة بتعليم اللغة العبرانية لكي يدعو اليهود ويعرفون التخاطب معهم، فعن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ أمره أن يتعلم كتاب اليهود حتى كتب للنبي ﷺ كتبه وقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه.

فالواجب أن يكون في كل جماعة تبعث للدعوة أن يكون فيها من المسلمين العارفين باللغات من يكفيها شر الحاجة إلى ترجمة الأجنبي.

7- معرفة علم الاجتماع الذي يبحث فيه عن أحوال الأمم في حضارتها وشؤونها الداخلية والخارجية، ومعرفة معاملات الناس والأفراد فيما بينهم من محبة أو عداوة، وأسباب ذلك كي يستطيع الإصلاح بين الأمم والإصلاح بين الناس، وهذا العلم مستمد من علم التاريخ وعلم الأخلاق، فمن كان له حظ عظيم منهما وكان صحيح العقل واسع الإدراك فإنه قد يستغنى عن هذا العلم في بناء الدعوة والإرشاد على قواعد الحكمة والسداد، وعلى ذلك يلزم أن يكون الداعي عالماً بأحوال الناس خبيراً بأمراض مجتمعهم ليدعو ويرشد كل فريق بما يناسبه من أسلوب وفكر، فإن كان يجهل أحوال الناس وعللهم أخطأ كثيراً في إصلاح القلوب وعلاج النفوس.

8- أن يتحلى بالورع وباتقاء الشبهات، والبعد عن مواضع الريبة فإن ذلك أبرأ لدينه وأسلم لعرضه؛ لأن حال الداعي يؤثر في القلوب أكثر من مقاله، وهكذا كانت صفة النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، في صحيح البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: مر النبي ﷺ بتمرّة مسقوطة فقال: «لولا أن تكون صدقة لأكلتها».

وقدم على عمر رضي الله عنه مسك وعنبر من البحرين فقال: والله لو ددت أنى وجدت امرأة حسنة الوزن تزن لى هذا الطيب حتى أقسمه بين المسلمين فقالت: امرأته عاتكة أنا جيدة الوزن فأنا أزن لك قال: لا فقالت: لم ؟ قال: لأنى أخشى أن تأخذه فتجعليه هكذا وأدخل أصابعه في صدغيه وتمسحى به في عنقك فأصيب فضلاً من المسلمين وكان يوزن بين يدي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مسك للمسلمين فأخذ بأنفه (سدها بيده)

حتى لا تصيبه الرائحة، وقال: وهل ينتفع منه إلا بريجه قال: ذلك لما استبعد ذلك منه، وهذا من ورع المتقين، وهكذا يكون حال الداعى إلى الله وإلى كلمة لا إله إلا الله محمدا رسول الله، وعن الفضيل بن عياض رحمة الله أنه كانت له شاة فأكلت شيئا يسيرا من علف بعض الأمراء فلم يشرب من لبنها بعد ذلك.

والداعى الذى يقف موقف تهمة فلا يأمن من إساءة الظن به وأخرج الزبير بن بكار عن عمر بن الخطاب قال: من تعرض للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن، وأخرج البيهقي فى الشعب عن سعيد بن المسيب قال: كتب لى بعض إخوانى من أصحاب رسول الله ﷺ من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن إلا نفسه، وحتى أحترز هو ﷺ فروى عن على بن حسين (زين العابدين): أن صفية بنت حى بن أخطب أخبرته أن النبى ﷺ كان معتكفا فى المسجد قالت: فأتيته فتحدثت عنده فلما أمسيت انصرفت فقام يمشى معى فمر به رجلان من الأنصار فسلما ثم انصرفا فناداهما وقال: «إنها صفية بنت حى» فقالا: يا رسول الله ما نظن بك إلا خيرا، فقال: «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم من الجسد، وإنى خشيت أن يدخل عليكما» (متفق عليه).

هكذا يعلمنا رسول الله ﷺ الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين فى أحواله، ومن الحديث يستفاد أنه ينبغى للرجل إذا حدث زوجته أو محرمه على الطريق أن يقول: هى زوجى أو محرمى حتى لا يتهم، وأنه ينبغى للإنسان أن يتحرز عن كل ما يوهم نسبته إلى ما لا يليق، وخاصة العلماء والمرشدين، فلا يجوز أن يفعلوا ما يوجب الظن بهم، وإن كان لهم مخلص؛ لأن ذلك سبب لعدم الانتفاع بعلمهم وإرشادهم قال الإمام على كرم الله وجهه: "إياك وما يسبق إلى العقول إنكاره وإن كان عندك اعتذاره".

9- محبة الإصلاح والتفانى فى خدمة الدين الحنيف وذلك بنشر فضائله وتعاليمه بين الناس، وتغيير المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة

حتى ينهض بهم إلى الدرجات العلا، فإن ذلك من أخلاق الدعاة الواعظين الناصحين من الأنبياء والمرسلين، كما يتخلق الداعي بالأخلاق الحميدة التي أرشد إليها الدين الحنيف وحث على التحلى بها، وملازمة الآداب الشرعية الظاهرة والخفية، كالتنظيف بإزالة الأوساخ، واستعمال السواك ونتف الإبط، وإزالة الروائح الكريهة وتسريح اللحية، مع المحافظة على هيبة العلم وصفته ومظاهر العلماء، كل ذلك مما يسهل عليه بلوغ الغاية من الدعوة إلى الله تعالى، والتهاون في ذلك يقلل من الثقة به، ويقلل من إقبال الناس عليه.

وكذلك عليه الإخلاص لله في العمل، فلا يطلب على الإرشاد أجرا، ولا يقصد به جزاء ولا شكورا من أحد ولا يقصد به تحصيل جاه أو شهرة أو سمعة بين الناس ويعلم أن المرشد إنما يكون مقبول النصيحة إذا كان خاليا من الأغراض الدنيوية، وإن كان يجرى لأغراض الدنيا فلا يؤثر في قلوب الناس بكلمة واحدة البتة فمن قام بالدعوة إلى الله تعالى لشهوة من الشهوات النفسانية فذلك حظه من عمله وكان عند الله مذموما قال عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾، أى من كان يقصد بعمله ثواب الآخرة شبهه بالزرع من حيث إنه فائدة تحصل بعمل الدنيا نزد له في ثوابه فنعطه بالواحدة عشرة إلى سبعمائة ومن كان يقصد ثواب الدنيا نؤته شيئا منها على ما قسمنا له مع حرمانه من نعيم الآخرة فإنما الأعمال بالنيات وقال سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ وقال النبي ﷺ: «من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة» (يعنى ربحها - رواه الترمذى).

10 - يجب على الداعي الواعظ أن يؤدي الواجب حبا في الواجب

وإرضاء لوجدانه وإطاعة خلقه الحسن، لا إذعائاً لسلطان المادة ولا لكلمة شكر من الناس ولا لعائد مادي، فإن الذين يفعلون الخير لما يرجونه من الخير تجار يبيسون اليوم ما يقبضون ثمنه غداً إنما المثل الأعلى أن يصل المرء من الرقي إلى حد أن يتلذذ من أداء الواجب ووصول الخير إلى الناس كما يتلذذ من وصول الخير إلى نفسه، وهذا هو مصدر حياة الأمم وسعادتها في هذه الحياة فقال النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» (رواه البخاري).

كما ينبغي للداعي أن يتحلى بالآداب الشرعية والإخلاص في الدعوة إلى الله تعالى حتى يكون وارثاً نبوياً، وأن يعلم أنه لا يجتمع الإخلاص في القلب مع محبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار، فمن أراد الإخلاص يسكن قلبه فعليه بطرد حب المدح والطمع والرياء من قلبه ويزهد في الدنيا ويحب الآخرة، فبذلك يسكن الإخلاص قلبه ويرتقى به إلى أعلى الدرجات ويكون مسموع الدعوة مؤثراً في قلوب الناس ونفوسهم.

وكذلك يكون الإخلاص بمراقبته لله عز وجل في سره وعلانيته، محافظاً على الطهارة ومواظباً على قراءة القرآن، ونوافل الصلاة، ومداومة الصوم وغيرهما من أعمال العبادة المقربات إلى الله تعالى ويعلم أن الله مطلعاً عليه في كل شيء ظاهره وباطنه، قال الله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾** (آل عمران: 5).

وقال عز وجل: **﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾** وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله**» (رواه الترمذي) والكيس هو العاقل.

فيا أخى الداعي الواعظ تعلم وتعلم وافهم كل كلمة جاءت في إعداد الواعظين وكيفية الدعوة إلى الله كي تكون نائباً للأنبياء والمرسلين في الدعوة وتكون أهلاً لذلك.

الداعى وآداب معاملة السامعين:

وآداب الداعى مع السامعين من دقائق هذه الصناعة وهى عديدة من أهمها:

1- أن يصرف من يريد إرشاده عن الرذيلة إلى الفضيلة بالإشارة فى المقال والتعريض فى الخطاب ما أمكن فإن التعريض فى ذلك أبلغ من التصريح لما فيه من مراعاة حرمة المخاطب بترك المجاهرة بالتوبيخ.

2- التلطف فى القول والرفق فى المعاملة مع تحرى الإقناع وهو من أسباب نجاح المرشد فى مقام الدعوة إلى الخير وقال الله تعالى: **{وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}** أى أحسن طرق المجادلة والمناظرة من الرفق واللين.

3- أن الداعى يذكر سامعيه بالخير ويصفهم بجميل، كأن يبين ماله من حسب وما فيه من فضل، وما عليه من نعمة، ليجذب قلبه إليه ويعدده بذلك لقبول الموعدة، إذ لا ريب أن ما يكون للإنسان من شرف ورفعة مناط التحلى بالفضائل والتخلّى عن النقائص؛ لأن الذى يرى نفسه مفضلاً مكرماً ذا شرف ومنزلة يترفع عن الدنيا والخسائس التى تدنس شرفه وتذهب بفضله، أما الذى يرى نفسه ذلاً ساقطاً خسيساً فإنه لا يبالي ما يفعل.

4- أن يكون له فراسة يتوسم بها حال السامعين ليعرف مبلغ طاقتهم وقدر؛ استحقاقهم وإقبالهم على الانتفاع، ليعطيهم ما يتحملون ويمسك عما لا يطيقون ويوجز إذا خشى الانصراف، أو رأى عليهم مللاً أو سامة قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: إذا أنا لم أعلم ما لم أرى فلا علمت ما رأيت وقال عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما: "لا عاش بخير من لم يرى برأيه ما لم يرى بعينه"، قيل لعمر بن العباس: ما العقل؟ قال: الإصابة بالظن، ومعرفة ما يكون بما قد كان، وإنما ركب الله العقل فى الإنسان دون سائر الحيوان ليستدل بالظاهر على الباطن، ويفهم الكثير، وإذا كان الواعظ الناصح بهذه الصفة لم يضع له عناء ولم يخب على يديه أحد، وإن لم يتوسمهم وخفيت عليه أحوالهم كانوا وإياه فى عناء مكّد وتعب غير

مجد، فإنه لا يعدم أن يكون منهم ذكى محتاج إلى الزيادة، وقاصر يكتفى بالقليل فيضجر الذكى ويعجز القاصر، ومن تردد أصحابه بين عجز وضجر ملوه وملهم، وقد حكى عبد الله بن وهب أن سفيان بن عبد الله قال: قال الخضر لموسى عليهما السلام: يا طالب العلم إن القائل أقل ملالة من المستمع، فلا تمل جلساءك إذا حدثتهم يا موسى، واعلم أن قلبك وعاء فانظر ما تحشو في وعائك وعلى هذا نقول: خير المرشدين الفطن الذى لا يقل ولا يمل. والله ولى التوفيق.

صفات يجتنبها الواعظين

أمر كثيرة لابد أن يحذر منها الواعظين ولا يخوضون في الحديث عنها مثل: الخوض في دقائق علم الكلام كخلق الأفعال، ورؤية الباري يوم القيامة مخافة اختلال يتطرق إلى عقائد العامة يصعب عليهم الخلاص منه، فالصواب لهم الاقتصار في أمر الدين وواجب الإسلام على أن يملئوا قلوب الناس بالتصديق الجازم بكل ما جاء به الرسول الصادق الأمين صلوات الله وسلامه، وقبوله والإذعان له تصديقا سليما من كل شك بالمقدار الذي نطق به الكتاب وصحت به السنة؛ فإن النبي ﷺ لم يطالب أحدا بسوى ما ذكرنا، وكذا الخلفاء الراشدين (الراشدون) وكذا الصحابة. والحق لو تشكك إنسان في شيء من أصول العقائد مما لابد من اعتقاده ولم يزل شكه إلا بتعليم دليل من أدلة المتكلمين وجب ذلك لإزالة الشك وتحصيل ذلك الأصل.

وفي المتشابه من آيات الصفات وأخبارها نوجز ونقول: الجميع في الأمة الإسلامية يؤمن بأن الله تبارك وتعالى منزّه عن مشابهة المخلوقات، وقامت البراهين العقلية والنقلية على هذه العقيدة، فكانت هي الأصل في الاعتقاد الذي يجب أن يرد إليه غيره (وهو التنزيه) فإذا جاء في نصوص الكتاب والسنة شيء يناهض ظاهره فللمسلمين فيه طريقان: الأول: طريقة السلف وهي التنزيه الذي أيد العقل فيه النقل كقوله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، وحقيقة ذلك أو فهمها نفوض فيها الأمر إلى الله مع العلم بأن الله تعالى يعلمنا بمضمون كلامه ما نستفيد به في أخلاقنا وأعمالنا وأحوالنا، ويأتينا في ذلك بما يقرب المعاني من عقولنا ويصورها لمخيلاتنا كما في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ونحن لا نعلم حقيقة معنى ذلك وما المراد به مع أننا نعتقد أن الله تعالى منزّه عن الحلول وعن سمات الحدوث، فهذه طريقة السلف وهي أسلم إذ لا يطالب العبد بالخوض من ذلك.

أما الثاني: طريقة الخلف وهي التأويل، يقولون: إن قواعد الدين

الإسلامى وضعت على أساس العقل، فلا يخرج شيء منه عن المعقول، فإذا جزم العقل بشيء وورد في النقل خلافة يكون الحكم العقلي القاطع قرينة على أن النقل لا يراد به ظاهره، ولا بدله من معنى موافق يجمل عليه، فينبغي طلبه بالتأويل ولا مانع من السير على كلا الطريقتين في فهم وبيان المتشابه، كما قال العلماء؛ لأنه لا بد لكلام الشارع من فائدة يحمل عليها؛ لأنه لم يخاطبنا بما لا نستفيد منه معنى.

ونجد مما تقدم اتفاق السلف والخلف على التنزيه، وصرف النص الموهوم عن ظاهره المحال عليه تعالى، لكنهم اختلفوا بعد ذلك في تعيين المراد من ذلك النص وعدم التعيين بناء على الوقف على قول الله تعالى: **{وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}** فيكون معطوفاً على لفظ الجلالة، وجملة **{يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ}** حينئذ مستأنفة لبيان سبب التماس التأويل، أو على قوله: **{إِلَّا اللَّهُ}**، وقوله: **{وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}**، استئناف، وذكر مقابله في قوله تعالى: **{فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ}** أى كالمجسمة، فمنهم من يقول: إنه على صورة شيخ كبير، ومنهم من قال: إنه على صورة شاب حسن تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وتعالى ربه عما يصفون فإن الله ليس كمثله شيء.

والأوجب البعد عن المخاطرة فيما لا ضرورة بل لا حاجة إليه، والعلم بأن الله تبارك وتعالى منزّه عن الحلول وسمات الحدوث، وكل شيء يتم بقدرته وكيفية ذلك نفوض فيه الأمر لله تعالى، ونكتفى بأن نؤمن ونيقن تماماً بأن الله على كل شيء قدير، وهذا ما يرد به الواعظ على من يشاء الخوض في هذه الأمور.

ومما يلزم اجتنابه التحدث مع العوام بما لا تفهمه ولا تعقل ولا تتفهم معناه، فذلك إنه يضع الحكمة في غير موضعها وهو ظلم؛ لأن سامعها إما أن يفهمها على غير صحتها وهو الغالب مما يؤدي إلى الفتنة التي تؤدي إلى العمل بالباطل والتكذيب بالحق، وإما أن لا يفهم منها شيئاً وهو أسلم، ولكن المتحدث لم يعط حقها من الصون بل صار في التحدث بها معهم ولا

ييالى غير أنه ألقاها لمن لا يعقلها أو يفهمها فى صوابها، ثم إن ألقاها لمن لا يعقلها فى معرض الانتفاع بعد تعقلها كان من قبيل التكليف بما ليس فى الوسع، وقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك فأخرج أبو داود أن رسول الله ﷺ: **«نهى عن الغلوطات»** قالوا: وهى صعاب المسائل أو شرارها والغلوطات هى ما يغلط فيه وما يغالط من صعاب المسائل.

وروى الترمذى: أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، أتيتك لتعلمنى من غرائب العلم فقال عليه الصلاة والسلام: **«ما صنعت فى رأس العلم؟»** قال: وما رأس العلم قال: **«هل عرفت الرب؟»** قال: نعم قال: **«فما صنعت فى حقه»** قال: بما شاء الله، فقال رسول الله ﷺ: **«أذهب فاحكم ما هنا لك ثم تعالى أعلمك من غرائب العلم»**، أى أن من الحكمة ألا نتعلم الغرائب إلا بعد إحكام الأصول وأمور الدين وما لنا فيه وما علينا، وإلا وقع السامع فى الفتنة وقالوا فى العالم الحكيم: إنه هو الذى يربى بصغار العلم قبل كباره، وقال الإمام البخارى: باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية ألا يفهموا، وفى مسلم مرفوعاً عن ابن مسعود رضى الله عنه: ما أحد يحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم، وذلك أن يتأولوه غير تأويله، ويحملوه على غير وجهه وهو فتنة تؤدى إلى التكذيب بالحق وإلى العمل بالباطل.

ومن حديث ابن عمر مرفوعاً: **«أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس على قدر عقولهم»**، وقال عيسى عليه السلام: **«لا تضعوا الحكمة فى غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء فى موضع الداء»** وفى معنى ذلك ما روى عن سفيان الثورى رحمه الله أنه سئل عن العالم من هو؟ فقال: من يضع العلم موضعه، ويؤتى كل شىء حقه، وقال بعض العارفين: من كلم الناس بمبلغ علمه وبمقدار عقله، ولم يخاطبهم بقدر حدودهم فقد بخسهم حقهم، ولم يحم بحق الله فيهم؛ ولذا قيل كل لكل عبد بمعيار عقله، وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك، وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار فليحذر الواعظ

الشطح بكلمات غير مفهومة لها ظواهر رائعة معجبة وفيها عبارات هائلة وليس طائل ولا منها فائدة.

فلا ينبغي أن يشوش بذلك اعتقاد السامعين وبذكر اصطلاحات المتكلمين، بل ينبغي على المرشد الواعظ أن يخلى طريقته وأسلوبه الذي يسلكه، ويقتصر معهم على تعليم العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج مع بيان سر مشروعاتها من غير تدقيق في مسائلها ولا ذكر اختلاف الآراء فيها، والحث على الأمانة والإحسان في المعاملات التي هم بصددتها، ويملاً قلوبهم من أنواع الرغبة والرغبة بالجنة والنار، وبلايا الدنيا وأهوال يوم القيامة كما جاء القرآن الكريم وصرحت به السنة الشريفة والآثار الصحيحة، ولا يحرك عليهم شبهة من الشبه الكلامية والإشكالات الفقهية، فإنه ربما تعلق بقلوبهم ويعسر عليهم حلها فيقعون في الفتنة والهلاك بسوء تصرفه.

ومما يلزم اجتنابه صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا تحتلها الألفاظ ولا فائدة فيها، كما فعلوا الباطنية وهم جماعة من الملاحدة نسبوا أنفسهم إلى علم الباطن حيث قالوا: للقرآن والحديث ظاهر وباطن والمراد، منهما باطنهما دون ظاهرهما، وحرفوا الألفاظ إلى معاني أخرى غير مفهومة حتى أنهم تركوا أركان الإسلام من صلاة وزكاة وصيام وحج زاعمين أن لها معاني غير ما عمل به، رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه فالقول بهذا خروج من ملة الإسلام لا تنفع معه صلاة ولا زكاة ولا حج ولا صيام وما أفضى إلى هذا الضلال المبين: إلا التوسع في باب التأويل فهذا حرام في الشرع وضرر على الناس كبير، فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع عليه الصلاة والسلام وعن أصحابه رضى الله عنهم، ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل، اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله عز وجل وكلام رسوله صلوات الله وسلامه عليه فإن ما يسبق منه إلى الفهم إن خرج عن جادة

الشرعية لا يوثق به، والباطن لا ضبط له ولا معول عليه فيما يخالف ظاهر الشرع بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى أيضا من البدع المنكرة البالغة الضرر، وإنما قصد أصحابها الإغراب؛ لأن النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له.

ألفاظ الوعظ وأسلوبه

يكثر السجع في كلام بلغاء العرب ومواعظ المتقدمين كالإمام على رضى الله عنه والحسن البصرى وغيرهما، والسجع نوعان: حسن وقبيح، فالحسن ما توافرت فيه الشروط الآتية:

أولاً: أن يكون بعيداً عن التكلف والتعسف.

ثانياً: أن تكون كل سجة دالة على معنى مغاير لمعنى غيرها.

ثالثاً: أن تكون الألفاظ المسجوعة المستخدمة حلوة المذاق وبهذا يكسب الكلام حسناً وجمالاً، والسجع القبيح ما خلا من هذه الشروط الثلاث كقول الكاهن: والسماء والأرض والقرض والقرض والغمر والبرض (والبرض الماء القليل وهو خلاف الغمر وهو الكثير) فمثل هذا من السجع مذموم لما فيه من التكلف والتعسف؛ ولهذا كرهه النبي ﷺ، فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لکاتب: «إياك والسجع فإن النبي ﷺ وأصحابه كانوا لا يسجعون» (رواه أحمد).

وروى البخارى من رواية عكرمة عن ابن عباس قال: «حدث الناس كل جمعة مرة» فذكر الحديث وفيه: «وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فإنى عهدت النبي ﷺ وأصحابه لا يفعلون ذلك».

وكل هذا محمول على التكلف فى السجع فإن خلا عن التكلف وإعمال الفكر، وكان لکمال فصاحة الداعى أو لكونه محفوظاً مثلاً فلا بأس به، بل هو حسن ويدل عليه ما فى الصحيحين من حديث عبد الله بن أبى أو فى رضى الله عنهما من قوله عليه الصلاة والسلام: «اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم».

وروى البخارى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة»، والهامة كل ذات سم يقتل والعين اللامة التى تصيب بسوء.

ومن أمثلة السجع الحسن قول الإمام أبي القاسم محمود الزمخشري:
يا أبا القاسم حتام تلهو وتلعب، وغراب البين فوقك ينعب، وإلام تروح في
التماس الغنى وتغدو، وسائق الردى وراءك يحدو، ألا وإن بذل الاستطاعة
واستقصاء الجد في الطاعة، أولى بمن يركب الآلة الحدياء بعد ساعة،
كأنى بجنارتك يسرع بها إلى بعض الأجداث، وبأهل ميراثك هجروك بعد
الثلاث، وغادروك وأنت معفر مطروح، فضمك لحد وضريح، ولم يبق إلا
عملك الذي لزمك في حياتك لزوم صحبك وهو يستبقى صحتك بعد قضاء
نحبك، فيصحبك على التخت مغسولا ويرافقك على النعش محمولا، ويكون
معك على الإكفاء في المصلى، ويحالفك وأنت في الحفرة مدلى. فإذا
راعتك نفخة النشر وفاجأتك أهوال الحشر وفر منك أبوك وأمك وأخوك،
وجدته يغد منك أينما تغد، ويرد حيثما ترد ولعلك تستصحب من هذا
القرين صاحب صدق يؤنسك في وحشتك ويلقى عليك السكينة في حين
حيرتك ودهشتك، ويمهد لك في دار الإسلام المهاد والأثر ويوردك
السلسيل والكوثر.

وقال أيضا: أَرْضَى الناس بالخسار، بائع الدين والدنيا، ق فاك مما
يقرع قفاك، قد جمع الأصل والفرع، من تبع العقل والشرع، إن صح السر
صح العلن، وإن لم يصح فلن ولن ن شينان شينان في الإسلام الرشوة
والشفاعة في الأحكام، رب زيادة هي نقصان فائدة، والكف تنقصها
الأصبع الزائدة، قد يلد مثل الحسن مثل الحجاج، واللؤلؤ يخرج من الماء
الأجاج، شعاع الشمس لا يخفى. سراج الحق لا يطفأ، تقول أنا صائم،
وأنت في لحم أخيك سائم، أعمالك نية إن لم ينضجها نية أطلب وجه الله
فيما أنت صانع، وإلا فعملك كله ضائع.

وقول الحريري: إلام تستمر على غيك، وتستمرى مرعى بغيك ؟
وحتام تتناهى فى زهوك ولا تنتهى عن لهوك؟ أتظن أن ستنتفع حالك، إذا
أن ارتحالك أو ينفذك مالك حين توبقك أعمالك، أو يغنى عنك ندمك، إذا
زلت قدمك، أو يعطف عليك معشرك، يوم يضمك محشرك؟ هلا انتهجت

صححه اهتدائك، وعجلت معالجة دائك، أما الحمام ميعادك فما إعدادك، وبالمشيب إنذارك فما إعدارك وفي اللحد مقيلك فما قيلك ؟ وإلى الله مصيرك، فمن نصيرك ؟

وقال: في التحذير من المغرور: يا أيها المغرور بالسلامة، ما أعددت ليوم القيامة يوم الحسرة والندامة يوم يجعل الولدان شيبا، يوم يدع المسرور كئيبا، الدنيا دار تجارة فالويل لمن تزود منها الخسارة.

وقال الأصبهاني: يا من يسعى لقاعد ويسهر لراقده، ويا من يحرس لراصد ويزرع لحاصد، ويخل لبازل ويجمع لآكل، تبنى الإيوان وعن قليل ينهدم ركنك وتبسط الرواق وفي الجذث سكنك، قلب كقلوب الكفار، وحرص كحرص الفار، ينقب بالأظفار، ولا يبقى على المأدوم والفقار. قل لي إذا وقعت الواقعة وقرعت القارعة، أزع لك الرحيل، واجتمع الطبيب والعليل، واختلف الغسال والغسيل، والعائد يغمز عينيه، والطبيب يقلب كفيه، حتى إذا انقطع نفسك وخفى جرسك أينفعك حينئذ حلال أصبته أم حرام غصبته، أم نشب حرشته أو ولد حضنته أو ربع أسسته أو نبع غرسته أو حطام حرسته أو قفر حرثته، أو فر أو ورثته ؟ كلا لا ينفعك فيء قد غنمته، ولا يضرك شيء عدمته، ولا ينجيك إلا خير أمضيته، أو خصم أرضيته، فانتبه يا نائم، واستقم يا هائم، لقد تهت: في بادية لا يبلغك ندائي، وترديت في هاوية لا يبلغها ردائي، يغيم هواؤك ويصحى حين لا ينفعك نصحي، ولا تعصى الله في أولاد سوء إذا حضرك الموت غابوا، وما حزنوا لما أصيبوا بل فرحوا بما أصابوا، وأن تدعهم لا يسمعوك ولو سمعوا ما استجابوا.

هذا من أمثلة السجع الحسن الذي يمكن أن يستخدمه المرشد الناصح في دعوته وأسلوبه فيها كي يؤثر في قلوب سامعيه.

أما الكلام المقفى الموزون وهو الأشعار فالإكثار منها في طريقة وأسلوب المرشد الناصح مذموم قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا

يَنْبَغِي لَهُ} ولأن الشعر مقر الكذب كما قالوا: «أحسن الشعر أكذبه» وقال بعض الحكماء: لم ير متدين صادق اللهجة مفلقا في شعره (أفلق الرجل واقتلق وشاعر مفلق أتى بالعجيب) ولذا ما أسلم منهم جماعة وكانوا مفلقين ضعف شعرهم مثل حسان وليبيد، وقد فطن حسان من نفسه ذلك وقد اختلفوا في مدح الشعر وذمه، وأحسن ما قيل فيه يقول الإمام الشافعي رحمه الله حين سئل عن ذلك: الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح، وروى مثل ذلك عن عائشة رضى الله عنها.

وأكثر ما اعتاده المرشدين الواعظين من الأشعار ما يتعلق بالتواصف في العشق والجمال وجمال المعشوق وروح الوصال والتشوق إليه، والتشكى من ألم الفراق كإنشاد قول ابن الغارض:

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا	سر أرق من النسيم إذا سرى
عنى خذوا ولى اسمعوا وبى	وتحدثوا بصبايتى بين
اقتدوا	الورى

وقول: أبى بكر البصرى من أكابر المحبين:

ولو قيل طأ فى النار أعلم أنه	رضا لك أو مدن لنا من وصالك
لقد مت رجلى نحوها	سروراً لأنى قد خطرت
فوطنتها	ببالك

فإن كان الواعظ مستخدماً للشعر فى وعظ العامة فينبغى له أن لا يستعمل من الشعر إلا ما فيه موعظة ظاهرة يرتدع بها عن خبث الباطن أو حكمة نادرة يتعظ بها فى كشف السر الكامن كقول الإمام الشافعي رحمه الله:-

دع الأيام تفعل ما تشاء	وطب نفساً إذا نزل القضاء
ولا تجزع لحادثة الليالى	فما لحوادث الدنيا بقاء
إذا ما كنت ذا قلب	فأنت ومالك الدنيا
قنوع	سواء

وقول صالح بن عبد القدوس:

واحرص على حفظ القلوب من
الأذى
إن القلوب إذا تنافر ودها
وأحذر مأخاة الدنى
لأنه

فرجوعها بعد التنافر يصعب
شبه الزجاجة كسرها لا يشعب
يعدى كما يعدى الصحيح
الأجرب

وقال آخر في التحذير من إطلاق النظر إلى النساء:-

كل الحوادث مبداها من النظر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها
يسر مقلته ماضر
مهجته

ومعظم النار من مستصغر
الشـر
في أعين الغيد موقوف على
الخطـر
فعل السهام بلا قوس ولا وتر
لا مرحبا بسرور جاء
بالضرر

وقال آخر: في حفظ اللسان:-

إذا شئت أن تحيا سليما من
الأذى
لساتك لا تذكر به عورة امرئ
وعينك إن أبدت إليك معايبا
فعاشر بمعروف وسامح من
اعتدى

وحظك موفور وعرضك صين
فكلك عورات وللناس ألسن
لقوم فقل يا عين للناس أعين
وفارق ولكن بالتى هى
أحسن

وقال آخر: في الحث على الرضاء والتسليم:

يا هذه النفس أعلمى
والحادثات جليها
والعالمون صغيرهم
لا تجزعى يا

أن الأمور لها انقضاء
وحقيرها محض ابتلاء
وكبيرهم فيها سواء
إن الله يفعل ما

يشاء

نفس

وأنشد عبد الصمد بن الفضل بن عيسى بن أبان الرقاش الخطيب
القاص:

أرض تخيرها لطيب مقلها	كعب بن مامة وابن أم داود
جرت الرياح على محل ديارهم	فكأنهم كانوا على ميعاد
فأرى النعيم وكل ما يلهمي	يوما يصير إلى بلى
به	ونفاد

(وهذا من شعره القصصى).

وخطب عبد الله بن الحسن رضى الله عنهما على منبر البصرة فى
يوم العيد قال:

أين الملوك التى عن حظها	حتى سقاها بكأس الموت
غفا	ساقياها
تلك المدائن بالآفاق	أمسى خلاء وذاق الموت
خالية	بانيها

فالشعر بهذا الأسلوب والألفاظ السابق ذكرها لا بنس أن يستخدمه
الواعظ على سبيل الاستشهاد لكلامه واستئناساً لما يورده من أحكام، فقد
روى البخارى من حديث أبى بن كعب رضى الله عنه أن النبى عليه
الصلاة والسلام قال: «إن من الشعر لحكمة».

إعداد موضوع الموعظة

لكي تكون موعظة المرشد قوية ومؤثرة وبلغية فليعتمد إلى المنكرات الفاشية وخاصة ما كان منها قريب العهد، وما زال حديثه على ألسنة الناس أو في فكرها، ويقدم من هذه الأحداث والمواقف المؤثرة في النفوس أكبرها ضررا وأسوأها أثرا، فيجعله محور خطابه وموضوع عظته، ثم يفكر فيما ينشأ عن هذا الحادث أو المنكر من سلبيات وأضرار خلقية واجتماعية وصحية ومالية، ويدون هذه الأفكار في نفسه أو بقلمه، ثم يستحضر ما جاء فيه من الآيات الحكيمة من القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة وأثار السلف الصالح وما شابه أحداث تمت في عهدهم، وماذا فعلوا تجاهها، ويخرج من ذلك بدروس مستفادة يشرحها للسامعين حتى يثبت في عقولهم وقلوبهم عظته التي يريد بثها في قلوبهم.

ويمكنه كتابة الموضوع إن شاء كتابته مضمونه ما جاء من تلك الأحداث، وما ورد فيها عن الشارع محذرا من الوقوع فيها حاثا على التوبة منها هذا، إذا أراد الإقلاع عن جريمة أو التنفير من رذيلة، وإذا أراد الواعظ الحض على الأعمال الصالحة المشروعة النافعة، أو الحث على خلق فاضل فليفكر في مزاياه وآثاره الحسنة تفكيراً عميقاً، وليستحضر ما يناسبه من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح، ثم يسلك في الكتابة المسلك الذي ذكرناه متجنباً السجع المتكلف والمحسنات الثقيلة التي كثيراً ما تخفى الأغراض وتحجب المعاني، وينبغي أن يكون تفكير المرشد الناصح في جو هادئ بحيث لا يحول بينه وبين حديث النفس ومراجعة العقل أي حائل، كما يكون تفكيره فارغاً من الشواغل النفسية ومقللاً من الطعام والشراب حتى لا تذهب بطنته بفطنته كما يقولون العلماء الأجلاء، ويكون نشطا خفيف الروح حاضر الذهن سريع الخاطر حاضر البديهة.

وإذا كتب الموضوع فإن شاء حفظه وألقاه، وإن شاء قرأ مضمونه، وليحذر من قراءته على الناس في ورقة فذلك يضعف قوته ويذهب بتأثيره في القلوب والنفوس، وإلقاء الموعظة حفظاً من ذهنه أقوى في القلوب

ويجعله ذا هيبة علمية أمام السامعين مما يجعلهم يثقون فيه ويؤثر فيهم، فعلى المرشد كتابة الموضوع ورسمه وحفظه في ذهنه أو رسم أفكاره الرئيسية في ذهنه ويكون ملماً بالآيات والأحاديث التي سيذكرها في موضوع خطابته، فإن فعل الواعظ هذا الإعداد وسار عليه جيداً آمن من الذلل والاضطراب، ويكون موضوعه أمام سامعيه وفي آذانهم وقلوبهم بصورة ثابتة وبِعَظِيم الفائدة، أما بدون إعداد الموضوع واستحضاره تماماً، وتقسيمه قبل الدخول فيه فلا يأمن الواعظ أن يتخبط فيه، ولا يبقى له مثال في نفوس السامعين ولا يستفيدون منه شيئاً.

ثم بعد ذلك ينبغي للداعي أن يراعى حال التأدية، استعداد السامعين فيتنزل في العبارة مع العامة على قدر عقولهم، حيث يتخير لهم من العبارات التي تناسب عقولهم حتى يستطيعون فهم ما يقوله بسهولة، ويثبت في عقولهم ويصعب عليهم نسيانه، فعليه تجنب الألفاظ البعيدة عن مداركهم، ويتوسط مع الأوساط، ويتأنق مع الخاصة فيكون مع جميع الطبقات حكيماً يضع الأشياء في مواضعها ولا ينشغل بظواهر كلامه من زخرف باطل؛ لأن مقصوده ليس البهرجة الكاذبة، ولكن مقصوده، توصيل الموعدة الحكيمة بشكل واضح وثابت في عقول ونفوس سامعيه، فلا بد أن يختار المعاني النفسية وتنسيقها وشرحها بالدقة، وصوغها في قالب لطيف، مستعينا في إبلاغها لأذهان سامعيه بالحكم النثرية والشعرية، والمواقف التاريخية اللطيفة، ومع الفكاهات الأدبية. ومن الحكم النثرية قول الإمام الشافعي رحمه الله: أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه، ورغب في مودة من لا ينفعه، ومدح من لا يعرفه، وقال: أظلم الناس لنفسه اللئيم إذا ارتفع جفا أقاربه، وأنكر معارفه واستخف بالأشراف وتكبر على ذوى الفضل، وقوله: التواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة، وأرفع الناس قدراً من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلاً من لا يرى فضله. وقال بعض الحكماء: لا تحمل بطنك ما لا تطيق، ولا تعمل عملاً لا ينفعك، ولا تثق بامرأة ولا تغتر بمال وإن كثر، وقولهم: ثروة العاقل في

علمه وثروة الجاهل في ماله وهم السعيد آخرته وهم الشقي دنياه.

وقولهم:- ارفع علم الحق يتبعك أهله - العقل والهوى ضدان فقيرين العقل التوفيق، وقرين الهوى الخذلان، والنفس طالبة فبأيهما ظفرت كنت في حزبه، أحق من عطفك عليه بحلمك من لم يستشفع إليك بغيرك. يسار النفس أفضل من يسار المال، ومن أحسن وهو على ظهر الأرض لن يساء إليه في بطنها، من كساه الحياء ثوبه خفى على الناس عيبه.

ومن أقوال وحكم سيدنا على كرم الله وجهه :

- * أدب المرء خير من ذهبه.
- * بشر نفسك بالظفر بعد الصبر.
- * خف الله تأمن غيره.
- * خليل المرء دليل عقله.
- * صاحب الأخيار تأمن الأشرار.
- * عش قنعا تكن ملكا.
- * وحدة المرء خير من جليس السوء.
- * كما تزرع تحصد وكما تدين تدان.
- * الحازم من حفظ ما في يده ولم يؤخر شغل يومه لغده.
- * شر الناس من لا يبالي أن تراه الناس مسيئا.

وقال حكيم: اجتنب سبع خصال ستريح جسمك وقلبك، ويسلم لك عرضك ودينك: لا تحزن على ما فاتك، ولا تحمل هم ما لم ينزل بك، ولا تلم الناس على ما فيك مثله، ولا تطلب الجزاء على ما لم تعمل، ولا تنتظر بشهوة إلى ما لم تملك، ولا تغضب على من لم يضره غضبك، ولا تمدح من لم يعلم من نفسه خلاف ذلك.

ومن الحكم المأثورة: لسان العاقل من وراء قلبه فإذا أراد الكلام رجع

إلى قلبه، فإن كان له تكلم وإن كان عليه أمسك، وقلب الأحق من وراء لسانه، يتكلم بكل ما عرض له، وقال معاذ رضى الله عنه: أنت سالم ما سكت فإذا تكلمت فعليك أو لك.

وقال بعض الحكماء: الزم الصمت فإنه يكسبك صفو المحبة، ويؤمنك سوء المغبة ويلبسك ثوب الوقار، ويكفيك مؤنة الاعتذار، أجدر الناس بالصنيعة من إذا أعطى شكر وإذا منع عذر وإذا مطل صبر وإذا قدم العهد ذكر، وقيل: ألام الناس من إذا سأل خضع وإذا سئل منع وإذا ملك كنع (يمسك ويمنع) ظاهره جشع وباطنه طمع، وقيل أيضا: أجل الناس من عفا إذا قدر وأجمل إذا انتصر ولم تطغه عزة الظفر، وأنعم الناس عيشا من تحلى بالعفاف ورضى بالكفاف وتجاوز ما يخاف إلى ما لا يخاف.

ومن الحكم الشعرية قصيدة أبى الفتح البستي ونذكر جزءا بشرحه:

زيادة المرء فى وربحه غير محض
دنياه نقصان الخير خسران

وقال العلماء فى شرح هذا البيت ونذكره ليتعلم الواعظ كيف يستخدم فى موعظته هذا الأسلوب الطيب: الزيادة النمو يجىء لازما ومتعديا وهذا لزم لوقوعه فى مقابلة النقصان وهو لازم، الربح اسم ما ربحه ويجىء مصدرا أيضا وضده الخسران، المحض الخالص الخير ضد الشر والمعنى: زيادة كل امرئ فى دنياه زيادة تشغله عن الله عز وجل نقصان فى الحقيقة، وما ربحه من المال فى الدنيا خسران فى الحقيقة إلا إذا كان خيرا محضا وهو ما يبتغى به الدار الآخرة، والجمع بين الزيادة والنقصان والربح والخسران طباق.

وكل وجدان حظ لا فإن معناه فى
ثبات له التحقيق فقدان

والمعنى كل نصيب من دار الدنيا أصابه المرء لا دوام له، فإنه عند إمعان النظر عدم فلا يعول عليه ولا يركن، والذي يعول إليه عند أولى

النهى الحظوظ الأخروية؛ لأنها الباقية، ولو ذكرت الفاء بدل الواو ليكون تعليلاً لما تضمنه البيت الأول لكان أوجه وأبلغ.

يا عامراً لخراب بالله هل لخراب العمر
الدهر مجتهداً عمران؟

والمعنى: يا عامر لما خربه مرور الزمان باذلاً طاقته في كل أوان أخبرني هل عامر لخراب عمرك موجود؟ والجمع بين العمارة والخراب طباق وبين العمر والعمران تجنيس عام.

ويا حريصاً على الأموال أنسيئت أن سرور
يجمعها المال أحزان

والمعنى: يا جشعاً في جمع الأموال أنساك الحرص على جمع المال كون سرور المال هموماً وأحزاناً، أما في الدنيا فكما ترى، وأما في الآخرة فلأنه يحاسب عليه من أين جمعه وفيم أنفقه وكذلك الجمع بين السرور والأحزان طباق.

دع الفؤاد عن الدنيا فصفوها كدر والوصل
وزينتها هجران

والمعنى: لما كان سرور المال يوجب الأحزان ينبغي أن تبعد قلبك عن حب الدنيا والافتتان بزینتها؛ لأن ما تصورت صفوه منها بخلافه ووصلك إياها هو في الحقيقة قطيعة.

وأرع سمعك أمثالا كما يفصل ياقوت
أفصلها ومرجان

والمعنى: أن يتبين ويتخير ما يسمع آذانه بل يسمعها ما هو حلال ويبعد عن ما حرم من السمع.

أحسن إلى الناس تستعبد فطالما استعبد الإنسان
قلوبهم إحسان

والمعنى: المرء ببره يسترق الحر ويستحق الشكر ويمتلك قبول الناس وحبهم له وذلك بإحسانه لهم وحسن معاملته.

يا خادم الجسم كم تسعى أطلب الربح مما فيه
لخدمته خسران

والمعنى: يا من يخدم جسمه ويطلب إرادته كثر سعيك لخدمته، وينبغي للعاقل ألا يسعى وراء شهوته فليس في ذلك ربح له بل فيه خسران؛ لأن في خدمته تقويته وهي توجب استيلاء القوة الشهوية والغضبية، ومن غلبت عليه هذه القوة التحق بالحيوانات.

أقبل على النفس واستكمل فأنت بالنفس لا
فضائلها بالجسم إنسان

المعنى: لما زجر عن خدمة الجسم لسوء مغبتها أمر بتربية النفس، وذلك بتحليلتها بالأخلاق الحميدة، والصفات الحسنة وتنزيهاها عن المذمومات من الأخلاق والصفات والعلائق البدنية وشهواتها فإن الإنسان إنسان بروحه لا بجسمه.

وإن أساء مسيء عروض ذلته صفح
فليكن لك في وغفران

والمعنى: أي لا تشتغل بإساءة من أساء إليك، بل أعرض عنه واستر ذلته.

وكن على الدهر معاوناً لذى يرجو نداك فإن الحر
أمل معاون

المعنى: من كان يرجو منك عطاء يستعين به على نوائب الزمان فحقق أهله أمله لأن ذلك دأب الكريم.

واشدد يدك بحبل الله فإنه الركن إن خانتك
معتصماً أركان

والمعنى استمسك بعهد الله ودينه الذي رضيهِ لسعادة الناس، فإن من استمسك به فقد استمسك بالركن الذي لا يشقى أبداً من لجأ إليه واعتصم به في دينه ودنياه.

مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَحْمَدِ وَيُكْفِهِ شَرَّ مَنْ عَزَا
فِي عَوَاقِبِهِ وَمَنْ هَانُوا

المعنى: من يطع الله بامتثال الأوامر واجتناب النواهي كان محموداً في عواقب ذلك، ويدفع الله عنه شر جميع الناس سواء أكانوا أعزاء أم أدلاء.

مَنْ اسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ ... فَإِنْ نَاصَرَهُ عَجَزَ
فِي طَلَبِ وَخِذْلَانِ

ومعنى هذا البيت واضح ومفهوم وخلاصته إن استعنت فاستعن بالله.

مَنْ كَانَ لِلْخَيْرِ مَنَاعاً ... عَلَى الْحَقِيقَةِ إِخْوَانِ
فَلَيْسَ لَهُ وَأَخْدَانِ

والمعنى: من كان دأبه منع الناس من الخير فليس له في الواقع صاحب ولا صديق، وكان شريراً عدواً لنفسه ولغيره، ومن أظهر له المحبة فإما لدفع شره أو لغرض آخر وليس في الواقع محباً ولا صديقاً له.

مَنْ جَادَ بِالْمَالِ مَالِ النَّاسِ ... إِلَيْهِهِ وَالْمَالُ
قَاطِبَةٌ لِلْإِنْسَانِ فَتَانِ

والمعنى: من سخا بالمال أحبه الناس جميعاً وانقادوا له، فإن طبيعة المال سحر النفوس وجذب القلوب إلى صاحبه.

مَنْ سَالَمَ النَّاسَ يَسْلَمُ مِنْ ... وَعَاشَ وَهُوَ قَرِيرُ
غَوَائِلِهِمُ الْعَيْنِ جَذْلَانِ

والمعنى: من دار مع الناس ولم يعاند معهم سلم من شرورهم وعاش مطمئناً هادئ البال فرحاً مسروراً.

من كان للعقل سلطانا وما على نفسه للحرص
عليه غدا سلطانا

والمعنى: أن من كانت أعماله صادرة عن سلطان دين وعقل لم تغلب عليه شهوة ولا الحرص والطمع وكان محبوباً لدى الله والناس أجمعين.

من مد طرفاً لفرط الجهل نحو أغفى عن الحق يوماً وهو
الهوى خزيان

المعنى: من مد عينه إلى جانب هوى نفسه الأمانة بالسوء لتجاوز جهله الحد، وأغمض عينيه عن رؤية الحق، وأعرض عنه في يوم أى يوم ويكون خزيان في ذلك اليوم مهان حيران، فالعاقل من لا يجعل زمام عقله في يد نفسه وهواه.

من استشار صروف على حقيقة طبع الدهر
الدهر قام له برهان

المعنى: من رجع إلى حوادث الزمان ومصائبه ونظر إليها بالعين السليمة ظهرت له الحجة القاطعة على طبيعة الزمان وأنه لا يؤمن غائلته.

من يزرع الشر يحصد في ندامة ولحصد الزرع
عواقبه إبان

والمعنى: من يعمل عملاً صالحاً يجد خيره في الدنيا والآخرة وقت الحساب ومن يعمل عملاً يعصى فيه الله يجد عاقبته يوم القيامة.

من استنـام إلى الأشرار نام قميصه منهم صل
وفى وثعبان

صل هي الحية التي لا يفيد معها علاج والمعنى: من صاحب الأشرار وخالطهم وصل شرهم إليه من حيث لا يدري، ولا يقدر على دفعه.

كن ريق البشر إن الحر صحيفة وعليها البشر

عنوان

هــمـتـه

والمعنى: كن طلق الوجه بشاشا ولا تكن منقضا عبوسا، فإن عادة الكريم إدخال الفرح ابتداء على أخيه خصوصا عند اللقاء كصحيفة جاءت من قريب أو حبيب تحمل البشارة، فإن من وصلت إليه تلك الصحيفة يحصل له الفرح والنشاط بمجرد النظر في عنوانها بخلاف ما إذا كانت معنونة بضدها فإنه يتألم لمجرد رؤيتها.

ورافق الرفق فى كل ... يندم رفيق ولم يذمه
الأمر فلم الإنسان

والمعنى: صاحب اللين فى كل الشئون فإن اللين من بنى الإنسان لا تلحقه ندامة ولا يذمه أحد من الناس، وإنما يذم الشديد المعاند.

ولا يغرنك حظ ... فالخرق هدم ورفق المرء
جره خرق بنيان

المعنى: لما أمر بالرفق واللين حذر من الغرور بنصيب جره إليه العنف والشدة لأنهما كالهدم والرفق كالبنيان.

أحسن إذا كان إمكان ... فلن يدوم على الإحسان
ومقدرة إمكان

والمعنى: واضحا فى أن من يقدر أن يساعد ويحسن فلا يتأخر عن ذلك.

فالروض يزدان بالأنوار ... والحر بالعدل
فاغمة والإحسان يزدان

والمعنى: أحسن ما دمت متمكنا من الإحسان قادرا عليه؛ لأن زينة الحر الكرم بالعدل والإحسان إلى الناس، كما أن الروض زينته بالأنوار المتفتحة فنزل الحر منزلة الروض، والعدل، والإحسان منزلة الأنوار المتفتحة.

صن حر وجهك لا تهتك
غلالتة
فكل حر لحر الوجه
صوان

والمعنى: صن ماء وجهك لا ترقه لأمر دنيوى لأن الكريم هو الذى يصون ماء وجهه ويحفظه عن كل لئيم كما يصون عرضه.

ولا ظل للمرء يعرى من
نهى وتقى
وإن أظلت ————— أوراق
وأفنان

والمعنى: أن من لم ينتفع بالعقل بنوعيه ولم يمتثل للأوامر ويجتنب النواهى فليس يعد فى زمرة الإنسان وإن كانت تظله أوراق الأشجار وأغصانها، وإن كانت صورته صورة الآدمى، فإنه فى الحقيقة ليس بآدمى؛ لأن كل شىء خلق لغاية ولم تحصل عنه تلك الغاية كان فى حكم المعدوم.

والناس أعوان من والتة
دولته
وهم عليه إذا عاداته
أعوان

والمعنى: العون إذا استعمل باللام كان معناه المحبة وإذا استعمل بعلى فمعناه البغض، الموالاتة ضد المعاداة وهى المصادقة من قولك: ولىه عليه إذا أحبه وصادقه، ومن الولى ضد العدو، الدولة فى الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى، يقال: إذا كانت لنا عليهم الدولة والدولة بضم الدال فى المال يقال: صار الفىء دولة بينهم يتداولونه يكون مرة لهذا ومرة لهذا والإدالة: الغلبة يقال: اللهم أدلنى على فلان وانصرنى عليه.

سحبان من غير مال بأقل
حصر
وبأقل ————— من ثراء
المال سحبان

سحبان: رجل من بلغاء العرب يضرب به المثل فى الفصاحة والبلاغة والمعنى:

أن الرجل الفصيح البليغ مع الفقر لا يؤبه به ولا يسمع له، والرجل العيى الذى لا يكاد يبين مع الغنى موقر محترم وهذا من فساد الزمان.

لا تودع السر **فما رعى غنما في الدو**
وشاء به مذلا **سرحان** ::::

والمعنى: لا تقل سرّك عند من هو معروف بإفشاء الأسرار؛ لأنه لا يؤتمن عليه كذئب في فلاة لا يؤمن على الغنم، بل الغالب أنه يمزقها ويفرقها شبه السر بالغنم والوشى بالذئب، فكما أن صاحب الغنم يريد حفظها كذلك صاحب السر ينبغي له أن يحفظه من واش يفشيه، بين الناس كتفريق الذئب الغنم.

لا تحسب الناس طبعاً **غرائز لسـت تحصيهن**
واحدا فلهم **ألوان** ::::

والمعنى: لا تظن أن الناس طبيعة واحدة وغرائز متحدة؛ لأن غرائزهم متنوعة وطبائعهم مختلفة، فإذا اقتضت طبيعة بعضهم حفظ السر فلا تظن أن كل أحد أمين عليه.

ما كل ماء كصداء **نعم ولا نبت فهو**
لوارده **سعدان** ::::

والمعنى: ليس كل إنسان من دأبه إخفاء سر صديقه بل إخفاء أسرار الأحرار شيمة الكرام الأبرار، كما قيل في صدور الأحرار قبور الأسرار كما ليس كل ماء كماء صداء في السلامة والعذوبة لوارده، ولا كل نبت كنبت سعدان في المنفعة لراعيه.

لا تخذشن بمطل وجهه **فالبـر يـخدشه مطـل**
عارفة **وليان**

المعنى: لا تجرحن بأظفار مطلق وجه معروفك وإحسانك لأن المماثلة تشين البر والمعروف وقال بعض الحكماء: خير المعروف من لم يتقدمه مطل ولم يتبعه من، فخير البر عاجله، وأفضل الإحسان ما سلم من المن والأذى.

**لا تستشير غير ندب حازم قد استوى فيه إسرار
يقظ وإعلان**

المعنى: لا تستشر في أمورك إلا من توفرت فيه هذه الخصال الأربعة
الخفة في الحاجة وضبط الأمور والتيقظ والصراحة في الحق.

**فللتدابير فرسان إذا فيها ابروا كما للحرب
ركضوا فرسان**

والمعنى: لما نهى عن استشارة من لم يتوفر لديه شروط الاستشارة
تخيل أن المخاطب يحسب أن أهل التدبير انعدموا وأهل الاستشارة فقدوا
فأزال هذا التوهم بقوله: فللتدابير أي أن أهل الاستشارة باقون ولها رجال
إذا ركضوا في ميزان الرأي نفخوا من يرجع إلى رأيهم، كما أن للحرب
فرسان إذا جالوا في ميدان القتال غلبوا على أعدائهم وظفروا بهم.

**وللأمور مواقيت وكل أمر له حد
مقدرة وميزان**

المعنى: لما كان للأمور أوقات مقدرة وأزمان معينة فيكون لها نهاية
عينها الله تعالى لحصولها ولا يحصل قبل بلوغها فإذا لا فائدة في العجلة
فليس تحمد كما لا يحمد البحران قبل نضج مادة المرض.

**كفى من العيش ما قد سد من ففيه للحر قتيان
عوز وعينان**

والمعنى: كفاك من المال ما أزال فقرك فلا تطلب كثرة المال لأن
بذلك القدر راحة للحر وغنى عن الكثرة مع التعب.

**وذو القناعة راض من وصاحب الحرص إن أثرى
معيشته فغضبان**

والمعنى: صاحب القناعة راض بما قسم الله له من أسباب عيشه
بخلاف الحريص فهو غضبان غير راض بما قسم الله له وإن أكثر عليه

نعمته.

حسب الفتى عقله خلا إذا تحاماه إخوان
يعاشره وعلان

والمعنى: إذا اجتنب الفتى إخوان السوء وأحابب زور فعقله يكفيه
عنهم فالرجوع إليه عند الحاجة أولى.

هما رضيعا لبان وساكننا وطن مال
حكمة وتقى وطغيان

المعنى: الحكمة والتقوى أخوان لا ينفك أحدهما عن الآخر، والمال
والطغيان يسكنان في وطن واحد لا يفارق أحدهما صاحبه.

إذا بنا بكريـم وراءه فى بسط الأرض
موطن فله أوطان

والمعنى: إذا لم يوافق الكريم مسكنه لحصول الهوان له من الأرذال
فأرض الله واسعة أمامه فليرتحل إلى بلد موافق، وفى هذا يقول الأدباء
فأقم بدار ما أصبت كرامة. وإذا بنا بك منزل فتحول.

يا ظالما فرحنا بالعز إن كنت فى سنة فالدهر
ساعده يقظان

المعنى: يا من يظلم الناس مستعينا بعزه، إن كنت فى غفلة فالله تعالى
ليس بغافل فيحاسبك على ظلمك حسابا عسيرا فى الدنيا والآخرة.

ما استمرأ الظلم لو أنصفت وهل يلذ مذاق المرء
أكله خطبان

والمعنى: لو أنصفت الناس من نفسك ونظرت إلى العاقبة علمت أن
ما أكله الظالم مما أخذه ظلما، لم يسغ من حلقه بل ينغص فيه ولا يجد له
لذة فى الحقيقة، فهو بمنزلة الحنظل الذى لا يجد المرء لذة فى تناوله.

يا أيها العالم المرضى أبشـر فأنـت بغير

الماء ريان

سيرته

المعنى: يا من اتصف بالعلم النافع وحسنت سيرته في الناس بشر نفسك بحسن الحال والاستغناء عن الناس فإنك حينئذ غنى النفس خفيف على القلوب حبيب لدى الله والملائكة والناس أجمعين.

ويا أخا الجهل لو أصبحت فأنت ما بينها لاشك
في لجج ظمآن

والمعنى: يا من رسخ في الجهل ولم يبذل طاقته في الخروج من ظلمته لو صرت في لجج لم تنتفع بمائها، فأنت فيها على حالك قبلها إذ لا شعور لك بالعطش؛ لأن جهلك يحول بينك وبين الشعور به، فالعلم حياة ونور والجهل موت وظلمة.

لا تحسبن سـروراً من سره زمن ساءته
دائماً أبداً أزمان

والمعنى: يا من اغتر بشبابه وسكر من كأسه ولم يتدبر في عواقب أمره أجب عن هذا السؤال وهو: أن السكران يجد طريقاً إلى الهداية وسبيلاً إلى الاستقامة على الحق؟ والحق لا....

لا تغتر بشباب رائق فكم تقدم قبل الشيب
خضل شبان

المعنى: لا تغتر بعنفوان شبابك وقوتك فكثيراً سبق الموت القوى الضعيف والصغير الكبير.

ويا أخا الشيب لو ناصحت يكن لمثلك في الإسراف
نفسك لم إمعان

المعنى: النصيح والصدق والإخلاص ومنه التوبة النصوح والمعنى واضح.

هب الشيبة تبلى عذر وما عذر أشيب يستهويه

شيطان

صاحبها

المعنى: افرض أن حداثة السن عذر يقبله الناس ولا يلومونه على ما فرط منه، وإن لم تصلح عذرا فما عذر من ابيض شعر رأسه وجاءه نذير الموت، يزين له شيطان أنواع الفساد ويدفعه إلى الشرور، فطوبى لمن ملك زمام نفسه ولم يغلب هواه على عقله؛ لأن الهوى ملك غشوم وسلطان ظلوم.

كل الذنوب فإن الله يغفرها
... إن شيع المـرع
إخلاص وإيمان

والمعنى: الإخلاص في الطاعة وترك الرياء.

وكل كسر فإن الله يجبره
... وما لكسر قناة
الدين جبران

والمعنى: أن الله تعالى يغفر الذنوب إذا كان للعبد إخلاص وإيمان؛ لأن الدين يصلح كله ثلثة وخلل في العمل، وأما كسر قناة الدين فخلل واقع في أصله ولا يرجى له إصلاح.

خذها سوائر أمثال مهذبة
... فيها لمن يبتغى
التبيان تبيان

والمعنى: تنقية وتهذيب النفس والتنبيه على العيوب، والرجل المهذب يطلب حسن الأخلاق.

ما ضر حسانها والطبع صائغها
... إن لم يصغها قريع الشعر
حسان

المعنى: إذا سمعت كلاما فلا تنظر إلى حال قائله، ولكن انظر إلى كثرة طائلة كما قال على كرم الله وجهه: «لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال».

والأبيات الشعرية السابقة كانت من قصيدة أبي الفتح البستي، ومن

تمعن فيها تعلم الكثير في إعداد موعظته.

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ: «أنه ذكر رجلا من بنى إسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال: ائتنى بالشهود أشهدهم فقال: كفى بالله شهيدا قال: فأئتنى بالكفيل قال: كفى بالله كفيلا، قال صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى» فخرج الذى استلف فى البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يركبها حال كونه يقدم عليه (بفتح الدال) على الذى أسلفه «لأجل الذى أجله فلم يجد مركبا»، زاد فى رواية أبى سلمة: «وغدا رب المال إلى الساحل يسأل عنه ويقول: اللهم اخلفنى وإنما أعطيت لك فأخذ الذى استلف خشبة فتقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه الذى استلف منه، ثم زجج موضعها أى سمرها بمسامير كالزج وهو النصل، ثم أتى بها إلى البحر فقال: اللهم إنك تعلم أنى كنت تسلفت فلانا ألف دينار فسألنى كفيلا فقلت: كفى بالله كفيلا فرضى بك، وسألنى شهيدا فقلت: كفى بالله شهيدا، فرضى بك، وإنى جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذى له فلم أقدر، وإنى أستودعها وفى رواية: استودعكتها، فرمى بها فى البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف وهو أى والحال أنه فى ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده أى بلد الذى أسلفه فخرج الرجل الذى أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التى فيها المال فأخذها لأهله حطبا فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الرجل الذى كان أسلفه فأئى بالآلف دينار فقال: والله ما زلت جاهدا فى طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذى أتيت فيه قال: هل كنت بعثت إلى بشيء؟ قال: أخبرك أنى لم أجد مركبا قبل الذى جئت فيه قال: فإن الله قد أدى عنك مالك (المال) الذى بعثت فى الخشبة فانصرف (بصيغة الأمر) بالآلف دينار التى أتيت بها حال كونك راشدا» أى مهتديا.

انظر أيها الواعظ إلى ما فى هذه الرواية من صدق مع النفس والغير وصدق مع الله، والحرص على أداء الأمانة والوفاء بالعهد وحب الحلال

وبغض الحرام، فهذا درس وموعظة تثبت في الأذهان والقلوب.

وعنه رضى الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن ثلاثة من بنى إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى أراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال: أى شيء أحب إليك؟ فقال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قدرني الناس فمسحه فذهب عنه قدره وأعطى لونا حسنا قال: فأى المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو قال: البقر فأعطى ناقة عشراء فقال: بارك الله لك فيها. فأتى الأقرع فقال: أى شيء أحب إليك قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا الذي قد قدرني الناس فمسحه فذهب عنه، وأعطى شعرا حسنا فقال: فأى المال أحب إليك؟ قال: البقر فأعطى بقرة حاملا قال: بارك الله لك فيها. فأتى الأعمى فقال: أى شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله بصرى فأبصر الناس فمسحه فرد الله إليه بصره قال: فأى المال أحب إليك قال: الغنم فأعطى شاة ولدا: فأنج هذان المشار إليهما صاحب الإبل والبقر وولد هذا فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم، ثم إنه أتى الأبرص فى صورته وهيئته فقال: رجل مسكين قد انقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله، ثم بك أسألك الذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بغيرا أتبلغ بى فى سفرى فقال: الحقوق كثيرة فقال: كائى أعرفك ألم تكن أبرص يقدرك الناس، فقيرا فأعطاك الله؟ قال: إنما ورثت المال كابرا عن كابر فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله؟ إلى ما كنت، وأتى الأقرع فى صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد عليه فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت، وأتى الأعمى فى صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذى رد عليك بصرى شاة أتبلغ بها فى سفرى فقال: كنت أعمى فرد الله إلى بصرى فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله عز وجل فقال أمسك مالك فإنما ابتليتكم، فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبك» (متفق عليه).

فهذه الرواية تعلمنا الاعتراف بالابتلاء والصبر عليه وإنه من الله عز وجل وإن كشفه الله فنسب الفضل إلى صاحب الفضل الله تبارك وتعالى وأن لا نكابِر بالنعمة بعد الحرمان وطالما الإنسان ابتلاه الله وصبر واحتسب فإن الله مخلصه مما هو فيه فيحمد الله على السراء والضراء ويعترف بفضل الله عليه في جميع الأحوال.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة نفر مما كان قبلكم حتى أوامهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن ندعوا الله تعالى بصالح أعمالكم: قال رجل منهم: اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بى طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فلبثت والقذح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقاظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه - قال الآخر - اللهم إنه كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس إلى - فأردتها على نفسها فامتنعت منى حتى أملت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت فلما قعدت بين رجلها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلى وتركت الذى أعطيتها اللهم إنت كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها - وقال الثالث: اللهم استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءنى بعد حين فقال يا عبد الله أد إلى أجرى قلت: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال: يا عبد الله تستهزئ بى فقلت: لا أستهزئ بك فأخذته كله

فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون» (متفق عليه).

ونتعلم من هذا تقوى الله في أعمالنا ونكثر من فعل العمل الصالح وفعل الخير ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى وليس رياء الناس فالعمل الصالح لوجه الله تعالى ينصر صاحبه في الدنيا والآخرة فهذا أيضا درس من دروس وموضوعات الموعظة الحكيمة.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اشترى رجل من رجل عقارا فوجد الذى اشترى العقار فى عقاره جرة فيها ذهب فقال له، الذى اشترى العقار: خذ ذهبك إنما اشتريت منك الأرض ولم أشتري الذهب، وقال الذى له الأرض: إنما بعثك الأرض وما فيها فتحاكما إلى رجل فقال الذى تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: لى غلام وقال الآخر: لى جارية قال: أنكح الغلام الجارية وأنفقا على أنفسهما منه فتصرفا» (متفق عليه) وهكذا تكون الأمانة والمحبة في الله.

وعن أنس رضى الله عنه قال: مات ابن لأبى طلحة من أم سليم فقالت لأهلها أى لقرابتها الذين عندها وشعروا بوفاة ابنها: لا تحدثوا أبا طلحة بوفاة ابنه لئلا يتنقص عيشه وهو صائم فلا ينال حاجته من الطعام حتى أكون أنا أحدثه فجاء، فقال: ما فعل ابني؟ قالت أم سليم: هو أسكن ما كان أى أهدأ حالا فإنه كان قلق واضطراب للنزع، فذهب ذلك حينئذ وظن أبو طلحة أنها تريد أنه زال ألمه وأخذ في العافية، وفي عبارتها التوجيه، ففربت إليه العشاء، فأكل وشرب ثم تصنعت له بتحسين الهيئة بالحلى ونحوه أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك الوقت، وهذا يدل على قوة صبرها وكمال يقينها، فوقع بها (جامعها)، فلما أن رأت قد شبع وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة أرأيت (أخبرني) لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوه؟ قال: لا، قالت: فاحتسب ابنك (أى اطلب ثواب ابنك وأجر مصيبتك فيه من الله) ولا تدنسها بما يحيط الثواب فإنه كان عندك عارية استرده مالكة، قال أنس: فغضب أبو طلحة، وقال لأم

سليم: تركتني حتى تلطخت (أى تقذرت بالجماع)، ثم أخبرتني يابنى فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك فقال النبى ﷺ: «بارك الله لكما فى ليلتكما» قال: أنس فحملت أم سليم وولدت غلاما سماه النبى ﷺ عبد الله ورزق عبد الله هذا تسعة أولاد صالحين كلهم قد قرءوا القرآن لدعائه صلوات الله وسلامه عليه لهما بالبركة.

نتعلم من هذا الحديث التسلية عن المصائب، وكيف نتحملها وقوة الإيمان والصبر على النوائب وأجر هذا الصبر كما نالته أم سليم من دعاء النبى ﷺ لهما بالبركة، فاستجاب الله له كرامة للنبى ﷺ، ولعملها الصالح فعوضها ابنا آخر وأنجب أولاد تسعة أتقياء حافظين القرآن الكريم.

ومن الفكاكات الأدبية: التى يمكن استخدامها فى موضوع الموعظة وأسلوبها نذكر منها الآتى: روى أن الهرمران أحد قواد الفرس دخل مستسلما على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: يا عمر، كنا وإياكم فى الجاهلية على بعد من الله جل وعلا فغلبناكم؛ لأنه لم يكن معنا ولا معكم، فلما كان الله معكم غلبتمونا فقال عمر: إنما غلبتمونا باجتماعكم وتفرقنا (أى ولما جمع الله تعالى بالإسلام بين قلوبنا غلبناكم).

وروى: عن ميمون بن مهران أن جاريته جاءت ذات يوم بإناء فيه مرق حار وعنده أضياف فعثرت، فصب المرق على رأسه، فأراد ميمون أن يضربها فقالت له الجارية: يا مولاى اعمل بقول الله تعالى {وَالْكَافِرِينَ} الغيظ فقال لها: قد فعلت فقالت: أعمل بما بعده {وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} قال: قد عفوت عنك قالت الجارية: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} قال: قد أحسنت عليك فأنت حرة لوجه الله تعالى ولك ألف درهم. وهذا غاية فى الحلم والكرم والعفو عند القدرة والعمل بآيات الله عز وجل.

ومنها: أنه كان لمالك بن دينار جار يهودى فحول اليهودى مستحمة إلى جدار البيت الذى فيه مالك بن دينار، وكان الجدار متهدما، فكانت

تدخل النجاسة، وكان مالك ينظف البيت كل يوم ولم يقل شيئا، وأقام على ذلك مدة وهو صابر على الأذى فضاق صدر اليهودي من طول صبره على هذه المشقة فقال: يا مالك، قد آذيتك كثيرا وأنت صابر ولم تخبرني ولم تشكني إلى أحد فقال: قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».

فندم اليهودي وأسلم وحسن إسلامه.

وروى: أن يهوديا شكى على بن أبي طالب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، فلما مثل بيديه قال الفاروق لعل: اجلس يا أبا الحسن مع خصمك مجلس الخصومة فظهرت دلائل الامتعاض على وجهه فلحظ ذلك أمير المؤمنين، فقال له: أكرهت يا على أن تجلس أمام خصمك؟ قال: لا ولكنك ناديتني بكنيتي فرفعتني عليه فكرهت ذلك (أى أراد التسوية بين الخصمين فى القضاء). فانظر هداك الله إلى رجل يمتعض؛ لأن الحاكم نداه بكنيته أمام خصمه فشر بذلك رفعة عليه (يا أبا الحسن) وهذا مما تغتبط به الناس وترتاح له، ولكن عليا رضى الله عنه وكرم الله وجهه كان حريصا على الحق فى نفسه ناصرا له فى مجتمعه، ولو كان ذلك على نفسه.

وحكى: عبد الله بن عبد الرحمن قال: كنت عند سهل بن عبد الله التستري الصوفى، وهو يتكلم على الناس فوقف علينا غلام جميل فمد بعض الناس عينه ينظره، ووافقه جماعة فى النظر فقال سهل: مهلا أيها الناس تغترون بحلم الله عنكم وإمهاله لكم فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد، واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه فإنكم هاجتم على ما نهاكم عنه، فإن عدتم إلى أمره أقام لكم على حلمه، وإن تماديتم فى شهواتكم لم آمن عليكم عقوبة تأتى إليكم، فإنه ذو مغفرة وذو عقاب أليم، فغلبهم البكاء، وأعلنوا التوبة والإنابة إلى الله تعالى.

وروى: أن خدم بعض الملوك التقطوا طفلا وجدوه مطروحا فى

الطريق، فأمر الملك أن يضمه إلى أهل بيته وسماه أحمد اليتيم، فلما نشأ ظهرت عليه أمارات النجابة والذكاء فهذب وعلمه، ولما حضرته الوفاة أوصى ولى عهده به فضمه إليه واصطفاه، وأخذ عليه العهد أن يكون له وفيًا وخادماً أميناً، وبعد ذلك قدمه في أعماله فصار حاكماً على جميع حاشية الأمير ومتصرفاً في شئون قصره وفي بعض الأيام أمره أن يحضر شيئاً من بعض حجراته فذهب ليحضره فرأى بعض جوارى الأمير الخاصة به مع شاب من الخدم يزنيان فتوسلت إليه الجارية أن يكتم الخبر، ووعدته كل ما يطلب ورأودته عن نفسه لتأمين شره فقال لها: معاذ الله أن أخون الأمير وقد أحسن إلى ثم تركها وانصرف على أن يكتم السر، لكن الجارية أوجست في نفسها خيفة وتوهمت أحمد اليتيم يفش أمرها فانتظرت الأمير حتى حضر ثم ذهبت إليه باكية شاكية فسألها ما خبرها فقالت: إن أحمد اليتيم راودها عن نفسها وكان يريد أن يقهرها على الزنا، فلما سمع الأمير ذلك غضب واشتد غضبه فعزم على قتله ثم دبر له قتله في الخفاء حتى لا يعلم الناس بسبب ذلك القتل فقال لكبير خدمه: إذا بعثت إليك أحداً يطلب منك كذا أو كذا فاقطع رأسه وابعث به إلى لأطمئن ثم ادفن الجثة فأجاب الخادم بالسمع والطاعة، وفي يوم من الأيام أحضر الأمير أحمد اليتيم وقال له: اذهب إلى فلان الخادم وقل له يعطيك كذا وكذا فامتثل الأمر وذهب إلا أنه لقي في طريقه بعض الخدم فأرادوا أن يحكموه بينهم في أمر، فاعتذر وقال: إنه مكلف بقضاء أمر الأمير فقالوا: نبعث فلاناً الخادم نائباً عنك ليحضر ما تطلب حتى تفصل في شأننا فأجابهم إلى ما طلبوا، فأرسلوا واحداً منهم وهو الشاب الذي سبق له الزنا بالجارية، فلما ذهب وأخبر الرئيس بالرسالة أخذه إلى المكان الذي أعده ثم قطع رأسه على غرة وجاء به إلى الأمير. فلما أبصره زال عنه ما كان يجده من انقباض نفسه، ولكنه لما رفع الغطاء عنه رأى رأساً غير رأس أحمد اليتيم، فسأله عن الذي قتله فقال هو فلان قال: ألم يكن أحمد؟ قال: لا فأمر بإحضار أحمد فسأله عما فعل فأخبره بما كان فقال الأمير: أتعرف لهذا الخادم ذنباً؟ قال: نعم، إنه فعل كذا وكذا مع فلانة وقد سألوني بالله وبك أن أكتم الخبر،

النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُ مَثَلِهِ كَذَلِكَ} أى مثل ذلك الضرب البديع المشتمل على نكت رائعة {يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ}، أى مثل الحق ومثل الباطل وبين ذلك بقوله: {فَأَمَّا الزَّبَدُ} من السيل وما يوقد عليه من المعادن فيذهب جفاء، أى يرمى به، وأما ما ينفع الناس من الماء الصافى وخالص المعادن فيمكن فى الأرض ينتفع به أهلها، يبين الله الأمثال فى كل باب إظهارا لكمال اللطف والعناية فى الإرشاد والهداية، فإنه تبارك وتعالى مثل الحق فى إفادته وثباته بالماء الذى ينزل من جهة السماء فتسيل به الأودية على قدر الحاجة والمصلحة حسبما اقتضته مشيئته تعالى وحكمته، فينتفع به من وجوه شتى، ويمكن فى الأرض بأن يبقى بعضه فى منابعه ويسلك بعضه فى عروق الأرض إلى العيون والآبار، وبالسبيكة التى تؤخذ من نحو الذهب وباقي المعادن للانتفاع بها فى الحلى وعمل الأواني وآلات الحرب، ويدوم ذلك مدة طويلة، ومثل الباطل فى عدم نفعه وسرعة زواله بزبد الماء والمعادن، والزبد هو رغوات فوق الماء سرعان ما تنتهى.

2 - فى سرعة انقضاء الدنيا قال تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُم مِّثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ}، أى اذكر لهم ما يشبهها فى زهرتها ونضارتها وسرعة زوالها لئلا يطمئنوا ولا يعكفوا عليها، وأنها كماء أنزلناه من السماء فالتفت بسببه نبات الأرض وخالط بعضه بعضا لكثرتة، فصار النبات إثر بهجته ونضارته مهشوما مكسرا تفرقه الرياح، وهذا حال النبات المنبت بالماء يكون أخضر براقا، ثم هشوما تطيره الرياح كأن لم يكن وكذلك الدنيا.

3 - وفى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا منتنة» (يحذيك أى يعطيك - الكير الرق الذى ينفخ به فى النار).

4 - وروى أيضا من حديث أبى موسى عن النبى ﷺ قال: «إنما

مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثّل رجل أتى قوما فقال: يا قوم، إني رأيت الجيش بعينى وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعنى فاتبع ما جئت به ومثل من عصانى وكذب بما جئت به من الحق».

وهذا التمثيل معناه واضح من النبى ﷺ.

5 - ومن حديث النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثّل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا»، فالقائم فى حدود الله ينجو والمنكر لها يقع الجميع منهم فى العقوبة.

5 - وأخرج ابن جرير والحاكم من حديث جابر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوما فقال: «إني رأيت فى المنام كأن جبريل عند رأسى وميكائيل عند رجلى يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلا، فقال: اسمع سمعت وأعقل عقل قلبك، إنما مثلك ومثّل أمّك مثل ملك اتخذ دارا ثم بنى فيها بيتا، ثم جعل فيها مآدبة، ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من ترك، فالله هو الملك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد رسول الله، فمن أجابك دخل الإسلام ومن دخل الإسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل منها».

7 - إذا أردت أن تبين أن العمل الصالح هو صاحب النافع فاضرب لهم مثلا رجلا كان له أصحاب ثلاثة، لا يقوى على مفارقتهم، وكان يميل إلى اثنين منهم ميلا شديدا، ولا يركن إلى الثالث إلا قليلا مع أنه كان حسن الطوية خالص النية فاتفق له ذات يوم أنه اتهم بتهمة خطيرة فقبض عليه

وزج به في أعماق السجون وهو في الواقع برىء فأخبر أصحابه بأمره وطلب منهم أن يذهب أحد منهم معه إلى دار القضاء ويشهد له بما يعلم كي ينجو من السجن فاعتذر الأول قائلاً: إنه يتعذر عليّ الانتقال لكثرة مشاغله، والثاني ذهب معه إلى باب المحكمة، ثم أحجم عن الدخول خوفاً من غضب الحاكم عليه واتهامه بالتزوير في الشهادة لمكان الصحبة، وأما الثالث الذي كان قليل الميل إليه فإنه لم يتأخر عن الذهاب معه والدخول أمام القضاء، فلما مثل بين يدي الحاكم شهد لصاحبه بالحق وعلم الحاكم صدقه في الشهادة. فقبل شهادته وعطف قلبه على صاحبه المتهم فحكم ببراءته وأخلى سبيله فالمراد بالأصحاب الثلاثة المال والبنون والعمل الصالح، فإن لكل امرئ في الحياة أصحاباً ثلاثة: ما له وأهله وعمله لا يستغنى عنها، فإذا فاضت روحه فارقت أمواله التي هي أعز أحبائه، وأما أهله فإنهم يذهبون معه إلى باب القبر ثم يتركونه ويعودون إلى منازلهم، يتنازعون ما ترك، وأما أعماله التي لا يعرف ما يترتب عليها من حسن العاقبة فإنها لا تفارقه إلى أن يقف بين يدي أحكم الحاكمين وتشهد لصاحبها لا عليه، فيشملة الله بعدله ورحمته ويدخله فسيح جنته فقال رسول الله ﷺ: «يتبع الميت ثلاث: أهله وماله وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يرجع أهله وماله ويبقى عمله» (متفق عليه).

ومثل الدنيا: الدنيا شبه ملجأ أقامه ملك قوى غنى ليأوى إليه أبناء السبيل المسافرين، وقد أعد في هذا الملجأ كل وسائل الراحة من أغذية وأكسية وأوان وفرش وجميع ما يحتاج إليه اللاجئ من المسافرين، وأباح لهم الانتفاع بكل ما فيه انتفاع العارية ثم يتركها لمن يأتي بعده، فيأخذها فرحاً مسروراً وعند الرحيل يتركها راضياً شاكراً للملك حسن صنيعه فكان النازلون على قسمين: قسم انتفع بها على أنها عارية ثم سلمها منشراح الصدر شاكراً وهم العقلاء المتبصرون، وقسم ظن أن هذا الملجأ وطن له وأن جميع ما فيه من متاع ليس عارية تسترد بل منحة مؤبدة، فكانوا لا يخرجونها من أيديهم إلا بكسر اليد ونزع الروح وهم الحمقى

عمى البصائر.

ومثل في كيفية توزيع الجزاء في الآخرة على الحسنات والسيئات وهو يقول الواعظ: الناس ينقسمون في الآخرة إلى أربعة أقسام: هالكين ومعذبين وناجين وفائزين، ومثال ذلك في الدنيا أن يستولى ملك قوى على إقليم فيقتل بعضهم فهم الهالكون، ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المعذبون، ويخلى سبيل بعضهم فهم الناجون، ويخلع على بعضهم فهم الفائزون، فإن كان الملك عادلا لم يقسمهم كذلك إلا استحقاق فلا يقتل إلا جاحدا لاستحقاق الملك معاندا له في أصل الدولة، ولا يعذب إلا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته، ولا يخلى إلا معترفا له برتبة الملك، لكنه لم يقصر ليعذب، ولم يخدم ليخلع عليه، ولا يخلع إلا على من أبلى عمره في خدمته ونصرته وتتفاوت الخلع بتفاوت الدرجات في الخدمة، والإهلاك أيضا يكون بجز الرقبة، أو تنكيلا بالمثلة بحسب درجات المعاندة، وتعذيب المعذبين في الخفة والشدة وطول المدة وقصرها واتحاد أنواعها واختلافها بحسب درجات تقصيرهم، فكذاك الناس في الآخرة يتفاوتون في الجزاء بحسب تفاوت الأعمال فهناك الهالكين والمعذبين والناجين والفائزين وهم أصحاب الأعمال الصالحة ابتغاء وجه الله تعالى.

طرق الإرشاد

هذه الطرق كثيرة ومتنوعة تتنوع بتنوع الأحوال والأمراض الاجتماعية، ولكنها ترجع إجمالاً إلى طريقين: الترغيب والترهيب كما يشير قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الإسراء: 9، 10) فإن قوله عز وجل: ﴿يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وما بعده من بيان لهداية القرآن بالترغيب والترهيب، فالترغيب بوعد الطائعين الحافظين لحدود الله تعالى بعظيم الخير، وتبشيرهم بحسن المثوبة والترهيب بوعيد المخالفين الذين تعدوا حدود الله، وإنذارهم بشديد العذاب وسوء العاقبة.

الترغيب:

وهو ما يساعد الناس ويحثهم إلى محبة الله ومحبة طاعته عز وجل لنيل السعادة في الدنيا والآخرة، وهو على ركنين الأول: الترغيب في جنس الطاعات، والثاني: الترغيب في أنواع الطاعات.

أولاً: الترغيب في جنس الطاعات:

بما جاء في ذلك من الكتاب والسنة كقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ تجد في هذه الآية الكريمة وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ونصروا دينه أن يجعلهم خلفاء في الأرض متصرفين فيها كما استخلف بنى إسرائيل في مصر والشام بعد إهلاك فرعون والجبارين، وأن يجعل دينهم ثابتاً مقررًا بحيث يستمرون على العمل به ويرجعون إليه في كل ما يأتون وما يذرون، وأن يبدلهم بعد الخوف أماناً بتأييدهم بالنصر على الأعداء كما كان الحال للمهاجرين؛ إذ فتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا إلى حال يخافهم كل من عداهم وبذلك رغبهم في الطاعة.

وقوله الله تبارك وتعالى: **{الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ}** والمعنى أن للذين أحسنوا أعمالهم في الدنيا جزاء حسنا مكافأة لهم فيها على إخلاصهم في العمل وجزائهم الحسن في الدار الآخرة، خير وأعظم مما أوتوا في الدنيا من جزاء حسن، وهذا كان جزاء المخلصين في الأعمال لوجه الله عز وجل.

وقوله تبارك وتعالى: **{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** وذلك ترغيبا في العمل الصالح فإن الله تعالى وعده بأحسن الحال في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: **{فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ}**، فيعيش حياة طيبة هنية، وإن كان معسرا فإن معه الإيمان القوى والقناعة والرضى بما قسمه الله له، فله أجر عظيم، أما الفاجر الجاحد ولو كان موسرا فلا يدعه الحرص وخوف الفوات أن يتهنأ بعيشه فهو دائما في عناء ونكد، هذا في الدنيا، ولجزاء الآخرة خير وأعظم، وليعلم أن العيش عيش الآخرة.

وقوله الله سبحانه وتعالى ترغيبا في التقوى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}**، فوعد الله تعالى المؤمنين الصادقين في طاعة الله وتقواه أن يمنحهم الهداية في قلوبهم يفرقون بها بين الحق والباطل، ويمنحهم النصر الذي يفرق بين المحق والمبطل بإعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين والمنافقين كقوله تعالى: **{وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}**، والتقوى والعمل الصالح يورث العلم والحكمة وينير البصيرة، وبذلك يستطيع المرء أن يفرق بين الحق والباطل والنافع من الضار، كما بهما يمنحه الله نصرا وظفرا على الأعداء.

وقول الله عز وجل ترغيبا في الدين والتمسك به: **{وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَّاءً غَدَقًا}** أى أن لو استقام المرء على ملة الإسلام لوسع الله عليه الرزق، ودلل بذلك بالماء الغزير حيث إن الماء

أصل السعة والخيرات كلها في الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾، وكما قال العلماء: البرهان ما يبرهن به على المطلوب، والمراد رسول الله ﷺ سمي به لما معه من المعجزات التي تشهد بصدقه بل هو نفسه برهان على صدق دعواه وحقيقة ما جاء به، يظهر ذلك لكل ما من عرف حياته قبل البعثة وبعدها، فإنه برهان بسيرته العملية كما أنه برهان في دعوته العلمية، فقد نشأ يتيما أميا لم يعن بتربيته عالم ولا حكيم ولا سياسى، ومع هذا قام فى كهولته يدعو الناس جميعا إلى توحيد الله وطاعته، ويعلمهم حقيقة الإيمان الصحيح بالله عز وجل.

وكل ما يحتاجون إليه من أمور دينهم ودنياهم من تقويم العبادات ونظام المعاملات ومكارم الأخلاق كل ذلك على أساس الحجج الكونية والبراهين العقلية فلا غرابة أنه يسمى هو نفسه برهانا، والنور المبين هو القرآن الكريم فإنه كالنور النير فى نفسه المنور لغيره.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أى قالوا ذلك إقرارا بوحداية الله وإيماننا بربوبيته وثبتوا على هذا الحق واليقين بالله ولزوم طاعته فإنهم بذلك لا يجدوا ما يخوفهم أو يحزنهم وأن الله تبارك وتعالى كتب لهم الأمن من كل هم وغم وهذا من إيمانهم الثابت بالله والسير القويم فى الطريق المستقيم الذى يرضى الله ورسوله عليه الصلاة والسلام.

وقوله عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ بمعنى سيحدث لهم فى القلوب مودة ويزرع فيها محبة يعيشون بها فى الدنيا مطمئنين مكرمين لما لهم من الإيمان وصالح العمل، وفى صحيح البخارى عن النبى ﷺ قال: إذ أحب الله العمل، وفى صحيح

البخارى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا يَقُولُ لِجَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنِّي أَحَبُّ فَلَانًا فَأُحِبُّهُ فَيُحِبُّهُ جَبْرِيلُ ثُمَّ يَنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ أَحَبُّ فَلَانًا فَأُحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يَوْضَعُ لَهُ الْمَحَبَّةَ فِي الْأَرْضِ» وذلك لا يكون إلا لمن تكمل بالإيمان وتحلى مكارم الأخلاق وصالح الأعمال، وهذا ما عد منه الله تعالى للمؤمنين العاملين الأعمال الصالحة ابتغاء وجه الله تعالى بأن يجعلهم محل رحمته وإحسانه وموضع عطف الملائكة وقبول الناس أجمعين وهذا هو الترغيب في الإيمان والعمل الصالح.

وقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى﴾ أى كتاب الله ورسول الله ﷺ وقال: «فَمَنْ اتَّبَعَ هَدَايَ فَلَا يَضِلَّ» فى الدنيا «وَلَا يَشْقَى» فى الآخرة فهذا هو وعد الله عز وجل لمن يتبع الهدى قال ابن عباس رضى الله عنهما: فمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة يعنى أى الشقاء فى الآخرة هو عقاب من ضل فى الدنيا عن طريق الدين الحنيف فمن اتبع كتاب الله وأطاع أوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ أى ضيقا فى الدنيا.

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ فهذا وعد الله المجاهدين فى سبيل الله أن يزيدهم هداية إلى طرق الخير وتوفيقا لسلوكها، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾.

وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ» (وفى رواية مسلم ينفعك الله بهن).

احفظ الله يحفظك.. إلى آخر الحديث. أى احفظ دين الله بحفظ أوامره ونواهيه فتقف عندها بالامتنال والاجتناب فلا يراك حين نهاك ولا يفقدك حيث أمرك فهو إذا حفظ الله حفظه فى نفسه وأهله وماله مصدقا لقوله

تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً} وباقي الحديث يرغب في طاعة الله والاستعانة به في كل أمر والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره وأن كل أمر وفعل يحدث هو بإذن الله تعالى وبأمره ولحكمة يعلمها الله عز وجل.

ثانياً: الترغيب في أنواع الطاعات:

مثل الصلاة والصدقة والالتزام بهما، وكذلك الصوم والحج والجهاد وبر الوالدين، وإصلاح ذات البين مع أنواع الفضائل كالشجاعة والعفة والصدق والوفاء والأمانة والحلم والتواضع والكرم والصبر والإخلاص وحب الخير للناس كما يرغبهم في إتقان الصنائع التي تفيد المجتمع والوطن، ويحث على الإقبال عليها حيث يؤدي هذا إلى رفع الحركة الاقتصادية التي تعز بها الأمم وترقى الشعوب.

ومن أنفع وسائل الدعوة الحكيمة إلى خير الأعمال والأخلاق والصفات الحميدة هو تذكير الناس إلى الأمم السالفة الصالحة الذين رفعوا منار العلم والدين ونشروا الخير وصالح الأعمال والعدل والمساواة حتى يعلم الناس أين هم ؟ ومن هم ؟ لعلهم يخشون أن يكونوا شر خلف لخير سلف، وتندم الأمة على سوء حالها فتقلع عما هي عليه من شرور الأعمال وفساد الأخلاق حتى تكون مثل الأمم السالفة الصالحة، فهذه أقرب وسيلة تهيب بها إلى خير الأعمال والتحلى بحميد الأخلاق ذلك أن تذكيرها بشرفها السالف، وتشخيص مجدها الرفيع وعزها المنيع أمام عيونها يدعوها بلاشك إلى التأسى بهم فيما كان لهم من صالح الأعمال وحميد الخصال، فكانوا يبذلون أرواحهم وأموالهم مخلصين في سبيل الله والحق، ففازوا بالسعادتين وخلدوا لأنفسهم أحسن الذكرى عبر التاريخ والعصور، فعلى الواعظ استخدام طريقة ذكر أحوال السلف الصالح في أنواع الطاعات والعبادات وتصويرها أمام سامعيه، فبذلك يؤثر في نفوسهم وقلوبهم تأثيراً عظيماً خاصة وأنه في أثناء حديثه يقارن بينهم وبين السلف الصالح حتى يدفعهم إلى التأسى بهم، والعمل بما كانوا يعملون من أنواع

الطاعات السابق ذكرها.

الترهيب:

وهو تحذير الناس من كل المعاصي صغيرها وكبيرها، وحمل الناس على ترك الذنوب وله أربعة طرق وهم كالآتي:

أولاً: ذكر آيات التحذير من المعاصي:

فيذكر ما في القرآن الكريم من الآيات المخوفة للمذنبين، وكذلك ما ورد من الأخبار والآثار، والله تبارك وتعالى قدر حذر عباده من معصيته وأعلمهم قوة سطوته وجبروته، وجعل النفوس العاصية الفاسدة ذات الأخلاق المذمومة محل سخطه وموضع انتقامه في الدنيا والآخرة كما جعل الأجساد القذرة الظالم أصحابها لأنفسهم عرضة للأمراض القاتلة في الدنيا والله، حاكم عادل لا يظلم أحد فقال تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾، أى أنه تعالى لو يؤاخذ الناس جميعاً بما اقترفوا من السيئات والمعاصي كما فعل بالأمم السالفة ما ترك على ظهر الأرض أحد من بني آدم.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾. أى من يخالف الرسول فيما جاء به من الحق من بعد ما ظهر له المعجزات الدالة على صدق رسالته، ويسلك طريقاً غير طريق المؤمنين وهو طريق الدين الحنيف نجعله والياً لما تولاه من الضلال ونخذه وندخله جهنم يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾. أى أنهم لما تكبروا عن ترك ما نهوا عنه لغضبهم وغضب عليهم وجعلهم قردة أزلاء مبعدين خاسئين. والخسوء هو الطرد صاغرين أى

مستذلين كالقردة المستذلة المطرودة من حضرة الناس، وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد أنه قال: ما مسخت صورهم ولكن مسخت قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار ومثل هذا قوله تعالى: **{وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ}** فالمسح معنوى لا صورى على الصحيح، وليس فى تفسير الآية حديث مرفوع إلى النبى ﷺ نص فيه على كون ما ذكر مسخا لصورهم، وأنهم قد تحولوا من أناس إلى قردة وخنزير.

وقوله تعالى: **{لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}**.

وقوله: **{وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ}** والآيات فى هذا الباب كثيرة.

وروى أحمد والترمذى والنسائى وغيرهم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا نَكَتَتْ نَكْتَةً سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَاسْتَغْفَرَ صَقَلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ لَمْ يَتُبْ زَادَتْ حَتَّى تَعْلُو قَلْبَهُ»**، فذلك الران الذى ذكره الله تعالى فى قوله: **{كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}**، أى كثرة أفعالهم التى تغضب الله من الخطايا والسيئات، وقلوبهم بذلك أصبحت فى غلف من ظلمات المعاصى حتى لم يبق منفذ للنور يدخل إليها منه.

وقال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ»**، (الصحيحين). وقال عليه الصلاة والسلام: **«لَا أَحَدٌ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ فَلَذَا حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»** (الصحيحين) والغيرة الحمية والأنفة والمراد بها فى حقه تعالى لازمها وهو الانتقام.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«أَتَدْرُونَ مَنْ الْمَفْلَسُ؟»** قالوا: المفلس فىنا من لا درهم له ولا متاع فقال: **«إِنَّ الْمَفْلَسَ مَنْ أَمَتَى يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا،**

وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه فطرح في الناس» (رواه مسلم) والحديث معناه واضح في ترهيب الناس عن الأفعال والصفات المذكورة في الحديث الشريف، وعلى الواعظ تقريب معنى مقصوده إلى أذهان سامعيه حتى يتأكد من وصول ما يريد إلى قوى الفهم منه وإلى الضعيف.

وعن حذيفة رضى الله عنه أنه قيل له: هل تركت بنو إسرائيل دينهم أى حتى عذبوا بأنواع العذاب الأليم كمسخهم قردة وخنازير وأمرهم بقتل أنفسهم؟ قال: لا ولكنهم كانوا إذا أمروا بشيء تركوه، وإذا نهوا عن شيء ركبوه حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه، وقال بلال بن سعد: لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى من عصيت، وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه: إذا عظمت الذنب فقد عظمت حق الله تعالى وإذا صغرت فقد صغرت حق الله، وما من ذنب عظمته إلا صغر عند الله، وما من ذنب صغرتة إلا عظم عند الله، وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ * إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

وروى الإمام أحمد في مسنده عن وهب قال: إن الرب سبحانه وتعالى قال في بعض ما يقول لبنى إسرائيل: «إني إذا أطاعنى العبد رضيت عنه، وإذا رضيت عنه باركت فيه، وفي آثاره وليس لبركتي نهاية، وإذا عصانى العبد غضبت عليه، وإذا غضبت عليه لعنته ولعنتى تبلغ السابع من ولده»، وهذا مدلوله أيضا قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ فإن كان لك خوف على صغارك وأولادك الضعفاء فاتق الله في أعمالك لاسيما في أولاد غيرك، فإن الله تعالى يحفظك في ذريتك، وييسر لهم من الحفظ والخير والتوفيق ببركة

تقواك، وأما إذا لم تتق الله في أولاد الناس ولا في حرمهم فاعلم أنك مؤاخذ بذلك في نفسك وذريتك وأن ما فعلته كله يفعل بهم.

وروى الطبراني في الأوسط من حديث عائشة مرفوعاً: «**عفوا تعف نساؤكم، وبروا آباؤكم تبركم أبناؤكم**» وقال بعض الأدباء:

إذا طاب أصل المرء طابت ومن عجب جادت يد الشوك
فروعاً ————— ه ب ————— الورد
وقد يخبث الفرع الذي ليظهر فعل الله في العكس
طاب أصله والطرْد

وهذا ما فسرهُ القائل: قد نجد في فرع العصاة صالحاً كابن أبي طالب وبالعكس كابن نوح وابن آدم القاتل.

ثانياً: حكايات الأنبياء والصالحين:

وهذا بقص ما جرى لهم وعليهم من المصائب والبلايا بسبب هفواتهم إن وجدت، فذلك شديد التأثير ظاهر النفع في قلوب الناس السامعين للعة فعن أبي بن كعب رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**قام موسى النبي خطيباً في بني إسرائيل يذكرهم أيام الله**» وأيامه هي نعمائه وبلائه «**فسئل أى الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم من جميع الناس فى اعتقاده فلم يكن ذلك كذبا**» فعتب الله عليه تنبيهها له وتعليماً لمن بعده ولئلا يقتدى به غيره فى تزكية نفسه فيهلك، والمراد بالعتب هو عدم الرضا بذلك؛ ولذا أمره بالذهاب إلى الخضر للتأدب لا للتعليم، إذ لم يرد العلم إليه تعالى كأن يقول: الله أعلم، فأوحى الله إليه إن عبداً من عبادى بمجمع البحرين هو أعلم منك، وهذا بشيء مخصوص وهو ما علمه من الغيوب وحوادث القدرة مما لا يعلم الأنبياء منه إلا بما أعلموا به كما قال سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ: «**إنى لا أعلم إلا ما علمنى ربى**»، وإلا فلا ريب أن موسى عليه السلام أعلم من الخضر بوظائف النبوة وأمور الشريعة وسياسة الأمة، ويدل هذا قول الخضر فى هذا الحديث: «**إنى على علم من**

علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت على علم علمكه لا أعلمه»، فانظر كيف عوتب موسى عليه السلام على حكم بناه على ظنه واعتقاده وامتنح من أجله بالذهاب إلى الخضر، وموسى أفضل منه تأديبا له واعتبارا لغيره وهذا يحدث لنبي فما بال المذنبون المقصرون ماذا يفعل الله بهم (والحديث من صحيح البخارى).

وروى البيهقي في الشعب من حديث أنس رضى الله عنه: «أتى جبريل يعقوب عليه السلام وقال: إن الله يقرئك السلام ويقول لك: أتدرى لم أذهبت بصرك وقوست ظهرك وصنع إخوة يوسف به ما صنعوا؟ إنكم ذبحتم شاة فأتاكم مسكين وهو صائم فلم تطعموه منها شيئا، فكان يعقوب إذا أراد الغذاء أمر مناديا ينادى: ألا من أراد الغذاء من المساكين فليتخذ مع يعقوب، وإن كان صائما أمر مناديا فنادى ألا من كان صائما من المساكين فليفطر مع يعقوب» (وأخرجه الحافظ المنذرى فى كتاب الترغيب والترهيب من رواية الأصبهاني فى باب كفالة اليتيم).

وكذلك لما قال يوسف عليه السلام لصاحب الملك: اذكرنى عند ربك قال تعالى: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ فعوقب بطول السجن برجوعه إلى غير الله تعالى مع أن الاستغاثة بالخلق فى دفع الظلم جائزة فى الشريعة، إلا أن حسنات الأبرار سيئات المقربين، فهذا وإن كان جائزا لعامة الناس إلا أن الأولى بالصدّيقين أن يقطعوا نظرهم عن الالتفات إلى غير الله تعالى وأن لا يشتغلوا إلا بالالتجاء إليه فى السراء والضراء وعند الشدائد والبلايا.

وأىضا من ذلك ما جرى لسيدنا سليمان بن داود عليهما السلام قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ فإن أوضح ما قيل فى فتنته عليه السلام ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قال سليمان بن داود عليهما السلام، لأطوفن الليلة على مائة امرأة كلهن تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله فقال له صاحبه: قل إن شاء الله فلم يقل: إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت

بشق رجل، والذي نفس محمد بيده لو قال: إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون» (متفق عليه).

ومعنى الحديث: لأطوفن أى لأجامعن، وصاحبه: أى قرينه من الملائكة، أو وزيره من الإنس، ولم يقل إن شاء الله: أى بلسانه لا إباء عن التفويض إلى الله تعالى، بل لشغل أو نسيان عراه فصرفه عن الاستثناء القدر السابق أن لا يكون ما تمنى كما هو لائق بمنصب النبوة وشق الرجل هو الجسد الذى ألقى على كرسيه (والحديث فى الصحيحين).

ومثل هذه الحكايات لا تتحصر ولم يرد بها القرآن الحكيم ورود الأسمار، بل الغرض منها العظة والاعتبار ليعلم المرء أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع عظمة مكانتهم وجلالة قدرهم عند الله تعالى لم يتجاوز الله عنهم فى هفواتهم الصغيرة، فكيف يتجاوز عن غيرهم فى كبائر الذنوب فليعتبر بذلك العبد، ويكون على غاية الحذر من الوقوع فى معصية الله، وأن يحرص على طاعة ما أمره الله به والابتعاد عن ما نهى الله عنه حتى يفوز بسعادة الدارين ويأمن غضب الله فى الدنيا والآخرة ويكون من الفائزين برضا الله ورحمته يوم القيامة.

ثالثا: معرفتهم بعقوبة الذنوب فى الدنيا:

وذلك بأن يبيث فى أذهان سامعيه أن عقوبة الذنوب متوقعة أن تتم للعاصين فى الدنيا وأن يقرر فى أذهانهم أن كل ما يصيب العبد من المصائب والبلايا، فهو بسبب جناياته التى صدرت منه - فإن الذنوب كلها يجعل شؤمها فى الدنيا غالبا قال عز وجل ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، مثل الجذب وقلة الأمطار وخراب الزراعة والخسارة فى التجارة ونزول الأفات بالناس والدواب وكثرة الحرق والغرق، ومحق البركة من كل شئ بشؤم معاصيهم ليزيقهم بعض جزاء تلك الجرائم وفى الآخرة باقى العقاب.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ

مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}، أى لو أنهم صدقوا بما أوحى إلى الأنبياء ولم يصروا على ما فعلوا من الذنوب لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب، ولكن لم تغنهم الآيات والنذر فعاقبناهم بما كانوا يفترون من الكفر وأنواع المعاصي.

وقال تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}، أى ما ينزل بكم من المكاره كالآلام والأسقام بالنفس والأهل والولد والعاهات بالمزروعات والمواشي فهو بسبب معاصيكم التي ارتكبتها، ويعفو عن ذلك من الذنوب فلا يعاقب عليها هذا بالنسبة للعاصين أما ما ينزل بالطائعين من المحن والبلايا فلأسباب أخرى، منها تعريضهم لثواب الصبر عليها ورفع درجاتهم.

وعن أبى بكر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة، إلا عقوق الوالدين، فإن الله يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات» (رواه الحاكم).

وقال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جِئَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم سَيْلَ الْعَرَمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىٰ أَكْلِ خُمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ}، فهؤلاء غمرهم الله عز وجل بنعمه ومنحهم حياة طيبة، فلما أعرضوا عن واجب الشكر سلبهم الله النعمة، وأرسل عليهم سيلا جارفا أغرق أموالهم وخرب بلادهم.

وروى الحاكم بإسناد صحيح أن النبي ﷺ قال: «إن الرجل ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه»، والكلام هنا في المسلم وليس غيره؛ لأن يرى أن الكفرة والفسقة أكثر مالا وأحسن صحة عن المسلم المرحوم بسبب ذنب ارتكبه، والله أخص المسلم بذلك العقاب في الدنيا ليرفع درجته في الآخرة وبه عرف أنه لا تنافى بينه وبين خبر: «إن الرزق لا تنقصه المعصية»،

ولذا وجه بعض الحكماء والعلماء الخبر بأن الله تعالى لطائف يحدثها للمؤمن ليصرف وجهه إليه عن اتباع شهوته، فإذا اشتغل بذلك عن ربه حرم رزقه فيكون زجرا له عما أقبل عليه، وتأديبا له حتى لا يعود لمثله.

فعادة الله في خلقه أن العبد متى مال قلبه إلى شيء والتفت خاطره إلى شيء جعل ذلك الشيء منشأ للآفات، فحينئذ ينصرف وجه القلب عن عالم الحدوث إلى عالم القدوس، فإن آدم عليه السلام لما تعلق بالجنة جعلها محنة عليه حتى زالت الجنة، فبقى آدم مع ذكر الله عز وجل، وإبراهيم عليه السلام لما سأل ربه الولد ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته، والله تعالى قد اتخذ خليلا، والخلة مقام يقتضى إفراد المحبوب بالمحبة، فلما أخذ الولد شعبة محبة من الوالد جاء اختبار الله له ليرى الإخلاص في الخلة كما هو أم نقص عجه الولد فأمره الله بذبح محبوه (ولده) فلما أقدم على ذبحه وبهذا كانت محبة الله عنده أعظم من محبة الولد، وظهر الإخلاص في محبة الله وخلته، فلم يبق في ذبح الولد مصلحة فقد حصل المقصود فنسخ الأمر وفدى الذبيح وصدق الخليل الرؤيا وتم مراد الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ إذن الخسارة في الدنيا والآخرة للذين ينشغلون بالمال والبنون عن ذكر الله وطاعته وحسن عبادته، والفائزون هم الذين يعملون لأخراهم من الأعمال الصالحة ويذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ولا يشغلهم شيء عن هذه الطاعة والذكر فأولئك حقاً هم الفائزون.

وحكى عن بعض العارفين أنه كان يمشى في وسط الوحل جامعا ثيابه محترزا عن الوقوع، حتى زلقت رجله وسقط فقام وهو يمشى ويبكى ويقول: هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب ويجانبها حتى يقع في ذنب وذنبين فعندها يخوض في الذنوب خوضا، وهو إشارة إلى أن الذنب تعجل عقوبته بالإنجرار إلى ذنب آخر؛ ولذا قال بعض الحكماء: إني لأعرف

عقوبة ذنبي حتى في فأر بيتي، وقال الفضيل رحمه الله: ما أنكرت من تغير الزمان وجفاء الإخوان فذنوبك أورتك ذلك. وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: لا يفوت أحد صلاة الجماعة إلا بذنب يذنبه فدقائق العقوبات على قدر جلائل الدرجات، والمصائب والبلايا تكون على الغير صابرا ومحتسبا إلى الله تكون نقمة، وعلى المسلم الصابر طهارة له ونعمة فقال البعض: كل بلية اقترنت بالصبر كانت نعمة.

رابعاً: ذكر عقوبات كبائر الذنوب كالقتل والزنا وغيرها :

حيث لابد للواعظ أن يذكر ما ورد في الكتاب والسنة من العقوبات على آحاد الذنوب كالقتل والزنا وأكل الربا وأكل مال اليتيم وشرب الخمر والميسر والسرقه والقذف والغيبة والنميمة، كما يلزم تحذير الناس من أنواع الراذل الخلقية والأخلاق المذمومة كالجبين والشر والكذب والخيانة والغدر والنفاق والرياء والكبر والبخل والشح والجزع عند البلايا، والحد والحسد، والحث على الأمانة في العمل وإتقانه، والنهي عن كل ما يضر بالأمة في دينها ودنياها فينبغي للواعظ الناصح أن يكون كالطبيب الحاذق يستدل أولاً بالنبض على العلل الباطنة ويشغل بعلاجها والمرشد يستدل بقرائن الأحوال على خفايا الصفات ويقتدى بما كان عليه، إمام الدعاة المرشدين سيدنا محمد الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه والسلف الصالح والتابعين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني قال: «لا تغضب» فردد مراراً قال: «لا تغضب» (رواه البخاري)، وقال له آخر: أوصني يا رسول الله فقال صلوات الله وسلامه عليه: «عليك باليأس مما في أيدي الناس فإن ذلك هو الغنى، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وصل صلاة مودع، وإياك وما يعتذر منه»، (رواه العسكري في الأمثال، والحاكم وغيرهما وصحح إسناده)، فكأن النبي عليه الصلاة والسلام توسم في السائل الأول مخايل الغضب فنهاه عنه، وفي الثاني مخايل الطمع في الناس وطول الأمل وعدم حضور القلب في الصلاة، وكثرة الاعتذار لإخوانه فنهاه عنها.

وكتب معاوية إلى عائشة رضى الله عنهما: أن اكتبى لى كتابا توصينى فيه ولا تكثرى (وذلك حين تولى الإمارة) فكتبت إليه: من عائشة إلى معاوية، سلام عليك أما بعد فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس سخط الله برضا الناس وكله الله إلى الناس والسلام عليك» (رواه الترمذى والحاكم)، إنها رضى الله عنها تعرضت للآفة التى يكون عليها أو بصددھا الولاية من مراعاة الناس وطلب مرضاتهم، وهذا ما فطنته رضى الله عنها فى بداية إمارة معاوية.

فالمرشد الفطن الناصح هو الذى يصرف عنايته إلى تفرس الصفات الخفية من الأحوال التى يراها أمامه ومن الصفات التى يلمحها، وظواهرها فيمن أمامه، وذكر النصائح اللائقة بالمقام والأشخاص ليكون اشتغاله بالمهم، فإن ذكر جميع مواعظ الشرع مع كل واحد غير ممكن، والاشتغال بوعظه بما هو مستغن عنه إضاعة للوقت، فإن كل المرشد يتكلم فى مجتمع لا يدري عنه شىء وهو غريب عنه فعليه الوعظ فى الأمور الشرعية العامة التى يشترك فيها عموم الناس والمسلمين. فروى أن رجلا قال لأبى سعيد الخدرى رضى الله عنه: أوصنى، قال: «عليك بتقوى الله عز وجل فإنها رأس كل خير، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بالقرآن فإنه نور لك فى أهل الأرض، وذكر لك فى أهل السماء، وعليك بالصمت إلا من خير، فإنك بذلك تغلب الشيطان».

وقال رجل للحسن البصرى: أوصنى قال: " أعز أمر الله يعزك الله "، وقال ابن مسعود رضى الله عنه: مكارم الأخلاق من عمل أهل الجنة، وصنائع المعروف تقى مصارع السوء وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة - أى يغفر لهم يوم القيامة وتبقى حسناتهم جمّة، فيعطونها لمن زادت سيئاته على حسناته، فيغفر له فيدخل الجنة، فيجتمع لهم الإحسان إلى الناس ومعروفهم لهم فى الدنيا والآخرة، وقال ابن عباس رضى الله عنهما: صاحب المعروف لا يقع وإن وقع وجد متكا - وقال

لقمان لابنه: يا بني لا تركز إلى الدنيا ولا تشغل قلبك بها، فإنك لم تخلق لها وما خلق الله خلقاً أهون عليه منها، يا بني لا تضحك من غير عجب، ولا تمش في غير أرب، ولا تسأل عما لا يعينك ولا تضع مالك وتصلح مال غيرك، فإن مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت، يا بني، من يرحم يُرحم، ومن يصمت يسلم، ومن يقل الخير، يغنم، ومن يقل الشر يائثم، ومن لا يملك لسانه يندم. يا بني، زاحم العلماء بركبتيك، وأنصت إليهم بأذنيك، فإن القلب يحيا بنور الحكمة كما تحيا الأرض الميتة بوابل السماء، ولا تجادلهم فيمقتوك، وخذ من الدنيا بلاغك، وأنفق فضول كسبك لآخرتك، ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا، وعلى أعناق الرجال كلا، ولا تجالس السفهية ولا تخالط ذا الوجهين.

وروى البيهقي في الشعب قال: أراد موسى أن يفارق الخضر فقال له موسى: أوصني، قال: كن نفاعا ولا تكن ضرارا، وكن بشاشا ولا تكن غضابا، وارجع عن اللجاجة، ولا تمش في غير حاجة، ولا تعير امرأ بخطيئته، وابكى على خطيئتك يا ابن عمران.

فهكذا ينبغي أن يكون وعظ الناس وإرشاد من لا يدري خصوص حاله، فهذه المواعظ مثل الطعام، يشترك الكافة في الانتفاع بها متى كانت المواعظ من مرشد ناصح أمين حكيم، فإذا خرجت الكلمة من القلب دخلت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الأذان.

بيان الخوف من الله وما ورد في فضله

وعلى الواعظ الناصح أن يحذر الناس من المعاصي بالخوف من الله عز وجل فبين لهم الخوف وما ورد في فضله، ويذكر لهم ما يورث الخوف مع ذكر أحوال الأنبياء والملائكة والصحابة والسلف الصالح، وكيف يخافون الله وما معنى الخوف من الله عندهم؟

معنى الخوف من الله :

الخوف من الله عز وجل تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته من العلم والقدرة والعزة والجلال، وأنه لو أهلك العين لم يبال ولم يمنع مانع، فهو القادر على كل شيء ويفعل ما يشاء وقتما يشاء ومن هو كذلك فيجب الخوف منه، وذلك كخوف الملائكة قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، قال عنه العلماء: هو خوف الإجلال، وتارة يكون بكثرة اقتتراف العبد المعاصي، وتارة يكون بهما جميعاً، وأخوف الناس من الله من عرف عيوبه وعرف حلال الله تعالى، وعلم صفات الله وأنه جل شأنه غنى عن العالمين، فعلى قدر علمه يكون خوفه من ربه قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وهم العارفون بأنفسهم وبربهم والخشية أشد الخوف فقال ﷺ: «والله لأنا أعلمهم بالله واشدهم له خشية»، وإذا امتلأ القلب بالخوف من الله تعالى، فإن أثر ذلك يفيض من القلب على الجوارح يكفها عن المعاصي ويدفعها إلى الطاعات ولذا قيل: ليس الخائف من يبكى ويمسح عينيه، بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه، وقال آخر: من خاف شيئاً هرب منه ومن خاف الله هرب إليه.

فضل الخوف من الله :

وهو ما ورد فيه الكثير والكثير، ودلالة على فضله أن الله تعالى جمع للخائفين بين الهدى والرحمة والعلم والرضوان، وهي مقامات أهل الجنان فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَا حَ وَفِي سُخْرِيهَا هُدًى

وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ}، وقال عز وجل: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} وقال: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ}، وقال تعالى: {وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} أمر الله بالخوف منه وجعل الإيمان منشأه وعلته، وقال تعالى: {سَيَذَكَّرُ مَن يَخْشَى}.

وروى ابن حبان في صحيحه والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربه: «قال الله سبحانه وتعالى: وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين، إن أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة، وإن خافنى فى الدنيا أمنتها يوم القيامة»، وأخرج ابن أبى الدنيا أن النبي ﷺ قال: «إذا اقشعر جسد العبد من مخافة الله عز وجل تحاتت عنه خطاياه كما يتحاتت عن الشجرة اليابسة ورقها».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «رأس الحكمة مخافة الله»؛ لأنها تمنع النفس عن المعاصى، والحكمة هنا نور يقذفه الله فى قلب المؤمن التقى يفرق به بين الحق والباطل والضرار والنافع، وقال الفضيل رحمه الله: من خاف دله الخوف على كل خير، وقال يحيى بن معاذ: «مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة»، أى لو خاف النار كما يخاف الفقر لهرب من أسباب دخول النار إلى أسباب دخول الجنة. وقال أبو سليمان الدرانى: كل قلب ليس فيه خوف الله فهو خراب، وقيل للحسن البصرى رحمه الله: يا أبا سعيد، كيف نصنع ؟ نجالس أقواما يخوفونك حتى تكاد قلوبنا تطير فقال: والله إنك إن تخالط أقواما حتى يدركك أمن خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى يدركك الخوف.

وقال رسول الله ﷺ: «لا يلج النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع، ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخرى مسلم أبدا» (رواه الترمذى وقال: حسن صحيح).

ما يورث الخوف من الله :

الخوف من الله منه خوف العلماء وأرباب القلوب السليمة والبصائر النافذة العارفين من صفاته عز وجل ما يوجب الهيبة والحذر قال تعالى: **{وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ}**، وقال: **{اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ}**، ومنه خوف العامة من الناس وهو حاصل بأصل الإيمان بالجنة والنار، وأنهما دارى جزاء على الطاعة والمعصية، ويضعف هذا الخوف بسبب الغفلة وضعف الإيمان، وتلك الغفلة تزول بالوعظ وملازمة الفكر فى أهوال يوم القيامة وأصناف العذاب فى الآخرة، مع مجالسة الخائفين ومشاهدة أحوالهم، فإن فانت المشاهدة فالسمع لا يخلو عن تأثير، ومن ثم غلب الخوف على الأنبياء والرسل والعلماء والأولياء وغلب آمن المكر على الظلمة الأطفياء، حتى كأنهم حوسبوا وفرغ منهم فلم يخشوا سطوة العقاب ولا نار العذاب، قال تعالى: **{تَسْأَلُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}**، وانظر إلى رسول الله ﷺ مع كونه سيد المرسلين، كان أشد الناس خوفا فقال عليه الصلاة والسلام: **«أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية»**، وفى صحيح البخارى عن أم العلاء وهى امرأة من الأنصار: أنهم اقتسموا المهاجرين أول ما قدموا عليهم بالقرعة قالت: فطار لنا (أى وقع) فى سهمنا عثمان بن مظعون من أفضل المهاجرين وأكابرهم ومتعبيهم وممن شهد بدرا، فاشتكى فمرضناه حتى إذا توفى وجعلناه فى ثيابه، دخل علينا رسول الله ﷺ فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتى عليك لقد أكرمك الله تعالى: فقال لى رسول الله ﷺ: **«وما يدريك أن الله أكرمه؟»** فقلت: لا أدرى بأبى أنت وأمى يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: **«أما عثمان فقد جاءه اليقين والله إنى لأرجو له الخير»**، وقال عليه الصلاة والسلام بعد ذلك: **«ما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بى»** قالت: فوالله لا أركى أحدا بعده، وقالت: وأحزنى ذلك فنمت فرأيت لعثمان عينا تجرى فجئت رسول الله ﷺ فقال: **«ذاك عمله»**.

ولما توفى عثمان هذا قَبْلَ خده وبكى حتى سالت دموعه الكريمة على خد عثمان وبكى القوم فقال النبى ﷺ: **«أذهب عنها (أى الدنيا) أبا**

السائب لقد خرجت عنها ولم تتلبس بشيء»، وسماه عليه الصلاة والسلام السلف الصالح، وهو أول من قبر بالبقيع رضى الله عنه، فتأمل زجره ﷺ عن الجزم بالشهادة على الله في عثمان هذا مع كونه شهد بدرا وقوله: «وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر وقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

وكان عثمان هذا له صفات حميدة وأعمال صالحة وطاعات ووصفه النبي ﷺ بالسلف الصالح، ورغم ذلك زجر من أجزم بالشهادة على الله في عثمان، ونتعلم من هذا أنه ينبغي للعبد وإن عمل من الطاعات ما عمل أن يكون على حيز الخوف والخشية من الله تعالى وعذابه وأليم عقابه، فإنه لا يجب عليه لأحد من خلقه شيء فقال تعالى: {قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا}.

وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم ورسول الله صلوات الله وسلامه عليه يقول: «شيبتنى هود وأخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت، والغاشية» (روى من عدة طرق)، وقال العلماء: لعل ذلك لما فيهن من التخويف العظيم والوعيد الشديد وما فيهن من ذكر أحوال الآخرة، وعجائبها وأهوالها وأحوال الهالكين والمعذبين، مع ما اشتملت عليه هود من الأمر بالاستقامة كما أمر وهو من أصعب المقامات الذى لا يتأهل إلا هو عليه الصلاة والسلام وهو كمقام الشكر ولذا لما قيل له ﷺ عن مجاهدته لنفسه وكثرة بكائه وخوفه وتضرعه: أتفعل هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبدا شكورا».

والقرآن الكريم ملئ بالمخاوف لمن يتدبر ويعقل ما فيه، ولو لم يكن فيه إلا قوله تعالى: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} لكان كافيا، إذ شرط للمبالغة في مغفرته أموراً أربعة يعجز العبد عن أحادها، التوبة والإيمان الكامل والعمل الصالح ثم سلوك سبيل المهتدين من مراقبة الله وشهوده وإدامة الذكر والفكر والإقبال على الله تعالى، وقوله

تعالى: {فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ}، فقد نبه الله تعالى العبد إلى أن إذا تاب توبة نصوحا وآمن إيمانا كاملا وعمل صالحا كان على رجاء أن يعد من زمرة الفائزين، ولا يغتر العبد بما قيل إن عسى من الله واجبة الوقوع فإنه أكثرى لا كلى.

وقوله: {وَأَنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا}.

وقوله تعالى: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا}، أى نجتمعهم إلى ربهم الذى يغمرهم برحمته الواسعة وافدين عليه كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لإكرامهم وإنعامهم، ونسوق المجرمين كما تساق البهائم إلى جهنم عطاشا فإن من يرد الماء لا يرده إلا لعطش.

وقوله تعالى: {سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ} فإنه غاية فى الوعيد مستعار لقول الرجل لمن يتهدده سافرغ لك أى سأتجرد لإيقاع بك من كل ما يشغلنى عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه، وقوله تعالى: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ}، فخوف عذاب الله هو الذى أذهب عقولهم فى نحو حال من يذهب السكر بعقله، ولا نجاة من تلك الأفراع والأهوال إلا بالتقوى كما أمر الله عز وجل.

وقوله تعالى: {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ}، فأخبر الله تعالى أنه يسأل بعضهم عن أحواله وأعماله، وما استحق به نيل ما عند الله تعالى: فيقول الموفقون: إنا كنا فى الدنيا فى أهلنا أرقاء القلوب من خشية

الله فمن الله علينا بالمغفرة والرحمة ووقانا نار جهنم.

وقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، والقرآن به آيات كثيرة تورث الخوف من الله تعالى.

وفي الصحيحين قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ فقال: «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئا، يا عباس (عم رسول الله) لا أغنى عنك من الله شيئا، يا صفية (عمة رسول الله) لا أغنى عنك من الله شيئا، يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغنى عنك من الله شيئا».

وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: «يا رسول الله والذين يأتيون» هكذا قراءة عائشة رضى الله عنها ﴿مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾، يا رسول الله، هو الذي يزني، ويسرق ويشرب الخمر وهو يخاف الله؟ قال: «لا يا بنت أبي بكر - أو يا بنت الصديق - ولكنه الرجل يصلى ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يتقبل منه» (رواه أحمد والترمذي والبيهقي وغيرهم).

وفيه دليل على أن الخوف يكون مع كمال طاعة العبد لكونه لا يعلم قبول عمله لخفاء ما يطرأ على الأعمال من الآفات.

وعن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة» (متفق عليه).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن عمله فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه» (رواه

الترمذى).

وعنه أيضا رضى الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ: «يومئذ تحدث أخبارها» ثم قال: «أتدرون ما أخبارها؟» قالوا: «يومئذ تحدث أخبارها» ثم قال: «أتدرون ما أخبارها؟» قال الله ورسوله أعلم، قال: «فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول عملت كذا وكذا في يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها» (رواه الترمذى).

وكان ابن السماك يعاتب نفسه ويقول لها: تقولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين، ومع ذلك الجنة تطلبين هيهات هيهات للجنة قوم آخرون ولهم أعمال غير ما نحن عاملون.

وقال بعض السلف: لو نودى ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلا واحدا خشيت أن أكون ذلك الرجل، وكان سهل التستري رحمه الله يقول: خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطوة وحركة وهم الذين وصفهم الله تعالى إذ قال: {وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ}. ولما احتضر سفيان الثوري رحمه الله جعل يبكى ويجزع، ف قيل له: يا أبا عبد الله، عليك بالرجاء فإن عفو الله أعظم من ذنوبك، فقال: أو على ذنوبى أبكى؟ لو علمت أنى أموت على التوحيد لم أبالي بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا، أى يقصد أن المال الجنة إذا تحقق موته على التوحيد.

الخوف من سوء الخاتمة:

ولسوء الخاتمة أسباب تتقدمها مثل: الابتداع فى الدين واقتراف الذنوب والكبائر كالزنا والربا وأكل مال اليتيم والنفاق والكبر والحقد والحسد وكل ما يغضب الله من معاصى ومن الصفات المذمومة وسوء الخاتمة نوعان الأول: أن يغلب الجحود على القلب عند سكرات الموت فتفيض الروح فى حال غلبة الجحود فيكون ذلك حجابا بين العبد وبين الله تعالى أبدا، وذلك يوجب البعد الدائم والعذاب المخلد، وسبب الجحود ضعف الإيمان فى الأصل، وحب الدنيا ومتى ضعف الإيمان وزاد حب

الدنيا في القلب ضعف حب الله عز وجل، ولا يوضع في القلب ذرة منه من كثرة حب الدنيا في القلب، وذلك يورث الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب وتتراكم عليه ظلمات الذنوب، فلا تزال تطفئ ما فيه من نور الإيمان على ضعفه حتى تصير طبعاً وريناً، فإذا جاءت سكرات الموت ازداد حبه لله ضعفاً لشعوره بفراق الدنيا وهي المحبوب الغالب على القلب، فيتألم القلب بفراق الدنيا وشعوره بذلك، ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بإنكار ما قدر عليه الموت، وكراهته من حيث إنه من الله تعالى فيخشى أن يثور في باطنه بغض الله تعالى بدل الحب فإن اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذا الخطرة، فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكاً مؤبداً، فحب الدنيا رأس كل خطيئة وهو الداء العضال، وقد عم أصناف الخلق لقلة المعرفة بالله تعالى إذ لا يحب الله إلا من عرفه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أى إن كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى من طاعة الله ورسوله ومن المجاهدة لإعلاء كلمة الله فانتظروا بما تحبون حتى يأتي الله بعقوبة عاجلة أو آجلة، وهذا وعيد شديد وتهديد شنيع للمنهمكين في طلب الدنيا والنوع هذا أخطر النوعين لسوء الخاتمة وأسوأهما عاقبة.

أما النوع الثانى لها: وهو ما دون الأول: أن يغلب على القلب عند الموت حب شهوة من شهوات الدنيا فيتمثل ذلك في القلب ويملئه حتى لا يبقى فيه متسع لغيره، ومتى انصرف الوجه عن الله حصل الحجاب، ومتى حصل الحجاب نزل العذاب، فإن اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالأمر خطير؛ لأن المرء يموت على ما عاش عليه كما أنه يبعث على ما مات عليه؛ ولهذا النوع سببان أحدهما كثرة المعاصي والآخر ضعف الإيمان، وذلك أن مفارقة المعاصي من غلبة الشهوات، ورسوخها

فى القلب بكثرة الألف والعادة، وكل ما ألفه الإنسان فى عمره يعود ذكره إلى قلبه عند موته، فإن كل ميله إلى الطاعات وأعمال الخير أكثر، كان أكثر ما يحضره ذكر طاعة الله تعالى، وإن كان ميله إلى المعاصى واقتراف الذنوب أكثر غلب ذكرها فى قلبه عند الموت فالذى غلبت طاعاته على معاصيه بعيد عن الخطر وهو أن يكون محجوباً عن الله تعالى، والذى غلبت عليه المعاصى خطره عظيم جداً، ومن أراد السلامة عن ذلك فلا سبيل له إلا المجاهدة طول العمر، فى منع نفسه عن الشهوات محافظة على القلب منها مع المواظبة على فعل الخيرات والأعمال الصالحة والبعد كل البعد عن الشر وأفعال الشر، ويعلم المرء أنه يموت على ما عاش عليه، ويحشر على ما مات عليه.

خوف الأنبياء والملائكة والصالحين من الله :

للأنبياء مكانة رفيعة لعلمهم بالله تعالى وقربهم منه وكذا الملائكة؛ ولذلك اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء فجاء فى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال لى النبى ﷺ: «اقرأ على القرآن» قلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «إنى أحب أن أسمع من غيرى»، فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾، قال: «حسبك الآن» فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان، وبكاؤه ﷺ لما تضمنته الآية من هول المطلاع وشدة الأمر، وعن عائشة رضى الله عنها: «أن رسول الله ﷺ كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه، فيقوم ويتردد فى الحجرة، ويدخل ويخرج كل ذلك خوفاً من عذاب الله» (متفق عليه) انظر هذا هو رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو سيد الأولين والآخرين يخاف من عذاب الله فما بالنا نحن.

وروى عن أبى داود والترمذى بإسناد صحيح عن عبد الله بن الشخير رضى الله عنه قال: «أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء»، والأزيز صوت غليان القدر وقال أبو

الدرء رضى الله عنه: "كان يسمع أزيز قلب إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام إذا قام إلى الصلاة من مسيرة ميل خوفاً من ربه" (رواه ابن أبي الدنيا).

وروى الإمام أحمد: أن داود عليه السلام ما رفع رأسه إلى السماء بعد هفوته حياء من الله عز وجل، وسببها أن الخصم لما تسوروا المحراب ودخلوا عليه من طريق غير مألوف غلب على ظنه عليه السلام أنهم يريدون قتله فهم بالانتقام لنفسه منهم ثم تبين له عذرهم فهدأ روعه وسكن غضبه، ومال إلى الصفح والتجاوز عنهم طلباً لمرضاة الله تعالى.

وقال المسيح عليه السلام: "معاشر الحواريين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان عن الدنيا بحق أقول لكم إن أكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلام في طلب الفردوس قليل" (رواه أبو نعيم)، وعن أنس رضى الله عنه أنه ﷺ سأل جبريل عليه السلام: «ما لى لا أرى ميكائيل يضحك؟ فقال جبريل: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار» (رواه أحمد بإسناد جيد). وروى ابن أبي الدنيا: «أن الله تعالى ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار مخافة أن يغضب عليهم فيعذبهم بها»، فلا بد لنا أن نقارن أنفسنا وحال خوف هؤلاء الأنبياء والملائكة ونحاول أن نصل إلى ما كانوا عليه من علم وخوف من الله تبارك وتعالى.

أما عن أحوال الصحابة والتابعين والسلف الصالح في خوف من الله عز وجل فننتأمل أحوالهم ومواقفهم من شدة خوفهم فمن شدة خوف قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: ليتنى كنت شعره في صدر مؤمن، وقال يوماً لطائر: ليتنى مثلك يا طائر، ولم أخلق بشراً، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: لما اشتد برسول الله ﷺ وجعه قيل له في الصلاة: قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»، فقالت عائشة رضى الله عنها: إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن غلبه البكاء فقال: «مروه فليصلى» وفي رواية أخرى: قالت: «إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء» (متفق عليه).

وقال عمر رضى الله عنه: عند موته: الويل لعمر إن لم يغفر له، وروى أنه رضى الله عنه كان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن فكان يعاد أياما - أى يزار - من أصحابه، وأخذ يوما تبنة من الأرض فقال: يا ليتنى كنت هذه التبنة، ليتنى لم أخلق ليتنى لم أك شيئا مذكورا، ليتنى كنت نسيا منسيا، ليت أمى لم تلدنى، وقال له ابن عباس رضى الله عنهما ما هذا الخوف يا أمير المؤمنين وقد فتح الله بك الفتوح ومصر بك الأمصار وفعل بك وفعل؟ قال: وددت أن أنجو لا على ولا لى، وفى رواية: لا أجر ولا وزر، وكان فى وجهه رضى الله عنه خطان أسودان من الدموع، وقال رضى الله عنه: من خاف لم يشف غيظه، ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد، ولولا القيامة لكان غير ما ترون، ولما قرأ رضى الله عنه سورة التكوير وانتهى إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾، خر مغشيا عليه، ومر يوما بدار إنسان وهو يصلى ويقرأ سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾، نزل عن حماره واستند إلى حائط ومكث زمانا ورجع إلى منزلة فمرض شهرا يعود الناس، ولا يدرون ما مرضه ولا يستبعد أن يتفق الغشى والإغماء بل الموت لمن سمع الموعدة بحق فضعف من شدة التأثير بها.

فروى عن ابن أبى وائل قال: خرجنا مع عبد الله بن مسعود ومعنا الربيع بن خيثمة فمررنا على حداد، فقام عبد الله ينظر إلى حديدة فى النار فنظر الربيع إليها فتمايل ليسقط، ثم إن عبد الله مضى كما هو حتى أتينا على شاطئ الفرات على أتون، فلما رآه عبد الله والنار تلتهب فى جوفه قرأ هذه الآية: ﴿إِذَا رَأَوْهُمْ مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا * وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقْرَّبَيْنَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾، فصعق الربيع وغشى عليه، فاحتملناه فأتينا به أهله قال: ورابطه عبد الله إلى الظهر فلم يفق فرباطه إلى المغرب فأفاق ورجع عبد الله إلى أهله.

وقال ابن مسعود رضى الله عنه: ليتنى إذا مت لم أبعث (ولم يرد به حقيقة التمنى، بل أظهر أن له قبائح يخاف من المؤاخذه بها بعد البعث).

وفى الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم فلما غشينا قال: لا إله إلا الله فكف عنه الأنصارى فطعنته برمحى حتى قتلتها قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبى ﷺ فقال لى: «يا أسامة أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟» قال: قلت: يا رسول الله، إنما كان متعوذا قال: «أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟» فما زال يكررها حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم، وفى رواية فقال رسول الله ﷺ: «أقال لا إله إلا الله وقتلته؟» قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفا من السلاح قال: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟» فما زال يكررها حتى تمنيت أنى أسلمت يومئذ. هذا أن أسامة اجتهد فظن أن الرجل إنما اعتصم بكلمة التوحيد خوفا من السيف فلما عتب عليه النبى ﷺ قال له: يا رسول الله، أعطى الله عهدا ألا أقتل رجلا يقول لا إله إلا الله.

وقال على رضى الله عنه وكرم الله وجهه وقد سلم من صلاة الفجر وقد علته كآبة وهو يقلب يده: لقد رأيت أصحاب رسول الله ﷺ فلم أرى اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثا صفرا غبرا بين أعينهم أمثال ركب المعزى، قد باتوا لله سجدوا وقياموا يتلون كتاب الله يراوون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا ذكروا الله فمادوا كما يمد الشجر فى يوم الريح وهملت أعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم، والله كأنى بالقوم باتوا غافلين.

وقال أبو ذر رضى الله عنه: وددت لو أنى شجرة تعضد، وقال طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه كذلك، وقال عمران بن حصين رضى الله عنه: وددت أن أكون رمادا تنسفى الرياح فى يوم عاصف، وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن الخائفين فقال: قلوبهم بالخوف قرحة وأعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت من ورائنا، والقبر أماننا، والقيامة موعدا، وعلى جهنم طريقنا، وبين يدي الله موقفنا، وكان هذا القول على حسب حاله رضى الله عنه.

ومر الحسن البصري رحمه الله بشاب وهو مستغرق في ضحكته جالس مع قوم فقال له الحسن: يا فتى هل مررت بالصراط؟ قال: لا، قال: فهل تدرى إلى الجنة تصير أم إلى النار؟ قال: لا، قال فما هذا الضحك؟ قال: فما روى ذلك الفتى بعدها ضاحكا.

فهذا بعض من كثير من مواقف وأحوال مخاوف الخلفاء والأولياء والعلماء والصالحين رضى الله عنهم أجمعين، ونحن اليوم الخوف لنا أوجب وأجدر منهم أين نحن من هؤلاء؟ ورغم مكانتهم وأعمالهم الصالحة وتقواهم العالية إلا أنهم كانوا يخافون من الله ومن لقاء الله فما بالنا نحن الآن علينا الرجوع إلى الله بالطاعة الخالصة لله تبارك وتعالى، علينا بالمعاملة الحسنة للناس الخالية من الحقد والطمع وحب النفس والمال، علينا بحب الناس لله وفي الله، علينا بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه، علينا بكثرة الذكر ليلا ونهارا، وفي كل وقت حتى نأمن سوء الخاتمة، وعلينا تخيل عذاب الله لنا وقدرته علينا حتى نخاف من هذا اليوم الذى لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

الأعمال الصالحة نجاة يوم القيامة:

فالأعمال الصالحة هي التي تأمن سوء الخاتمة فطالما المرء مشغولا دائما بالعمل الصالح والطاعة والذكر يكون دائما خائفا من الله ويعمل ليوم القيامة، حتى يكون من الفائزين برحمة الله تعالى، فيجب على كل مسلم المبادرة والمسارة بالعمل الصالح صافيا لله تعالى ابتغاء وجهه الكريم، وليس رياء الناس أو ليقول عنه فلان فعل كذا وكذا، فقال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، أى بادروا إلى ما يؤدي إليهما من أداء الواجبات وترك المنهيات وقال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ بمعنى المبادرة والمسارة على فعل الخير وأعمال الطاعة التي تقرب إلى الله ورضا الله عز وجل، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال سبعاً

هل تنتظرون إلا فقرا منسيا (أى شاغلا عن أمور الآخرة) أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فالدجال شر غائب ينتظر، والساعة فالساعة أدهى وأمر» (رواه الترمذى).

وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال النبى ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك» (رواه البيهقى). وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» أى من الشواغل الدنيوية المانعة عن أمور الآخرة والأعمال الصالحة من الطاعة وترك المنهيات التى إذا فعلها تجلب عليه غضب الله فى الدنيا والآخرة، فعلى الإنسان أن يستغل صحته ووقته فى طاعة الله وذكره والقيام بالأعمال الصالحة التى تنفعه فى الدنيا والآخرة، والحديث تشبيه المسلم المكلف بالتاجر والصحة والفراغ برأس المال بأن كلا من أسباب الربح، فمن عامل الله بامتنال أو امره ربح، ومن عامل الشيطان باتباعه ضيع رأس ماله وخسر، والحديث رواه البخارى والترمذى.

قال ابن عمر رضى الله عنه: خرج رسول الله ﷺ والشمس على أطراف السعف فقال: «ما بقى من الدنيا إلا كما بقى من يومنا هذا فيما مضى منه» (رواه ابن أبى الدنيا والترمذى والسعف هو غصون النخل).

وقال جابر بن سمرة رضى الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش يقول: «صبحكم ومساكم ببعث أنا والساعة كهاتين وقرن بين إصبعيه» (رواه سلم).

وخطب الإمام على رضى الله عنه على المنبر فقال: «اتقوا الله عباد الله وبادروا آجالكم بأعمالكم» أى استكملوا أعمالكم قبل حلول آجالكم «وابتاعوا ما يبقى بما يزول عنكم» أى اشترؤا ما يبقى من النعيم

الأبدى بما يفنى من لذة الحياة الدنيا وشهواتها المنقضية «وترحلوا فقد جذبكم»، أى إعداد الزاد وهو الأعمال الصالحة وتقوى الله قبل الرحيل والانتقال إلى الله ولقائه يوم الحساب يوم الفرع الأكبر «واستعدوا للموت فقد أظلكم»، أى قرب الموت منكم حتى كأن له ظلا قد ألقاه عليكم ولا عدة له إلا صالح العمل «وكونوا قوما صيحيهم انتبهوا» أى كونوا قوما حذرين وانتبهوا من نومكم وغفلتكم وهبوا لطلب النجاة «واعلموا أن الدنيا ليست بدار» أى ليست الدنيا دار بقاء «فاستبدلوها بدار الآخرة فإن الله سبحانه لم يخلقكم عبثا ولم يترككم سدى»، وما بين أحكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به وإن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة، وإن غائبا يحدوه الجديان الليل والنهار لحرى بسرعة الأدبة" والمقصود بالغائب هو الموت يسوقه الليل والنهار بكرورها عليك وما أسرع مرهما الانتهاء إلى الغاية "وإن قادما يقدم بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العدة " والقادم أيضا هو الموت إما بفوز وإما بشقوة وعدته الأعمال الصالحة، فتزودوا فى الدنيا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غدا فاتقى عبد ربه نصح نفسه قدم توبته وغلب شهوته فإن أجله مستور عنه وأمله خادع له والشيطان موكل به يزين له المعصية ليركبها ويمنيه التوبة ليسوفها حتى تهجم منيته عليه أغفل ما يكون عنها فيا لها حسرة على ذى غفلة أن يكون عمره عليه حجة وأن تؤديه أيامه إلى شقوة. نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم ممن لا تبطره نعمه، ولا تقصر به عن طاعة ربه غاية ولا تحل به بعد الموت ندامة ولا كآبة.

القرآن الكريم والدعوة إلى الله

القرآن الكريم فيه مواضع كثيرة تعلمنا وترشدنا إلى الطريق المستقيم، وإلى الهداية إلى الله سبحانه وتعالى، وهي سنة الله في الهداية لمن أرادها له أن يأخذ بهذه الأسباب والأصول فمن الأصل الأول قوله تعالى: **{ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}**، فإنه يفيد أن المرء إذا آمن بهذا الكتاب الكريم واهتدى به وامتنل أوامره واجتنب نواهيه سلك طريق الهداية وترقى فيه وذلك أن الإنسان إذا آمن بالله فقد أشرق روحه بنور المعرفة مما في القرآن الكريم من نور وهداية، ثم إذا واطب على صالح الأعمال حصلت له ملكة راسخة في الإقبال على الآخرة، وفي الإعراض عن الدنيا وزينتها، وكلما كانت هذه الأحوال أكثر كان استعداد النفس لتحصيل سائر المعارف أشد فكانت بذلك معارج المعارف أكثر وإشراقها أقوى، ولما كانت لا نهاية لمراتب المعارف، والأنوار العقلية لا جرم لا نهاية لمراتب هذه الهداية المشار إليها قوله تعالى: **{هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}** فكلما اتقى العبد ربه ارتقى إلى هداية أخرى ومرتبة أعلى فكلما اتقى زاد هداية، وكلما اهتدى زادت تقواه قال سبحانه وتعالى: **{قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}** وذلك بمعنى أن الله تعالى يهدي بالقرآن الكريم من طلب رضاه بالإيمان به إلى طرق السلامة من العذاب والعقاب والنجاة من الضلال، وينقذهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان والهداية بتيسيره وتوفيقه تعالى، فالنور والكتاب المبين هو القرآن لما فيه من كشف ظلمات الكفر والضلال والزيغ وتوضيح ما خفى على الناس من الحق، والصراط المستقيم هو أقرب طريق إلى الله عز وجل.

وقال الله تعالى: **{هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا}**.
الله تبارك وتعالى البديع أبدع الآيات الكونية الدالة على شئونه العظيمة الموجبة لتفرد الألوهية وجعلها أمام أبصارنا وعقولنا؛ لنستدل بها على

كمال قدرته تعالى وبالع حكمته فنوحده تعالى ونخصه بالعبادة والتعظيم اللائق بذاته جل شأنه كما ينزل الله تعالى لنا ما هو سبب أكيد في رزقنا وحياتنا وهو المطر وأفرد بالذكر مع كونه من الآيات المذكورة، لانفراده بعنوان كونه من آثار رحمته وجلائل نعمته الموجبة للشكر وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى * وَيَتَجَبَّبُهَا الْأَشْقَى * الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾، فقد أمر الله عز وجل رسوله صلوات الله وسلامه عليه بتذكير عباده وتنبيههم من غفلاتهم وإرشادهم إلى طريق الخير وطريق الصواب، والاستعداد لامتنال أوامر الله والعمل بها.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ أى يشرح القلب ويلطفه بالإيمان لازدياد الطاعة والخير، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ فهداهم الله أولاً للإيمان بكل ما يجب الإيمان به فلما آمنوا هداهم بالإيمان هداية بعد هداية فإنه تعالى يوفقهم ويسددهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدى إلى حسن الثواب والفوز بالجنة، كما يهديهم بإيمانهم إلى إدراك الحقائق البديعة بحسب القوة العملية كما فى حديثه صلوات الله وسلامه عليه: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم»، فإن العمل بدين الله مع رعاية سنن الله فى خلقه يورث العلم والحكمة وينير البصيرة وقال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾، أى يزيد المؤمنين المهتدين هدى وذلك أن بعض الاهتداء يجر إلى بعض كالإيمان يجر إلى الإخلاص فيه وآيات الهدى والاهتداء فى القرآن الكريم كثيرة، ومن الأصل الثانى وهو اقتضاء الفجور والكبر والكذب للضلال كقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ وتخصيص الإضلال بهم مترتباً على صفة الفسق وما هم عليه من القبائح المذكورة بعده إيدان ذلك هو الذى أعدهم للإضلال وأدى بهم إلى الضلال والمراد من الفاسقين هنا العاتون

الماردون في الكفر الخارجون عن حدوده ممن حكى عنهم من إنكار كلام الله والاستهزاء به فمن يريد طاعة الله ومن أراد الله به خيرا يبعد عن هذا الصنف من الناس وعن صفتهم ويحذر كل الحذر أن يكون منهم ويتعلم من هذه الآيات الخوف من الله فيبدأ قلبه يرق إلى نور الإيمان وطريق الهدى ويبعد عن طريق الضلال.

وقال تعالى: **{وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ}** ولم يكفهم الضلال ونقض العهد مع الله بل أصروا على ذلك وعلى عدم النصح لهم وعدم دخول ثقب نور من نور الإيمان إلى قلوبهم، وبهذا الإصرار لعنهم الله تعالى وأبعدهم عن رحمته بأن خذلهم وخلاهم وشأنهم بسبب كفرهم العارض، وإبطالهم لاستعدادهم بسوء اختيارهم بالمرّة بعد أن خلقهم على الفطرة والتمكن من قبول الحق.

وقوله تعالى: **{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}**، فأخبر أنه تعالى عاقبهم على تخلفهم عن الإيمان لما جاءهم وعرفوه واعرضوا عنه، بأن قلب أفئدتهم عن إدراك الحق فلا يفقهونه، وأبصارهم عن إجتلائه فلا يبصرونه، وذلك بعد ما علم الله تعالى فساد استعدادهم ونفورهم عن الحق وعدم تأثير اللطف فيهم أصلاً، ويطبع على قلوبهم حسبما يقتضيه استعدادهم كما بينه الله عز وجل في قوله: **{وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}**، أي ندعهم في طغيانهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين، كما قال سبحانه: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ}**، فأمرهم بالاستجابة له ولرسوله بحسن الطاعة حين يدعوهم إلى ما فيه حياتهم من العلوم الدينية والجهاد لإعلاء كلمة الله، ثم حذرهم من التخلف والتأخر عن الاستجابة الذي يكون سبباً للحيلولة بينهم وبين قلوبهم.

والخلاصة: فإن من تدبر آيات الهداية والإضلال يعلم أن الله تعالى إنما يهدي من هو مستعد للهداية بسبب إنابته إلى ربه وأخذه في سبيل تعرف الحق واستعماله مواهبه فيما خلقت له، وأن من تكبر عن معرفة

الحق وأعرض عن كتاب الله وسنة رسوله واتبع هواه جدير بأن يطمس الله على قلبه ويصرفه عن آياته، تلك هي سنة الله عز وجل في خلقه التي أساسها الحكمة والعدل.

وبعد ما تقدم بقي عليك ايها الواعظ الناصح أن تعرف جملة من مواعظ الكتاب العزيز والسنة النبوية وحكمتها العالية، وكيف تتصرف فيها على سبيل الحكمة بحسن التأدية عند القيام بواجب مهمتك فإن منهلك الصافي وبحرك الزاخر الذي لا ينضب معينه كما قال العلماء الأجلاء، ونذكر لك أربعة دروس تضمنت أهم موضوعات الموعظة، وأهم ما يتعرض له الإنسان، وماذا جاء عنها من آيات الذكر الحكيم، فاقراً وتمعن حتى تصبح بعون الله تعالى صاحب لسان واعظ فصيح مؤثراً في قلوب ونفوس سامعيك:

الدرس الأول: الإيمان والكمالات البشرية:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}.

لما أمر الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ بالتوجه إلى الكعبة بعد صلاته قبل بيت المقدس لمدة أكثر من عام، كثر الخوض في أمر القبلة وكان في ذلك محنة للمسلمين والمشركين والمنافقين واليهود، فأما المسلمين فقالوا: سمعنا وأطعنا وهم الذين هدى الله ولم يكن كبيرة عليهم، وأما اليهود فقالوا: إنه خالف قبلة الأنبياء ولو كان نبيا لكان يصلّي إلى قبلة الأنبياء، وقال المشركون: كما رجع إلى قبلتنا يوشك أن يرجع إلى ديننا، وما رجع إليها إلا أنه الحق، وقال المنافقين: ما ندري محمد أين يتوجه إن كانت الأولى

حقاً فقد تركها، وإن كانت الثانية هي الحق فقد كان على باطل. وانتشرت أقاويل السفهاء من الناس، وكانت محنة من الله تعالى امتحن بها عباده ليظهر من يتبع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ممن ينقلب على عقبيه فكان الذين آمنوا بالله وبرسوله وصدقوه وهداهم الله لذلك هم حقاً المؤمنون الذين اتبعوا الرسول ﷺ وكان تغيير القبلة إلى الكعبة فيه سروراً لهم وراحة نفس، رغم أن المقصود من تغيير القبلة هو توضيح معنى الإيمان بالله فأراد الله تعالى أن يبين للناس كافة أن مجرد تولية الوجه قبلة مخصوصة ليس هو البر المقصود من الدين، ذلك أن استقبال الجهة المعينة إنما شرع لأجل تذكير المصلي بالإعراض عن كل ما سواه تعالى في صلاته، والإقبال على مناجاته فتولية الوجه وسيلة للتذكير بتولية القلب، وليس ركنا من العبادة، فليس لكم أن تذهلوا به عن سائر صنوف البر، ولكن البر الذي يجب صرف الهمّة إليه بر من آمن وقام بهذه الأعمال التي بينها الله عز وجل أي أن البر هو الإيمان وما يظهر من آثاره في النفس والعمل.

وفي هذا الصدد يذكر الواعظ للناس حكمة تعيين الجهة في الصلاة وحكمة التوجه إلى بيت المقدس أولاً، ثم التحويل عن بيت المقدس إلى الكعبة، وذلك إن كان عنده وقت أو يوجد سعة في وقت الدرس والموعظة، ونذكر له أقوال على سبيل المثال ويمكنه قولها وذلك مما قاله العلماء في هذا الشأن:

1 - معلوم أن العبد الضعيف إذا وصل إلى مجلس الملك العظيم فإنه لا بد أن يستقبله بوجهه، وأن لا يكون معرضاً عنه وأن يبالغ في الثناء عليه بلسانه، ويبالغ في الخدمة والتضرع له، فالقراءة والتسبيحات كالثناء، والركوع، والسجود، كالخدمة، واستقبال القبلة بمنزلة التوجه بالوجه نحو الملك لا معرضاً عنه، فمن شأن العابد أن يستقبل وجه المعبود، ولما كان الله سبحانه منزهاً عن المادة والجهة واستقباله بهذا المعنى مستحيل شرع للناس مكاناً مخصوصاً يستقبلونه في عبادتهم إياه وجعل استقبال ذلك

المكان كاستقبال وجهه تعالى رحمة منه تعالى بعباده.

2 - إن المقصود من الصلاة حضور القلب، وحضور القلب لا يحصل إلا مع السكون وترك الالتفات والحركات، وهذا لا يتأتى إلا إذا بقي في جميع صلاته مستقبلاً لجهة واحدة على التعيين، وإذا اختص بعض الجهات بمزيد شرف في الأوهام كان استقبال تلك الجهة أولى؛ لأن شرفها محقق.

3 - إن الله تعالى يحب الموافقة والألفة بين المؤمنين، ولو توجه كل واحد في صلاته إلى ناحية أخرى لكان ذلك يوهم اختلافاً ظاهراً، فتعين جهة واحدة يتوجه إليها الجميع في الصلاة يدفع ذلك الوهم ويحمل المؤمنين على الألفة والاتحاد والتعاون على أنواع البر وأعمال الخير.

4 - تمييز المؤمنين الصادقين في إيمانهم من غيرهم ليعلم المؤمنين من يوالون ومن يعادون قال تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ}.

5 - أنه إذا رسخ في أوهام الناس أو بعضهم أن هذه الجهة أشرف من غيرها بسبب أن الله تعالى خص الكعبة بإضافتها إليه بقوله "بيتي" وبناء الخليل وولده لها كان الإنسان عند استقبالها أشد تعظيماً وخشوعاً.

6 - أنه لما كان بناء هذا البيت سبباً لظهور دولة العرب وعزهم كانت رغبتهم في تعظيمه أشد.

7 - الإسراع في قبول ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام من الأوامر والنواهي؛ لأنه لما كانت الكعبة منشأ رسول الله ﷺ كان تعظيمها تعظيماً له ومن رسخ في قلبه تعظيمه كان بقبول شريعته أجدر وإلى امتثال أوامره ونواهيته أسرع.

8 - ومن الحكمة في جعل القبلة لفي أول الأمر بيت المقدس أن الكعبة كانت في أول الإسلام مشغولة بالأصنام والأوثان، وكان سلطان

أهل الشرك متمكناً فيها، والأمل في انكشافه عنها بعيداً، فصرفه الله أولاً عن استقبال بيت في عبادة الشرك، ولما قرب زمن تطهير البيت الحرام من الأصنام وعبادتها جعله الله قبلة للموحدين ليوجه النفوس إليه فيكون ذلك مقدمة لتطهيره، وإتمام النعمة بالاستيلاء عليه، والسير فيه على سنة خليل إبراهيم من التوحيد والعبادة الصحيحة لله وحده.

وبعد ذلك يلفت أذهان سامعيه إلى أن الله عز وجل اشترط أموراً لا يتحقق البر بدونها.

الأمر الأول: الإيمان وهو بأمر خمسة:

الأول: الإيمان بالله: أي التصديق بأن للكون ربا قادرا عليما مدبراً حكيماً، متصفاً بكل كمال منزهاً عن كل نقص، ولا يكون هذا الإيمان أصلاً للبر، إلا إذا كان متمكناً من النفس بالبرهان مصحوباً بالخضوع والإذعان واستقامة العمل، أما التصديق الذي لا يستتبع الآثار ولا يظهر في تهذيب النفس واستقامة العمل فهو إيمان ناقص لا يوصف صاحبه بالصدق ولا بالتقوى. قال حجة الإسلام الإمام الغزالي: مثل المؤمن الذي لا يعمل والمؤمن الذي يعمل كمثل شجرة القرع إذ قالت لشجرة السرو: أنا شجرة وأنت شجرة فتقول شجرة السرو: مهلاً حتى يأتي الخريف بعواصفه فتقلعك، ويطير بك الهواء أما أنا فأبقى راسخة، تزيل العواصف ما جف من أوراقى وتبقى الأوراق الناضرة هكذا حال المؤمن تصفيه النوائب فيخرج منها نقياً سليم العرض سليم العقيدة، أما ضعيف الإيمان فإن النوائب تذهب بما عنده منه ويخرج منها مرذولاً مثلوم العرض كسير النفس ذليلاً عند الله وعند العباد، وهنا يلفت الواعظ الناس إلى معرفة الله عز وجل بالنظر والتأمل في الكون ومخلوقاته الدالة على أنه تعالى كامل الألوهية من طريق القرآن الكريم، ويذكر لهم آثار الإيمان الصادق وصفات المؤمنين ويذكر الآيات التي تدل عليهم وعلى أوصافهم كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا

رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ.

وقوله تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} وقوله: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ}.

الثاني: الإيمان باليوم الآخر: ومعناه الإيمان والتصديق به وبوجوده وما اشتمل عليه من بعث وجزاء وهو آخر أيام الدنيا، أى متصل بآخر أيامها لأنه ليس منها حتى يكون آخرها فهو من تسمية الشيء باسم مجاوره، وهنا يبين أن هذا الإيمان فرع ما قبله؛ لأنه إذا آمن العبد بأنه تعالى قد أحاط بكل شيء علما، وأنه تعالى تام القدرة على جميع المخلوقات أمن بصحة البعث والنشر والحشر، ويملا الواعظ قلوب السامعين رهبة من أهوال يوم القيامة بآيات وأحاديث الوعيد الشديد، ليحملهم بذلك على التزود لسفر طويل، والاستعداد لحساب عسير، كما يبين لهم أن الإيمان باليوم الآخر يهون أمر الحياة الدنيا ويحقر شأنها ويجعلها عند المؤمن طريق الآخرة ووسيلة إليها لا يحب منها إلا ما كان مقربا إلى الله وسبيلا إلى سعادة الآخرة، ولا يحرص عليها حرص من ليس له مطمع وراءه بل سياتى عنده أن يبقى فيها عاملا للصالحات وأن يفارقها فرارا من شرها وتعجلا لنعيم مقيم عند الله تبارك وتعالى.

الثالث الإيمان بالملائكة: أى التصديق بوجودهم وبأنهم كما وصفهم الله تعالى: {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} والملائكة خلق روحانى عاقل عالم قائم بنفسه، وهم من عالم الغيب فلا نبحت عن حقيقتهم، سخرهم الله لما شاء من مصالح البشر فى الدنيا والآخرة، وهنا يبين أن الإيمان بهم أصل للإيمان بالوحي؛ لأن ملك الوحي روح عاقل عالم، يفيض العلم بإذن الله على روح النبى بما شرعه الله

لعباده؛ ولذا قدم ذكر الملائكة على ذكر الكتب والأنبياء فهم الذين ينزلون بالشرائع على المرسلين قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ وقال: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾.

فمن أنكر وجود الملائكة أنكر وجود الوحي والنبوة، وذلك أصل الشقاء في الدنيا قبل الآخرة.

الرابع الإيمان بالقرآن الكريم: أى التصديق بالكتب السماوية كلها وبالقرآن الكريم، وبأنها كلام الله تعالى المنزل على بعض رسله وأن ما جاءت به حق لا ريب فيه، سواء نزل مكتوباً كالتوراة أولاً وكالقرآن الخاتم وهنا يبين أن الإيمان بالقرآن الكريم يستلزم العمل به والاهتداء بهديه، فإن المؤمن الموقن بأن هذا الشيء ضار قبيح لا تتوجه إليه نفسه والمؤمن الموقن بأن هذا الشيء نافع حسن، لابد أن تتوجه إليه إرادته فما بال مدعى الإيمان بالكتاب قد تهاونوا به وأعرضوا عن امتثال أوامره واجتناب نواهيه.

الخامس: الإيمان بالأنبياء والمرسلين: جميعاً من غير تفرقة بين أحد منهم، وهنا يبين ما يجب في حقهم وما يستحيل وما يجوز مع ذكر حكمة إرسالهم والحاجة إلى الرسالة وشيئاً من خصائصهم وأخلاقهم وسيرتهم ليتعلق الناس بهم ويهتدوا بهديهم ويتخلقوا بأخلاقهم، وأن ما جاء في القرآن الكريم من عصيان آدم عليه السلام ومن معاتبة جماعة منهم على أمور فعلوها، فإنما هو من باب أن للسيد أن يخاطب عبده بما يشاء، وأن يعاتبه على خلاف الأولى معاتبة غيره على المعصية أو يقول: إن عصيان آدم بالأكل من الشجرة مما خفى فيه سر النهي عن الأكل والمواخذة عليه، وغاية ما علمناه من حكمته أنه كان سبباً في عمارة الأرض ببنى آدم، ويبين أن الإيمان بهذه الأمور الخمسة قد جمع كل ما يلزم التصديق به ذلك أن للمكلف مبدأً ووسطاً ونهاية، ومعرفة المبدأ والنهاية هو المقصود بالذات وهو المراد بالإيمان بالله واليوم الآخر، وأما

معرفة المصالح التي في الوسط فلا تتم إلا بالرسالة وهي لا تتم إلا بثلاثة الملائكة للوحي ونفس ذلك الوحي وهو الكتاب والنائب عن الله تعالى في إبلاغه وهو الرسول.

الأمر الثاني: إعطاء المال لمستحقه:

فمن الأمور المعتمدة في تحقق مسمى البر إعطاء المال لمستحقه فقال تعالى: **{وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ}**، أي مع حب المال، والشح به يعطيه لمن يستحقه ويخرج زكاته ويخرج من الصدقة، ويذكر هنا للسامعين أن الصدقة حالة الصحة أفضل منها عند القرب من الموت، ففي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: رسول الله، أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: **«قل أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا»**، كناية عن الموصى له والموصى به فيهما "وقد كان لفلان" أي وقد صار ما أوصى به للوارث فيبطله إن شاء إذا زاد على الثلث أو أوصى به لوارث آخر، والمعنى هنا تصدق في حال صحتك واختصاص المال بك وشح نفسك به بأن تقول لا تتلف مالك لنلا تصير فقيراً لا في سياق موتك؛ لأن المال حينئذ خرج منك وتعلق بغيرك.

وعن أبي الدرداء أنه ﷺ قال: **«مثل الذي تصدق عند الموت مثل الذي يهدى بعدما شبع»**، فالإعطاء عند الصحة أدل على تيقنه بالوعد والوعيد من إعطائه حال المرض أو الموت، وأن الهبة عند الموت تشبه الهبة عند الخوف من الفوت.

ثم يذكر لهم الواعظ أن ذلك حث على بذل المال في نوافل الصدقات وأنواع البر إلى هذه المصارف الآتية:

ذوي القربى: وهم الذين يقربون منه بولادة الأبوين أو الجدین، والقريب إذا كان أحوج فهو بذلك أولى؛ لأنه صدقة وصلة فإنه الإنسان إذا احتاج وفي أقاربه غنى فإن نفسه تتوجه إليه بعاطفة الرحم، والإنسان

بفطرته يألم لفافة قريبه أشد من ألمه لفافة الأجنبي فإنه يقوى ويضعف بضعفه.

اليتامى: وهم الفقراء الذين فقدوا من يعولهم وانقطعت حيلهم وليس لهم بعد الله إلا عطف الأغنياء، وهنا يحث الواعظ على العناية بشأن اليتامى لئلا تسوء حالهم وتفسد أخلاقهم فيكونون شرا على أنفسهم وعلى الأمة.

المساكين: من ذوى الحاجة مع العفة والكف عن المسألة، فإنهم لما عجزوا عن كسب ما يكفيهم وسكنت نفوسهم للرضى بالقليل عن السؤال، طلبت مساعدتهم ومواساتهم من ذوى اليسار.

ابن السبيل: وهو المسافر فقد تشتت به الحاجة للوصول إلى أهله، وفى الأمر بمواساته وإعانتته فى سفره، وذلك فيه ترغيب من الشارع الحكيم للحركة فى الأرض والسفر والبحث عن أسباب الرزق فى كل مكان.

السائلين: وهم صنف من المساكين ألجأتهم الحاجة إلى استئداء الأكف فكانوا لذلك موضع عطف ورحمة، والسؤال محرم شرعا على القادر على الكسب إلا لضرورة شديدة يجب على السائل أن لا يتعدها، ويجتهد الواعظ فيما سبق فى تحريك العواطف والقلوب نحو البر بما يحضره من وسائل الترغيب والترهيب السابق ذكرها فى هذا الكتاب.

الأمر الثالث: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة:

وهذا لا بد منه فى تحقق البر ويبين الواعظ هنا سر مشروعية الصلاة، وأنها إذا أديت على الوجه المطلوب كان لها أحسن أثر فى جلاء القلوب وتطهير النفوس من أدران الرذائل، ويبين أيضا حكمة الزكاة، وأنها من أحكم الروابط بين الفقراء والأغنياء، وما انقطعت الصلة وانعدمت الألفة بين المسلمين إلا من منعها.

الأمر الرابع: الوفاء بالعهد:

فمن الأمور التي تحقق البر الوفاء بالعهد والموفون بعهدهم الذين إذا وعدوا أنجزوا، وإذا أنذروا أو حلفوا وفوا، وإذا قالوا صدقوا، وإذا اتئمنوا أدوا ويشرح هنا الواعظ لسامعيه أن الوفاء يتناول كل ما يلتزمه العبد اختياراً فيما بينه وبين مولاه من النذور والإيمان، وما يأخذه على نفسه كذلك بينه وبين سائر العباد في عقود المعاوضات من الشرائط، وكذا ما ينبغي الوفاء به من الوعود العامة بين الناس وأنواع المحالفات، ويمتدح الوفاء أهله ويحث على التخلق به ويذم الأخلاف ويحذر منه.

الأمر الخامس: الثبات عند الشدائد:

والصبر عند المكاره فإن الله سبحانه وتعالى مدح الصابرين في البأساء والضراء، ووقت مجاهدة العدو في مواطن الحرب، وهنا يذكر الواعظ فضيلة الصبر ومعناه ويسهل على السامعين التخلق به في جميع الأحوال بأن الله تعالى أضاف إليه جميع الخيرات وبلوغ أعلى الدرجات، وأن الذين تحلوا بهذه الصفات الجميلة هم الذين صدقوا في الدين واتباع الحق وتحرى وجوه البر لم تغيرهم الأحوال ولم تزلزلهم الأحوال {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}، عن الكفر وسائر الرذائل.

ثم يختم الواعظ درسه ببيان الآية إجمالاً ليكون ذلك أثراً باقياً في نفوس السامعين كأن يقول: إن الله عز وجل بعث الناس على استيفاء أنواع الطاعات ووسائل السعادة، ونبههم إلى أنه ليس البر أن تلهجوا بأمر وتتركوا ما عداه إن الخير كثير الوجوه فلا تقفوا موقف الذين قصرت أنظارهم، فالبر كل البر أن تجمل النفس بالمعارف وأهمها الإيمان بالله وباليوم الآخر والملائكة والكتب السماوية والأنبياء، وأن يسخر الجسم في الأعمال الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحج وأن يكون المرء حسن العشرة فيبذل المال لذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وأن يكون كريم الأخلاق فلا يخلف إذا وعد ولا يجزع عن الملمات كالفقير وشدته والمرض وحدته والقتال وصدمته، وبذلك يتم الجمال والكمال، ويلزم لاستيفاء ما أشرنا إليه استحضار معانى النظم الكريم ويرجع الواعظ

إلى كتب الحديث الشريف وليكن كتاب رياض الصالحين والأحياء.

الدرس الثاني: حسن الخلق وصفات المؤمنين:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (أول سورة المؤمنون) إذا أراد الله بعبد خيرا شرح صدره لما فيه فلاحه ونجاته، واستعمل جوارحه فيما يرضيه، والسعيد الموفق إذا جاءته الموعظة انفتح لها قلبه ونشطت للعمل عليها جوارحه، أولئك هم أهل الهداية، وأولئك لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة. ثم يبين الواعظ للسامعين الصفات التى جاءت فى الآية الكريمة التى بينها الله سبحانه وتعالى وهى سبع صفات ويذكر كل صفة بشرحها الوافى ليتأثر به السامعين ويحثهم بذلك على تلك الصفة:

الأولى: الإيمان بالنبي ﷺ وبما جاء به من الدين والتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها حيث قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فهؤلاء الذين اختصوا من بين المؤمنين بأن جملوا بواطنهم بأنوار المعارف وكمّلوا ظواهرهم بالقيام بوظائف العبودية وتحلوا بمكارم الأخلاق، قد فازوا بكل خير ونجوا من كل ضير حسبما كان متوقعا من حالهم، فإن إيمانهم الصادق وما تفرع عليه من أعمالهم الصالحة من دواعى الفلاح بموجب هذا الوعد الكريم، وفى هذا المقام يشبه الإيمان بشجرة طيبة، ويذكر لهم أن المقصود هو الإيمان الصحيح الذى يظهر أثره فى تهذيب النفس واستقامة الأعمال، وليس ينفع المرء أن يقول: أنا مؤمن وهو خبيث النفس سيئ القول. روى البخارى فى تاريخه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل، وإن قوما غرتهم

الأماني حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا: نحن نحسن الظن بالله تعالى وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل».

الثانية: الخشوع في الصلاة بالخضوع والتذلل لله رب العالمين وعدم التفات القلب فيها إلى شيء سوى التعظيم لله تبارك وتعالى وبسكون الجوارح والإطراق بالنظر إلى موضع السجود وعدم الالتفات يميناً ويساراً وهذه الثلاثة من لوازم خشوع القلب فقد رأى بعض السلف رجلاً يعبت بيده في الصلاة فقال: لو خشع قلب، هذا لخشعت جوارحه، وقال تعالى: {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}.

فهؤلاء الخائفون من هيبة الله جل شأنه المتذللون له الخاضعون لجلاله قد ألزموا أبصارهم مساجدهم فكانوا هم الفائزين.

وفي هذا يبالغ الواعظ في الحض على الخشوع في الصلاة مبيناً أن منزلته منها منزلة الروح من الجسد فكما لا عبرة لجسد بلا روح كذلك لا عبرة لصلاة بلا خشوع، وذلك أن المصلي إنما يناجي ربه والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة، وما الصلاة إلا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود أما الذكر فإنه مناجاة ولا تحقق لها إلا إذا كان اللسان معبراً عما في القلب من التضرعات، ولا ريب أن المقصود من الذكر والقراءة الثناء والدعاء والمخاطب هو الله تبارك وتعالى فإذا كان القلب غافلاً عن جلاله وكبريائه ولسانه يتحرك بحكم العادة فما أبعد عن القبول وأما الركوع والسجود فالمقصود منها التعظيم لله جل شأنه ومحال أن يكون مع الغفلة تعظيم.

فلم يبق إلا حركة الظهر والرأس وليس في ذلك المعنى ما تصير الصلاة لأجله عماد الدين وفاضلاً بين الكفر والإيمان، كذلك يحذر الواعظ سامعيه من العبث والالتفات في الصلاة بأن المصلي مشمول بإحسان الله ما لم يلتفت، فإن التفت قطع الله عنه إحسانه فقال النبي صلوات الله وسلامه عليه: «لا يزال الله مقبلاً على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فإن التفت أعرض عنه» (رواه أبو داود من حديث أبي ذر رضى الله

عنهما).

وعن عائشة رضى الله عنها سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال: «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد» (رواه البخارى).

الثالثة: ترك العبد مالا يعنيه من كل مالا يعود عليه منه فائدة في الدين والدنيا قولاً وعملاً، كالهزل واللعب وضياح الأوقات فيما لا ينفع بل ينبغي للمرء أن يشتغل فيما ينتفع به من عمل صالح لمعاده، أو درهم حلال لمعاشه، قال تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ}. أى تاركون له فى عامة أوقاتهم وخاصة حالة اشتغالهم بالصلاة فهؤلاء قد مدحهم الله بالإعراض عما لا يفيد، وفى هذا المقام يحذر الواعظ الناس من الكسل فى الأعمال الدينية، وينفرهم من البطالة وأهلها بما يحضره من الشواهد الشرعية وأثار السلف الصالح فى ذلك.

الرابعة: أن يقوم أغنياء المسلمين بأداء الحق الواجب فى أموالهم إلى مستحقه؛ فبذلك تملك القلوب ويدوم الوئام والوفاق بين الناس ويكثر الخير وتعم البركة والرحمة قال تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ}، أى مؤدون وصفهم الله تعالى بذلك بعد أن وصفهم بالخشوع فى الصلاة دلالة على أنهم بلغوا الغاية من القيام بالطاعات البدنية على وجهها، والمالية على أربابها، والتجنب عن المحرمات فطوبى لهؤلاء صلحت قلوبهم فخشعوا، وطابت نفوسهم فبدلوا وهنا يحث الواعظ الأغنياء على دفع الزكاة ويرغبهم فى ذلك، ويرهبهم من منعها بذكر الآيات اللازمة لذلك والأحاديث، فإن فى ذلك أثر عظيم فى نفوس سامعيه.

الخامسة: نهى النفس عن مطاوعة الهوى والشهوة بمنع الفرج عن كل ما لا يحل، وقصره على ما أحل الله تعالى له من الحرائر والإماء بعقد النكاح، وفى ذلك الغنم والسلامة قال تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ}، فهؤلاء الذين غلبت عقولهم على شهواتهم وهى داعية لهم إلى ما لا يخفى فصانوا فروجهم، وغضوا أبصارهم، فلم يرسلوها على أحد إلا

على الحلائل وبذلك بلغو كمال العفة، أما من أَرْضَى شهوته ولم يحصن فرجه ورضى لنفسه أن يكون حيوانا يقضى شهوته مع أنثاه من غير قيد أو شرط، فذلك الجانى على حرمة الآداب المنتهك للحرمات، وفى هذا المقام ينفر الواعظ الناس من الزنا والاستمناء باليد، ويحذرهم من النظر إلى النساء المحرمات عليهم، بل ومن إتيان الحلائل حال الحيض والنفاس مبينا ما فى ذلك كله من الأضرار الدينية والبدنية والمالية والاجتماعية من فقد الحياء، وذلك غير الأمراض مثل الزهرى والسيلان والتهاب المثانة وضياح الأموال وفساد الأخلاق.

السادسة: رعاية الأمانة والعهود وحفظها، فتلك فضيلة عظيمة جليلة وآية على شرف النفس وعلو الهمة قال تعالى: **{وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ}**، أى قائمون عليها حافظون لها وهنا يبين الواعظ للناس أن الأمانة تتناول كل ما يكون تركه خيانة لله أو للعبيد، فمن ذلك سائر العبادات، فإن العبد مؤتمن عليها، ومنها ما يلتزمه بفعل أو قول كالودائع والعقود وما يتصل بهما، ومنها أيضا الأسرار المأمور بكتمانها فيلزمه المحافظة عليها، كما يبين لهم أن العهد يتناول العقود والأيمان والنذور، وأن مراعاة هذه الأمور والقيام بها لا بد منه لحصول الفلاح ودرك السعادة، ويرغب الناس فى الأمانة والوفاء ويحذرهم من الخيانة والغش فى الصنائع والمعاملات بما يحضره من الآيات، الأحاديث مع ضرب أمثال لما يقول.

السابعة: المحافظة على الصلاة بالمواظبة على الصلوات الخمس فى أوقاتها على الوجه الأكمل، وتلك فضيلة مستقلة كما أن الخشوع فضيلة أخرى قال تعالى: **{وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ}** وفى هذا المقام يحض الواعظ الناس على المحافظة على الصلاة فى الأوقات وشهود الجماعات وإتمام أركانها وشروطها، فبذلك تنهذب النفس ويصفو القلب ويمتلئ حياء وخشية ومن هنا يرغب السامعين بأن الذين توفرت فيهم تلك الصفات السبع موعودون من الله تعالى بدار النعيم وأنهم المستحقون لها

بأعمالهم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

الدرس الثالث: النهي عن الانشغال بالدنيا:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِمُهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المنافقون: ١٠)، لا بد أن نعرف ونتيقن أن الدنيا نعيمها ابتلاء وحياتها عناء، وعيشتها نكد، ونرى أهلها منها على وجل، إما بنعمة زائلة أو بولية نازلة، أو منية قاضية ومن استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، ومن أحبها أذلته، ومن أبصر إليها أعمته، والدنيا الناس فيها على نوعين: الأول: فطن على أن الدنيا ظل زائل ونعيم حائل، وأضغاث أحلام كما وصفها العلماء بل عرفوا أنها نعم في طيها نقم، كما عرفوا أن هذه الحياة الفانية إنما هي طريق إلى الحياة الباقية، فرضوا منها باليسير وقنعوا فيها بالقليل، فاستراحت قلوبهم وأبدانهم، وكانوا عند الله هم المحمودين لم تشغلهم دنياهم عن طاعة مولا هم.

والنوع الثاني: أناس عمى البصائر لم ينظروا في أمرها، ولم ينكشفوا سوء حالها، برزت لهم بزينتها ففتنتهم، ورضوا بذلك فألهتهم عن طاعة الله وشغلته عن ذكره تعالى، ومن نسى الله فقد هلك في الدنيا والآخرة، روى الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله، ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له، فلا يمس إلا فقيراً، ولا يصبح إلا فقيراً، أقبل عبد على الله بقلبه إلا جعل الله قلوب المؤمنين تنقاد إليه بالود والرحمة وكان الله بكل خير إليه أسرع».

ويفيض الواعظ في كلامه عن حقيقة الدنيا ويبين للسامعين قصر

مدتها، وانقضاء لذتها بما يحضره من أمثال حسية ومواقف من مواقف السلف الصالح، ومن حياة الصالحين مع ذكر ما جاء في الكتاب والسنة في وصف الدنيا والتحذير من الافتتان بها كقوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾. (سورة الحديد).

ففرى في هذه الآية حال الدنيا الذي افتتن بها محبيها قصار النظر، فبين الله في هذه الآية أن الدنيا لعب ولهو لا ثمرة فيها سوى التعب، فهي تشغل صاحبها عما ينفعه في آخرته وزينة لا تقيد المفتون بها شرفا ذاتيا، كالملابس الجميلة والمنازل الرفيعة، ثم أشار الله تعالى إلى أنها مع هذه النعم والملذات التي فيها إلا أنها سريعة الزوال قريبة الاضمحلال، كمثّل مطر راق الزرع نباته الناشئ به، ثم يهيج ويتحرك وينمو إلى أقصى ما قدر الله له، فسرعان ما تراه مصفرا متغيرا ذا بلا بعد ما كان أخضر ناضرا، ثم يصير من اليبس هشيمًا متكسرا، وبعد ما بين الله سبحانه وتعالى حقارة الدنيا وسرعة زوالها تزهيدا فيها وتنفيرا من الانهماك في طلبها، أشار إلى فخامة شأن الآخرة وفضاعة ما فيها من الآلام وعظم ما فيها من اللذات ترهيبا من عذابها وترغيبا في تحصيل نعيمها؛ حيث قال: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ وذلك لمن عصاه ونتيجة لانهماكه في نعم الدنيا.

وفي البخاري عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل».

وعن رسول الله ﷺ أنه مر على شاة ميتة فقال: «أترون هذه الشاة هينة على أهلها؟» قالوا: من هوانها ألقوها قال: «والذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند

الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء» (أخرجه الترمذى).
لهذا حذر الله عز وجل عباده المؤمنين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالَكُمُ وَلَا أَوْلَادَكُمُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

أى لا يشغلكم الاهتمام بتدبير أمورها وبمصالحتها عن الاشتغال بذكر الله سبحانه وتعالى من صلاة وصوم وزكاة وسائر أعمال العبادات الموصلة إلى رضا الله ورسوله ﷺ، وإلى هناءة الدنيا وسعادة الآخرة. وعن عبد الله بن الشخير رضى الله عنه أنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: «أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ»، أى السورة قال النبي بعد إتمامها: «يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك يا بن آدم من دنياك إلا ما أكلت فأفنيته أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت» (رواه مسلم والترمذى وقال: حسن صحيح).

والمعنى أن ابن آدم ماله من الدنيا إلا ما انتفع به فى دنياه من الأكل واللبس أو فى أخراه بأن تصدق، وما بقى من ذلك من مال فهو فيه بمنزلة الخادم الخازن لغيره، وفيه تحريض على الاقتصار على ما تدعو إليه ضرورة الحياة وإدخار ما عده عند مولاه، فاجعل ما عندك ذخيرة لك عند الله واجعل الله ذخيرة لأولادك.

ثم يختم الواعظ مقاله بذكر الآيات الدالة على تحقير الدنيا وتعظيم الآخرة، مع ذكر ما يناسب هذا المقام كأن يقول: قال سعيد بن جبير: الدنيا متاع الغرور إن ألهتك عن طلب الآخرة، فأما إذا دعتك إلى طلب رضوان الله فنعم المتاع ونعم الوسيلة، وكأن يقول أيضا: قال لقمان لابنه: يا بنى إنك قد استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة، فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تتباعد عنها، وقال: يا بنى إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل، وحشوها الإيمان بالله تعالى، وشرعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وما أراك ناجيا وعيسى عليه السلام لم يضع لبنة على لبنة.

الدرس الرابع: القرآن يهdy إلى الخير:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الإسراء) فالقرآن الكريم النور الذي يهدي المؤمنين إلى الطريق المستقيم وإلى طاعة الله وإلى خير الدنيا والآخرة وسعادة الدنيا والآخرة، وهذا القرآن والنور الإلهي الذي نزل على رسوله الكريم صلوات الله عليه اتضح به للناس سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما أرشد إليه من صحيح العقائد، وما فصل فيه من الأحكام وبين من أخلاق وآداب، واتسع للعقول طريق الاعتبار بما فيه من القصص والأخبار فهو الضياء والنور وشفاء لما في الصدور.

من أعرض عنه هلك ومن طلب العلم في غيره ضل فهو حبل الله المتين ونوره المبين، من آمن به سبق ومن قال به صدق ومن عمل به نجا، ومن تمسك به فقد هدى إلى صراط مستقيم، والقرآن هو أساس الإسلام الذي ارتضاه الله عز وجل ديناً لعباده، يرشد الناس إلى سعادتهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ذلك هو المقصد الأسمى منه وأن فيه من تهذيب النفوس ودعوة الأرواح إلى ما فيه سعادتها وإخراجها من ظلمات الجهالة إلى نور العرفان.

وهنا يبين الواعظ للسامعين أنه ينبغي لكل إنسان لا فرق بين عالم وجاهل أن يتدبر آيات القرآن الكريم وينظر في معانيها بقدر طاقته، ومن الممكن أن يستفيد كل أحد من القرآن ما يجذب نفسه إلى الخير ويصرفها عن الشر فإن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن لهداية الخلق، وهو يعلم كل ما هم عليه من الضعف قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (سورة ص: 28).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ (سورة القمر: 22)، وكان البدوي راعى الغنم إذا سمع القرآن خر له ساجدا لما فيه من حلاوة، ولما عليه من طلاوة، وهل خضعت العرب للحق إلا بجاذبية القرآن. وروى

ابن ماجه عن على كرم الله وجهه ورضى الله عنه أنه قال: أمر الله نبيه أن يعرض نفسه على قبائل العرب فخرج وأنا معه، وأبو بكر فوقفنا على مجلس عليهم الوقار فقال أبو بكر: ممن القوم؟ فقالوا: من شيبان بن ثعلبة فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الشهادتين وإلى أن ينصروه فإن قريشاً كذبوه فقال مقرون بن عمرو إلام تدعونا أبا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ} (سورة النحل: 90). فقال مقرون بن عمرو دعوت والله إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك.

والقرآن الكريم أنزله الله عز وجل لمقاصد خمس:

المقصد الأول: التوحيد هو أهم ما جاء لأجله الدين الحنيف فإن الناس يومئذ كانوا في ظلمات الشرك والوثنية، وجاء في القرآن من آيات التوحيد الكثير ويتلو الواعظ على السامعين شيئاً من تلك الآيات التي قضت على الوثنية التي كانت فاشية في تلك الأمم قبل الإسلام وفي بدء الإسلام كقوله تعالى: {أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلِقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصراً وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ * وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ * إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظِرُونَ} (سورة الأعراف: 191 - 195).

وكقوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأُمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الْأَرْضِ قَطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٍ وَجَبَاتٌ مِّنْ أَغْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى

بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَتُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (الرعد: 2 - 4).

المقصد الثاني: وعد الله تعالى الطائعين له والحافظين لحدوده بجميل الجزاء وتبشيرهم بحسن المثوبة ووعد المخالفين الذين تعدوا حدود الله تعالى وإنذارهم بشديد العذاب وسوء العقابة ترغيباً وترهيباً والوعد والوعيد يكونان في الدنيا والآخرة، فقد وعد الله عز وجل أهل الاستقامة بالاستخلاف في الأرض والعزة والسيادة والحياة الطيبة، وأوعد المخالفين بالخزي والذل في الدنيا كما وعد بالنعيم المقيم وأوعد بنار الجحيم في الآخرة وبالأول ساق الطائعين إلى الجد في الطاعة وبالثاني أوقف العصاة عند حد الأدب وهذا ما يوضحه الواعظ مع ذكر آيات الوعد والوعيد حتى يؤثر في نفوس سامعيه ويتأكد من وصول ما يريد من العظة إلى قلوبهم.

المقصد الثالث: عبادة الله التي تجلو القلوب وتهذب النفوس ويحث الواعظ في هذا المقام السامعين على عبادة الله وحب عبادة الله ولزوم طاعته، ويتلوا عليهم بعض الآيات على ذلك كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا} (سورة الحج: 77) {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ} (آل عمران: 97)، {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ} (البينة: 5).

المقصد الرابع: الأخلاق الحميدة وحسن المعاملة مع الله والناس وكيفية السير فيها وكل ما يكفل صلاح المجتمع الإنساني ويوصل الناس إلى خير الدنيا والآخرة من عقائد وأحكام وآداب ويتلو الواعظ عليهم الآيات اللازمة لذلك.

المقصد الخامس: العظة والاعتبار والنظر في الشؤون العامة التي كانت عليها الأمم الماضية لاختيار سبل المحسنين ومعرفة سنن الله في خلقه، بقصص من وقف عند حدود الله تعالى وخضع لأحكام دينه وأخبار الذين تعدوا حدوده ونبذوا أحكام دينه وراء ظهورهم.

وأما التوحيد ففي قوله عز وجل: **{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}**، فالله هو مصدر كل نعمة وإحسان فله الحمد والثناء على هذه النعم.

وأما الوعد والوعيد ففي قوله: **{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}** فإن معنى الدينجزاء وهو إما ثواب للمحسن وإما عقاب للمذنب.

وأما العبادة مع الإخلاص لله تعالى ففي قوله عز وجل: **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}**.

وأما مكارم الأخلاق وحسن المعاملة ونظام الاجتماع ففي قوله تعالى: **{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}** فإنه السبيل القويم الذي اختاره الله عز وجل لعباده، وجعل السعادة في الاستقامة عليه والشقاء في الانحراف عنه.

وأما العظة والاعتبار بالأمم السالفة ففي قوله تعالى: **{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}**، والمعنى أن هناك أقواما في السلف أنزل الله عليهم شرائع لهدايتهم ففريق أطاع الله ورسله فازوا برضاه، وهم المخلصون من أهل الحق الذين جمعوا بين معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير لأجل العمل به، وفريق جحد وعاند الدعاة إلى الله تعالى فاستحقوا غضب الله عليهم ومقته والخزي في الحياة الدنيا وفريق أضلوا بالاعتقادات الصحيحة وضلوا عن الصراط السوي فبأوا بالفشل والخيبة، والقرآن الكريم فقد فصل لنا من أخبار الأمم هذا الإجمال على الوجه الذي يكفى للعبارة والاعتاظ، فشرح لنا حال الذين حافظوا على الحق وصبروا على ما أصابهم في سبيله، وحال الذين قاوموا الحق عنادا وحال الذين ضلوا فيه ضلالا بعيدا، والفتاحة قد اشتملت إجمالا على هذه المقاصد التي فصلها القرآن تفصيلا لا خفاء معه؛ ولذا سميت الفتاحة بأم الكتاب، ويختم الواعظ قوله ببيان فضل القرآن مستشهدا بما ورد في ذلك من السنة النبوية الشريفة.

نماذج من مواعظ العلماء والصالحين

وهنا نذكر لك بعون الله تعالى بعض من المواعظ الجامعة لكثير من شعب الإيمان ووجوه البر والمعاملات، وشيئا مما يتعلق بجملة الخلائق وخاصة الإنسان حتى تعرف منزلته من بينها، وما قدر له من العيش الرغد والحياة الطيبة بقيامه بوظائف العبودية ونزعه لكسب الفضائل، وخصائص الإنسانية ليكون لك نبراسا تستضيء به، ومثالا حيا تنسج على منواله في عملك وطريقة أسلوبك:

الموعظة الأولى في الحث على الكسب الحلال:

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لأن يغدو أحكم فيحتطب على ظهره فيصدق منه ويستغنى به عن الناس خير له أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه» (الصحيحين) اعلم أن الله تبارك وتعالى رب الأرباب وخالق الأسباب جعل الآخرة دار العقاب والثواب، والدنيا دار التشمير والاكتساب، وليس التشمير والاجتهاد مقصورا على المعاد دون المعاش. بل المعاش ذريعة إلى المعاد ومعين عليه، فالدنيا مزرعة الآخرة ومدرجة إليها فقال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ والناس ثلاث أنماط: نمط شغله معاشه عن معاده فهو من المفرطين الهالكين، ونمط شغله معاده عن معاشه فهو من الغالين المكروهين، ونمط الذى شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين المقبولين وقال رسول الله ﷺ: «من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى» (رواه أحمد وغيره).

أى لأن الانهماك فيها يشغله عن طاعة الله فيخسر الآخرة، والانقطاع للآخرة يمنعه عن الكسب فيصير حملا ثقيلا على كاهل الأمة ومن يعوله إن كان له، قال الحكماء: خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته، ولم يكن كلا على الناس.

وقال الله تعالى: ﴿إِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: 10).

وقال عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (النبا: 10، 11).

أى وقتا يلزم السعى فيه لتحصيل المعاش من طريقه الحلال وقال تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك: 15) أى سيروا فى الأرض وجوانبها وطرقها بحثا عن الرزق والسعى له وقال أيضا: ﴿وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (المزمل: 20).

أى يسافرون فى الأرض هنا وهناك لطلب ما قدر لهم من الأرزاق والأرباح فى تجارتهم وعملهم وجاء فى قول بعض السلف: إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا الهم فى طلب المعيشة، وذلك إذا كان العبد صابرا محسنا فإن الحسنات يذهبن السيئات لاسيما إذا كان يسعى على ذرية ضعافا يصونهم عن الضياع ويكفهم عن التطلع إلى ما فى يد الناس، فهو لاشك فى سبيل الله تعالى، وكذلك إن كان يسعى على أبوين له ضعيفين.

روى أن عيسى عليه السلام رأى رجلا فقال له: «ما تصنع؟» قال: أتعبد قال: «ومن يعولك؟» قال: أخى قال: «وأين أخوك؟» قال: فى مزرعته قال: «أخوك أعبد منك»، وقال لقمان لابنه: يا بنى استغنى بالكسب الحلال عن الفقر فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال: رقة فى دينه وضعف فى عقله وذهاب مروءته، أى قلة دينه وضعف عقله عن كثرة الهموم والأفكار وذهاب مروءته فلا دين لمن لا مروءة له، وقال أحد العلماء: إن فى صلاح الأموال سلامة الدين وجمال الوجه، وبقاء العز، وصون العرض.

وكان عمر بن الخطاب يقول: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقنى فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة، وكان

يقول: ما من موضع يأتيني الموت فيه أحب إلى من موطن أتسوق فيه لأهلي أبيع وأشتري وقال أبو سليمان الداراني: ليست العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يقوت لك ولكن ابدأ برغيفك فاحرزهما ثم تعبد.

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون في البر والبحر ويعملون في مزارعهم وكفى بهم قدوة، وأنه لا بد للعبد من حركة ومباشرة لسبب من أسباب العيش ووسيلة من وسائل الرزق فينفع نفسه وغيره ويعيش عزيزاً كريماً، ويشرح الواعظ مزايا التعب في كسب المال الحلال، والاستغناء عن الناس وإيصال النفع والخير إلى الغير مع بيان صدقه في قوله وعمله، وبيان تحريم سؤال العبد للناس وهو يستطيع العمل، روى أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عدي رضي الله عنه: أن رجلين أخبراه أنهما أتيا النبي ﷺ يسألانه عن الصدقة فقلب فيهما البصر ورأهما جليدين فقال لهما: إن شئتما أعطيتكما ولاحظ فيها لغنى ولا لقوى، وما رواه الإمام مالك في الموطأ من أنه ﷺ قال: «أعطوا السائل ولو جاء على فرس»، ففيه مقال وعلى فرض صحته فهو محمول على تحقق عجزه وحاجته فالواجب التفرس في حال السائل كما يرشد إليه حديث عبد الله بن عدي.

وروى أبو داود من حديث سهل بن الحنظلية أن رسول الله ﷺ قال: «من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من جمر جهنم» قالوا: يا رسول الله وما يغنيه، قال: «ما يغديه ويعشيه» وروى أن عمر رضي الله عنه سمع سائلاً بعد المغرب فقال لرجل من قومه: عش الرجل فعشاه، ثم سمعه ثانياً يسأل فقال: ألم أقل لك عشى الرجل؟ قال: قد عشيتَه.

فنظر عمر فإذا تحت يده مخله مملوءة خبزاً فقال لست سائلاً لكنك تاجر ثم أخذ المخله ونثرها بين يدي إبل الصدقة وضربه بالدرّة وقال: لا تعد ولولا أن سؤاله كان حراماً ما ضربه ولا أخذ مخلاته.

كما يبين الواعظ للسامعين أن أفضل أنواع الكسب ما كان من عمل يده؛ إذا نصح وعمل بإتقان وإحسان ولا يغش في عمله أمينا في مهنته

وصنعتة، فبذلك يحصل الخير والبركة وإن كان عكس ذلك فيحل عليه الشر والوبال وضيق الحال. فعن المقدام بن معد يكرب الكندي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده في الدروع من الحديد ويبيعه لقومه» (البخارى).

ويبين لهم مضار البطالة وأن الرجل بدون عمل ومن غير شغل أو اشتغاله بما لا يعنيه، فذلك من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة وجهل بآداب الدين الحنيف وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: مكسبة في دناءة خير من سؤال الناس.

فإن العمل الحلال بالصدق والأمانة مهما كان شأنه صغيرا أو كبيرا فهو خير من سؤال الناس، وقال بعض الحكماء: لا تدع الحيلة في التماس الرزق بكل مكان فالكريم محتال والذئب عيال، حمل على من يعوله، ولا يليق بالرجل القادر أن يرضى لنفسه أن يكون حملا على كاهل المجتمع يتكفف الناسي، فهذا أمر ممقوت محقر وخير منه أحقر أنواع السعى كالاكتطاب من رؤوس الجبال والفلوات فيبيعه ويمون نفسه وعياله منه.

ويبين الواعظ لسامعيه أن شر أنواع الكسل التعلل بالأمانى الكاذبة، والترفع عن صغير الأعمال النافعة طمعا في نيل ما هو أشرف منها في اعتبار بعض الأوهام فتضيع على المرء أوقاته ويمر عمره ويزداد قعوده وتخور عزيمته، وينتهى به الأمر إلى الحمق والرذيلة. وروى أن قس بن ساعدة الإيادي كان يفد على قيصر الروم ويزوره فقال له القيصر يوما: ما أفضل العقل؟ قال: معرفة المرء بنفسه قال: فما أفضل العلم؟ قال: وقوف الرجل عند علمه. قال: فما أفضل المروءة؟ قال استبقاء الرجل ماء وجهه، قال: فما أفضل المال؟ قال: ما قضى به الحقوق.

والخلاصة أن العمل على الحياة أساس العمران وقوام حياة المجتمع وضمنان الشرف وأمان من الذلة والمهانة وخير في الدنيا والآخرة؛ لهذا

حث عليه الدين القويم وحذر من البطالة والكسل.

الموعظة الثانية في النفاق:

النفاق مخالفة الظاهر للباطن والمنافق هو الذي يظهر خلاف ما يبطن فقال عنه النبي ﷺ: «آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان» (من حديث أبي هريرة ومتفق عليه).

والمنافق على نوعين: الأول: وهو يظهر الإسلام وهو يخفي الكفر، وكان هذا حال المنافقين على عهد رسول الله ﷺ وهو أخبت أنواع الكفر وأشدّها، ويسمى هذا المنافق الاعتقادي وفيهم قال الله تعالى {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} (النساء: 145) وقال عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} (النساء: 140).

وفي القرآن الكريم كثير من مواقف المنافقين ومشاهدتهم في الكفر أما النوع الثاني: هو العملي وهو ترك المحافظة على أمور الدين سرا ومراعاتها علنا، وهذا يسمى في لسان الشرع نفاقا، وجاء من حديث ابن مسعود: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» (متفق عليه).

وإنما هو كفر دون كفر وفسوق دون فسوق، ونفاق دون نفاق، وتفاوت مراتبه على قدر تفاوت آثاره في الاجتماع وخصال المنافق ثلاث وهي:

الخصلة الأولى: الكذب: فإذا حدث غيره بشيء أخبر عنه خلاف ما هو عليه قاصدا الكذب، ولا ريب أنه من قبائح الذنوب، وعاقبه السقوط في الدنيا والخزى في الآخرة، فعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا» (متفق عليه).

وعن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما» (متفق عليه).

وقال عائشة رضي الله عنها: «ما كان من خلق أشد على أصحاب رسول الله ﷺ من الكذب، ولقد كان رسول الله ﷺ يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب فما تبخلى من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث لله عز وجل منها توبة» (رواه أحمد وغيره).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اضمنوا لى ستا أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم» (رواه أحمد وابن حبان وغيرهما).

وورد أن أعرابيا بايع النبي ﷺ على تركه خصلة من الخصال المحرمة كالزنا والسرقه فقال النبي ﷺ: «دع الكذب» فصار كلما هم بسيئة قال كيف اصنع إن سألتني النبي ﷺ؟ فإن صدقته حدى وإن كاذبته فقد عاهدنى على ترك الكذب فكان سببا لترك الفواحش كلها وحسن توبته إلى الله.

الخصلة الثانية: عدم الوفاء بالوعد: فإخلاف الوعد من علامات النفاق، والإخلاف قد يكون فعلا كما يكون قولاً قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: 2، 3).

وهذا إذا وعد غيره وفى ضميره عدم الوفاء أما إذا كان عازما حال الوعد على الوفاء ثم عرض له مانع أو بدا له رأى فلا يعد ذلك من النفاق إذا كان صادقا فيما يقوله له ثم يوضح الواعظ للسامعين مساوئ ومضار الإخلاف وآثاره السيئة فى الدنيا والدين ويحثهم على الوفاء بنحو حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ: «أن رجلا من بنى إسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فدفعها إليه فخرج فى البحر فلم

يجد مركبا فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار فرمى بها في البحر، فخرج الرجل الذي كان أسلفه فإذا بالخشبة فأخذها لأهله حطبا فلما نشرها وجد المال» (الحديث بتمامه رواه البخارى).

الصفة الثالثة: الخيانة: وهى التصرف فى الأمانات على خلاف ما يقتضيه الشرع، وهى أيضا قبيحة شرعا وعقلا، ومن شر أنواع الخيانة الغدر فى المعاهدات وكل من تحالف مع إنسان ثم غدر كان منافقا قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (النحل: 91).

وإفشاء السر من الخيانة فإنه حرام لما فيه من الإيذاء والتهاون بحقوق الناس والأصدقاء، وهنا يحذر الواعظ سامعيه من الغدر وإفشاء السر، فإن صاحبه يعاقب فى الدنيا قبل الآخرة ويحث الناس على التخلق بالصدق والوفاء والأمانة بنحو قول الإمام على كرم الله وجهه: إن ملاك العقل ومكارم الأخلاق صون العرض، وأداء الفرض والوفاء بالعهد، والإنجاز بالوعد، ومن حاول أمرا بالمعصية كان أقرب إلى ما يخافه وأبعد مما يرجو، وفى نهاية حديثه مع الناس يحذرهم من التساهل فى أمر هذه الخصال فتصبح لهم عادة خشية أن تقضى بهم إلى نفاق الكفر والعياذ بالله؛ إذ كل من غلبت عليه وتهاون بها واستخف بأمرها كان فاسد الاعتقاد غالبا، أما من وقعت منه نادرا من غير اختيار أو اعتياد فلا، متى تاب عنها وحسنت توبته ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: 222).

الموعظة الثالثة فى الحسد وآثاره فى المجتمع:

جاء الدين القويم بالأوامر والنواهي ووعد القائمين عليها والحافظين لها بحسن الثواب، وتوعد المخالفين لها بالعقاب والعذاب فى الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: 97).

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: 63)، ولا ريب أنه لا طيب للحياة ولا هناء للعيش إلا إذا سلمت القلوب من الأذى، وبرئت من الأمراض التي تفسد النفس وتفسد المجتمع كالكبر والحقد والحسد، أما بالنسبة للحسد فلا يجتمع في قلب المرء إيمان صحيح وحسد لنعمة على مخلوق إلا كما يجتمع الصبر مع العسل، والحسد هو كراهة نعمة الغير وتمنى زوالها عنه سواء تمنى أن تنتقل هذه النعمة إليه أم لا، قال معاوية رضى الله عنه: كل أحد أقدر على رضاه إلا حاسد النعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها، وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه: ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد: غم دائم ونفس متتابع.

والحسد في عرف العامة عبارة عن نظرة العين إلى الشيء نظرة إعجاب واستحسان، وقد يكون ذلك عن حسد في النفس وكراهة للنعمة هذا الحسد المذموم، وذلك المرض المشئوم هو الداء العضال الذي ابتلى به كثير من الناس اليوم، فأظلم صدورهم وأفسد ضمائرهم وفرق شملهم ومزق وحدتهم ففشلوا وذهبت ريحهم وتلاشت قوتهم، حتى ذلوا واستكانوا وطمعت فيهم أعداؤهم وهو أول ذنب عصى الله به لأن إبليس لعنه الله لم يحمله على ترك السجود لأبيينا آدم عليه السلام إلا الحسد، وكذلك قابيل لم يحمله على قتل أخيه هابيل إلا الحسد.

وقد حذر منه رسول الله ﷺ فقد روى أبو داود من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أنه ﷺ قال: «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»، والأكل هنا عبارة عن عدم القبول، وأن حسنات الحاسد مردودة عليه؛ ذلك أن الحسد في المعنى اعتراض على الله عز وجل فيما لا عذر للعبد فيه؛ لأنه لا تضره نعمة الله علي أخيه، والله تبارك وتعالى حكيم في قسمة الحظوظ بين عباده، ولا يضع الشيء في غير محله فكأن الحساد يعترض عليه تعالى في قسمة المعيشة بين خلقه، فلذلك ردت حسناته ولم تبق في صحيفة عمله وقال بعض الحكماء: الحاسد جاحد لأنه

لا يرضى بقضاء الواحد، وقال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا» (رواه البخاري ومسلم) وقال أنس رضي الله عنه كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فقال: «يطلع عليكم الآن من هذا الفج (الطريق في الجبل) رجل من أهل الجنة»، قال: فطلع رجل من الأنصار تنطف (تقطر) لحيته من وضوءه قد علق نعليه في يده الشمال، فلما كان من الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك فطلع الرجل، وقال في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي ﷺ تبعه عمرو بن العاص فقال: إني لا حيت أبي (خاصمته) فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثا، فإن أردت أن تؤويني إليك حتى تمضي الثلاث فعلت فقال: نعم، فبات عنده ثلاث ليال (يرقب أحواله في حركاته وسكناته) فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا تقلب على فراشه ذكر الله تعالى، ولم يقوم حتى يقوم لصلاة الفجر قال: غير أني سمعته يقول إلا خيرا، فلما مضت الثلاث وكدت احتقر عمله قلت: يا عبد الله، لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا، فأردت أني أعرف عملك فلم أرك تعمل عملا كثيرا يوجب تلك البشارة العظيمة فما الذي بلغ بك ذلك؟ قال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد على أحد من المسلمين في نفسى غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله إياه، قال عبد الله: فقلت: هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق (رواه أحمد بسند صحيح).

وقال صلوات الله وسلامه عليه: «إنه سيصيب أمتي داء الأمم» قالوا: وما داء الأمم؟ قال «الأشر: والبطر والتكاثر (من جمع المال) والتنافس في الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكون البغى (أي مجاوزة الحد) والاعتداء على خلق الله ثم يكون الهرج»، أي القتل (رواه ابن أبي الدنيا والطبراني من حديث أبي هريرة) وفيه تحذير شديد من التشاحن في الدنيا والتحاسد عليها فإن ذلك أصل الفتن وعنه تنشأ المصائب والبلايا.

الأسباب الداعية إلى الحسد:

والحسد كما قال ﷺ يأكل الحسنات، والحسد يبعث على الخطايا والبلايا، والله تبارك وتعالى أمر بالاستعاذة من شر الحاسد، كما أمر بها من شر الشيطان الرجيم، وأن الحاسد لا ينال من الناس إلا بغضا وذنما، ومن الملائكة إلا لعنة، ولا ينال من الدنيا إلا جزعا وغما، وفي الآخرة فضيحة ونكالا؛ لذا سنذكر الأسباب التي تؤدي إلى الحسد حتى يتبعد العبد عنها ويظهر نفسه منها حتى لا يقع في الحسد وشروره وينجي بنفسه منه، حتى يتجنب كل هذا العقاب الذي يناله الحاسد في الدنيا والآخرة فنقول:

العداوة والبغضاء: وهي من أهم السباب الداعية إلى الحسد فإن من آذاه إنسان لسبب من الأسباب أبغضه قلبه وغضب عليه، ورسخ في نفسه الحقد الذي يقتضى التشفى والانتقام، فإن عجز عن التشفى بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان، وربما ظن ذلك كرامة له عند الله تعالى، فإذا نزلت بعدوه بلية فرح بها وشمته فيه وظننها لأجله، وإذا أصابته نعمة ساءه ذلك لأنها ضد مراده ورغبته، وهذا أيضا من النفاق وصفاته كما أوضحنا، والحسد يسبب البغض وكثيرا ما يفضى إلى التنازع والتقاتل والسعى في إزالة النعمة بالطرق الخبيثة والحيل القبيحة وهذا هو قمة البغضاء والكره.

خبث النفس: وشحها بالخير للناس فنجد بعض العاطلين من الناس والكسالى عن العمل والكسب إذا وصف عنده حال إنسان وذكر أمامه بخير يشق ذلك عليه ويؤلمه؛ لأنه محروم من ذلك ورغم أنه هو الذى حرم نفسه من ذلك بعدم الاجتهاد والسعى وراء الكسب الحلال حتى لا ينظر إلى ما فى أيدي الناس، وإذا وصف له بسوء وشر فرح به فهو أبدا يكره الخير للناس ويتألم منه ويحب لهم الشر والأذى كأنهم يأخذون الخير من بيته وهو من فضل الله وجوده عندهم قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النساء: 54)، ويقول بعض العلماء: البخيل من يبخل بمال نفسه، والشحيح هو الذى يبخل بمال غيره على الناس، والحسود شحيح يبخل بنعمة الله تعالى على عباده ويعادى فضل الله على خلقه، وهذا هو حبس النفس ورذاله الطبع.

وأما المنافسة فليست من الحسد المذموم المحرم، وإن سميت باسمه في لسان الشرع بل هي مباحة في الأمور الدنيوية، وقد تكون واجبة في الأمور الدينية فقال تعالى: **{وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}** (المطففين: 26) أى في أحوال هؤلاء الأبرار وما صاروا إليه من أنواع النعيم المقيم، فليرغب الراغبون في المبادرة إلى طاعة الله عز وجل وأصل التنافس التغالب في الشيء النفيس الذى تحرص عليه نفوس الناس ويحب كل واحد أن يستأثر به ويضن به على غيره وفى هذه الآية الكريمة إشارة إلى أن التنافس يجب أن يكون فى مثل ذلك النعيم العظيم الدائم لا فى النعيم الحقيقى الفانى، وقال سبحانه وتعالى: **{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}** (آل عمران: 133، 134).

فهذه هي المنافسة بالمسارعة إلى طاعة الله وأعمال الخير والتحلى بالأخلاق الحميدة التى تصل بصاحبها إلى رضا الله والفوز بجنته يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وأما الحسد عند العامة الذى هو عبارة عن نظرة العين فهو من الأسباب العادية التى قد يترتب عليها أثارها من إصابة العيون، على ما صح فى السنة الشريفة روى البخارى من حديث عائشة رضى الله عنها قالت: " أمرنى رسول الله ﷺ (أو أمر) أن نسترقى من العين أى بسببها، وذلك أن الحسود إذا نظر إلى شيء أو إنسان نظرة إعجاب واستحسان مشوب بحسد فقد يحصل للمنظور عاهة أو ضرر بعادة أجراها الله تعالى، والحق أن الله تعالى يخلق عند نظر العائن (الحاسد) إليه وإعجابه به إذا شاء ما شاء من عاهة أو ألم أو هلاك، وقد يصرفه الله عز وجل عنه قبل وقوعه بالرقية المشروعة فى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**العين حق**» أى أن الإصابة بها ثابتة موجودة لا يصح إنكارها، وعن أم سلمة رضى الله عنها أن النبى ﷺ رأى

فى بيتها جارية فى وجهها سفعة فقال: «استرقوا لها فإن بها النظرة»
(رواه البخارى).

والسفعة هى سواد أو حمرة يعلوه سواد أو صفرة، ومما ينفع لدفع شر الحاسد أن يقول العبد صباحا ومساء هذا الدعاء: «أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة»، كما صح به الحديث، أو يقول: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» (رواه أصحاب السنن).

الموعظة الرابعة فى الغضب:

عندما خلق الله جل شأنه الإنسان معرضاً للفساد والهلاك بأسباب فى داخل بدنه وأسباب خارجية عن بدنه، أنعم عليه بما يحميه ويصونه من الفساد ويدفع عنه الهلاك، أما الأسباب الداخلية فهو أنه ركب من الحرارة والرطوبة، وجعل بين الحرارة والرطوبة تضاد وعدواة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتبخرها حتى تصير أجزاءها بخاراً يتصاعد منها، فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من أجزائها لهلك.

فخلق الله الغذاء وخلق فيه قوة تبعثه على تناول الغذاء لجبر ما انكسر وسد ما انتلم ليكون ذلك حافظاً له من الهلاك بهذا السبب.

وأما الأسباب الخارجية التى يتعرض لها المرء فكالسيف والسنان وما إلى ذلك من وسائل الهلاك التى يقصد بها، فأفتقر إلى قوة وحمية تنور من باطنه فتدفع المهلكات عنه، فخلق الله طبيعة الغضب من النار وعجنه بطينة الإنسان، فإذا توزع فى غرض من أغراضه وصد عنه اشتعلت نار الغضب فيه، وفارت فورانا يغلى منه دم القلب وينتشر فى العروق ويرتفع إلى أعلى البدن، ثم ينصب فى الوجه والعينين حتى يحمر منه هذا، إذا غضب على أحد واستشعر القدرة عليه، فإن كان على من فوقه وأيس من الانتقام منه انقبض الدم إلى جوف القلب عليه، وكمن فيه وصار حزنا

فأصفر اللون، فإن كان على من يساويه الذى يشك فى القدرة عليه تردد الدم بين انبساط وانقباض فيحمر لونه تارة ويصفر تارة أخرى، والغضب يتحرك من داخل الجسد إلى خارجه والحزن يتحرك من خارجه إلى داخله، ولذا يقتل الحزن ولا يقتل الغضب لبروز الغضب وكُمُون الحزن فصار أثر الغضب السطوة والانتقام وأثر الحزن المرض والأسقام وهذه هى حقيقة الغضب، وقوة الغضب محلها القلب ومنها وبها غليان دم القلب لدفع المؤذيات قبل وقوعها أو الانتقام والتشفى بعد وقوعها.

درجات الغضب وحكمة وجوده فى الإنسان :

للغضب ثلاث درجات الدرجة الأولى: (درجة الاعتدال): بأن الإنسان يغضب ليدافع عن نفسه أو دينه أو عرضه أو ماله، أو ليدافع عن حقوق ونصرة المظلوم، وتلك الحالة هى التى من أجلها خلق الغضب فهو مخلوق لحكمة ضرورية اقتضتها طبيعة الحياة وطلبها نظام المجتمع الإنسانى بأن التنافس فى هذه الحياة والتزاحم على مرافقها يستدعى دفاعا قويا عن النفس والدين والمال والعرض والحقوق العامة، ولولا ذلك لانتشر الفساد فى الأرض؛ لأن من لا يغضب لنفسه كان معرضا للزوال من هذا الوجود أو معرضا لأن يسخره غيره تسخير الدواب التى لا تغضب لنفسها، ومن لم يغضب لدينه فإنه يكون عرضة لتقليد القوى فى كل ما يراه ويستحسنه، فينتقل من دين إلى دين بسبب التقليد الأعمى ومن لا يغضب لعرضه لا يغار على نسائه، وتختلط الأنساب وتشيع الفاحشة فى طبقات الأمة، ويصبح الإنسان لماله كالحيوان ينزو ذكره على أنثاه بدون غيرة ولا حماية، ومن لا يغضب لماله فإنه لا يلبث أن يسلبه الناس منه فيصبح فقيرا معدما، وإذا فشا السلب فى المال تعطل نظام العمل بل بطلت الأعمال التجارية والصناعية وانتشرت البطالة واعتمد الناس على سلب بعضهم بعضا وذلك شر وبال، ومن لا يغار للحقوق العامة وإنصاف المظلومين فقد خالف مقتضى الطبيعة التى فطر الله الناس عليها.

وقال فيه الإمام الشافعي رضي الله عنه: من استغضب فلم يغضب فهو حمار. أي بليد الطبع فاقد الحمية، وفي إشارة لذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: 152).

الدرجة الثانية: (درجة التفريط) وهي أن ينحط الغضب عن درجة الاعتدال بأن يضعف الإنسان أو يفقد منه ذهنًا، وتلك الحالة مذمومة شرعا وعقلا؛ لأن من لا يغضب لنفسه أو لدينه أو لعرضه أو للمصالح العامة فهو جبان لم يجرى على سنن الله في خلقه، وفي ذلك خطر عظيم على المجتمع الإنساني؛ لأنه مثار الفوضى في جميع مرافق وجوانب الحياة.

أما الدرجة الثالثة: (درجة الإفراط) وهي أن يخرج الغضب من حد الاعتدال ويطغى على العقل والدين، ويندفع في طريق الشر اندفاعا قد يؤدي إلى الهلاك من حيث لا يدري، وربما غضبه جره لأجل أمر بسيط إلى ارتكاب أكبر الجرائم وشر الذنوب وهو في تلك الحالة مذموم شرعا وعقلا، ويزداد ويكبر هذا الذم بكبر ما يترتب على هذا الغضب من جرم وذنوب.

أسباب الغضب:

للغضب أسباب عديدة منها الجدل الكثير بشكل يؤدي إلى المشادة والمزاح والسخرية بالناس والكلام الغير اللائق معهم، فلا يبالي بسب الغير أو غيبته أو النم عليه وما إلى ذلك من آفات اللسان، ومن أسبابه أيضا الكبرياء والعجب فإن المتكبر المعجب بنفسه يتأثر كلما فاته ما يعتقد أنه يستبقى عظمته ومنزلته في الناس، فإذا طالبه أحد بحق غضب وكذا إذا نهاه عن رذيلة أو عارضة في أي أمر، لاعتقاده أنه كامل من جميع الجهات، فلا يصح لأحد أن يأمره أو ينهيه أو يقف في طريقه وهو في الحقيقة ناقص من كل وجه يحاول أن يكمل نقصه، بل يجبره بكبريائه، ومنها مصاحبة الأشرار الذين يحسبون التهور شجاعة والغضب الموجب

للظلم رجولة فتتأثر نفسه بذلك وتصبح سرعة الغضب عادة له وشعاراً لهذه هي أهم الأسباب التي تثير الغضب وتهيجها، والغضب المترتب عليها كلها قبيح شرعاً، وعقلاً، بخلاف درجة الاعتدال في الغضب وهو المتعلق بالدفاع عن النفس والدين والمال والعرض، أو الحقوق العامة وإنصاف المظلومين فإنه فضيلة لا يكون إلا ممن قويت عقولهم واعتدلت طباعهم فأصبحوا خاضعين لسلطان الدين والعقل، ولقد أثنى الله تعالى على أصحاب رسول الله ﷺ حيث إنه وصفهم بالشدة واللين فقال تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: 29) والشدة لا تتبع إلا عن الحمية والغضب وهم لا يغضبوا إلا لله ولم يدافعوا إلا عن دينهم ووطنهم وكيانهم، وكفى بهم قدوة، أما الإفراط في الغضب والأخذ بأسبابه السابقة التي تؤدي إلى الغضب المترتب عليه الظلم للآخرين، فجاء فيه تنفير من هذا الغضب فقال الله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الفتح: 26).

فدم الله الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب والتهور بالباطل ومدح المؤمنين بما أنزل الله تعالى عليهم من السكينة والثبات، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني قال: «لا تغضب فردد مراراً، لا تغضب» (رواه البخاري).

وعن عبد الله بن عمرو: «أنه سأل رسول الله ﷺ ماذا يبعدني من غضب الله؟ قال: لا تغضب» (أخرجه أحمد في المسند).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «ما تعدون الصرعة فيكم؟» قلنا: الذي لا تفرعه الرجال قال: «ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب» (رواه مسلم بلفظ ولكنه). وقال سليمان ابن داود عليهما السلام: «إياك يا بني وكثرة الغضب فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم». (رواه ابن أبي الدنيا) وقال جعفر بن محمد: "الغضب مفتاح كل شر" وقال بعض الحكماء: إياك والغضب فإنه يصيرك إلى ذلك الاعتذار.

علاج الغضب:

من كان الغضب له طبعا فعلاجه باجتناب الأسباب المثيرة له كالتكبر والافتخار والتعبير والمزاح والجدل الزائد عن حده، فإذا برئت نفسه من هذه الأمراض فلا يضره أن يكون سريع الغضب بطبعه، ويجب عليه أن يروض نفسه دائما على التواضع واللين والحلم ودائما يذكرها بعظمة الله وحده، وأنه مخلوق ضعيف ويتذكر قوة الله عليه وقدرته وعظمته، وأنه صائر إلى الفناء لا محالة وسيكون عظاما نخره وترابا تدوسه الأقدام وأرجل الدواب، فمن كان هذا شأنه فلا يليق به أن يكون متكبرا فخورا قال الإمام على كرم الله وجهه ورضي عنه: مال ابن آدم والفخر وإنما أوله نطفة وآخره جيفة.

أما من كان غضبه مكتسبا فعلاجه اجتناب الأسباب المهيجة للغضب السابقة الذكر مع اجتناب مصاحبة الأشرار، وأنه يعلم أنه ليس للإنسان المسلم أن يغضب إلا لدينه أو لنفسه أو عرضه أو ماله، وما دون ذلك فيحترس في غضبه وهذا هو طريق الوقاية من الوقوع في ثورة الغضب وهذا هو النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه يقول: «من كظم غيظا وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق ويخير عن أي الحور شاء» (رواه أبو داود والترمذي وغيرهما) ؟

وقال لقمان لابنه: يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسألة ولا تشف غيظك بفضحتك واعرف قدرك تتفكك معيشتك.

ومن أراد تجنب الغضب وثورته يعمل الآتي:

1- أن يخوف نفسه بعقاب الله فيقول: قدرة الله على أعظم من قدرتي على هذا الإنسان، فلو نفذت غضبي عليه فما آمن أن يمضي الله غضبه على يوم القيامة، وأنا أحوج ما أكون إلى العفو.

2- يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في إيذائه.

3- أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب بأن يتمثل صورة غيره في حالة غضبه ومشابهة الغضبان الثائر للكلب الضارى والسبع العادى، ومشابهة الحلیم الهادى التارك للغضب للأنبياء والعلماء والحكماء ويخير نفسه بين أن يتشبه بالكلاب أو بالسباع وبين أن يتشبه بالأنبياء والعلماء في عاداتهم.

إذا شعر بأنه سيعضب يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله ﷺ أن يقال عند الغضب (متفق عليه).

فإن لم يزل بذلك فيجلس إن كان قائماً، ويضطجع إن كان جالساً فقال رسول الله ﷺ: «إن الغضب جمرة توقد في القلب ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه، فإذا وجد أحدهم من ذلك شيئاً فإن كان قائماً فليجلس وإن كان جالساً فلينم» (رواه الترمذى) والأوداج عروق العنق فإذا لم يسكن غضبه فليتوضأ أو يغتسل قال عليه الصلاة والسلام: «إذا غضب أحدكم فليتوضأ» (رواه أبو داود).

وبهذا يقى العبد نفسه من الشيطان ومن أنه يسوقه إلى ثورة الغضب ونسأل الله العفو والعافية.

الموعظة الخامسة في الاستقامة :

وفي الاستقامة وأثرها في صلاح الفرد والمجتمع قال العلماء: الاستقامة جليلة المعنى من تحلى بها فهو السعيد الموفق، ومن تخلى عنها فذلك الشقى المخذول، من عرف بها عظمت بين الناس حرمة وعلت فيهم درجته وحسنت سيرته ووجبت محبته ودامت بينهم مودته، والاستقامة في وضعها ضد الاعوجاج فقال عنها بعض العارفين: هي توبة بلا إصرار، وعمل بلا فتور وإخلاص بلا التفات، ويقين بلا تردد وتقويض بلا تدبير، وهذا هو الحق فيها، وقال آخر: الاستقامة اتباع الحق والقيام بالعدل ولزوم المنهج القويم، وقال آخر: الاستقامة كمقام الشكر وهو صرف العبد في كل ذرة ونفس جميع ما أنعم الله به عليه إلى ما خلق لأجله من عبادة مولاه بما

يستطيع على الوجه الأقوم والطريق الأكمل.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: **{وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ}**، ما نزل على رسول الله ﷺ في جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية، فالاستقامة هي المتابعة للطريقة المحمدية في التخلق بالأخلاق الحميدة المرضية، لا سير مع الهوى والابتداع، فإن السير مع الهوى يُعمى عين القلب فلا يميز بين السنة والبدعة، ولا يفرق بين الصواب والخطأ أو الخير والشر بل ينكسه ويعكسه فيرى البدعة سنة والسنة بدعة والخطأ صواب والصواب خطأ والضلالة هداية والهداية ضلالة، قال تعالى: **{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}** (القصص: 50).

والاستقامة لها ثلاث مدارج: الأول التقويم ثم الإقامة ثم الاستقامة، والتقويم يكون حيث تأديب النفس بإصلاح الجوارح وتعديل أعمالها بميزان الخوف والرجاء حتى تعتاد الخير وتستقيم على عمل البر والطاعة أما الإقامة تكون من جهة تهذيب النفس، وتطهير القلب من الأخلاق السيئة والآفات الذميمة كالحقد والحسد والنفاق والكبر والرياء، ثم تأتي الاستقامة تكون من حيث تقريب الأسرار الإلهية وأنوارها من القلوب، وذلك أن تكون أعمال العبد كلها موزونة بميزان الشرع الشريف من غير تكلف تقويم ولا إقامة، فلأول تمحيص والثاني تحقيق ثم الثالث توفيق.

المستقيم في الناس يكون مثل الجبل يتحمل الشدائد فلا تؤثر فيه المصائب ولا يحوله عن ثباته صدمة البلايا، وإذا أساء إليه إنسان يتجاوز عنه ويهمله كأنه لم يكن شيء، بل يقابل الإساءة بالإحسان، قال تعالى: **{وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا}** (الفرقان: 72).

وأنه لا يحوله عن طاعة أوامر مولاه تعالى شيء ولا يشغله عن ذكر ربه الدنيا مهما تزينت له ومن صفاته أيضا صفو الكلام وحسنه في حديثه مع الصبر على الشدائد، والثبات عند البلايا والإعراض عن

الجاهلية والصفح عمن أساء إليه.

آثار الاستقامة في صلاح الفرد والمجتمع:

فالرجل المستقيم والذي يتصف بما ذكرنا من الصفات الدالة على تلك الاستقامة إن كان راعياً لاشك أن تكون راعيته صالحة، وإن كان معلماً فلحت تلاميذه، وإن كان صانعاً تقدمت صناعته، وإن كان تاجراً ربحت تجارته وإن كان زارعاً كثر خير أرضه وبورك له فيه، وإن كان رب منزل صلحت واستقامت أسرته ومتى استقامت الأسر استقام المجتمع بأجمعه؛ ولذلك حث الشارع على لزوم الاستقامة في كل حال فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (فصلت: 30)، فإن الله عز وجل حث على الاستقامة ووعد من يلتزم بها الأمن من كل المخاوف والسلامة من جميع المكاره في الدنيا وضمن لهم النعيم الدائم في الآخرة، ذلك بأنهم جمعوا بين توحيد الله تعالى الذي هو على الحقيقة خلاصة العلم ورأس العلوم ورئيسها، وبين الاستقامة على أمور الدين كلها من صحيح العقائد وخالص العبادات وحسن المعاملات ومكارم الأخلاق، التي هي ثمرة الأعمال وأثرها، وعليها مدار المعاملات وانتظامها لهذا كانوا لا خوف عليهم من أى مكروه ولا هم يحزنون لفوات مطلوب وضياع محبوب وقال تعالى على ما لهم في الآخرة: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأحقاف: 14) ولذلك أيضاً حث رسول الله صلى الله عليه الصلاة والسلام على الاستقامة ففي حديث أبي عمر سفيان بن عبد الله رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحد غيرك؟ قال: «قل آمنت بالله ثم استقم» (صحيح مسلم).

الطريق إلى الاستقامة:

إن الحصول على الاستقامة ليس من الأمور الصعبة على من يطلبها بل من السهل القريب، فإن العبد إذا عود نفسه أن يراقب الله سبحانه

وتعالى عند كل عمل يعملُه موقنا أن الله تعالى مطلع على جميع أفعاله، وأن الله ينزل غضبه على من يعصاه ويخالفه، إذا عود نفسه ذلك سهل عليه أن يفعل ما أمره الله به ويجتنب ما نهاه الله عنه، فإذا سولت له نفسه أن يأتي معصية من معاصي الله ردها وزجرها وذكرها بعزة الله تعالى وجلاله، وأن الله تعالى قادر على الانتقام منه، وأنه مطلع عليه لا تخفى عليه خافية قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (المجادلة: 7)، متى لاحظ العبد ذلك وعود نفسه عليه لا يقدم على منكر ولا يقصر في مطلوب منه فتصير الاستقامة له عادة ينتقل بها من وهدة الشقاء إلى ذروة العز والسعادة ويخرج بها من الظلمات إلى النور.

الموعظة السادسة في عبرة من أخلاق الرسول ﷺ :

إن في سيرة النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه وأخلاقه الكريمة ما فيه عظة وذكرى، فعاش رسول الله ﷺ ثلاثا وستين سنة: قضى منها صلوات الله وسلامه عليه أربعين سنة قبل أن يبعث رسولا، وقضى الباقيات نبيا ورسولا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وهذا العمر المبارك لم يبلغ سن المعمرين ولكنه كان أطول الأعمار أثرا باقيا وحركة مباركة، وأعمار الرجال لا تقاس بعدد السنين وإنما تقاس بما تنثمر من جليل الأعمال وحميد الآثار، وقد كانت حياته ﷺ عامرة بالخير والهدى، وكان مثالا حسنا للفضائل والكمالات مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، وقوله صلوات الله وسلامه عليه: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وقوله: «أدبني ربي فأحسن تأديبي».

وظهرت على رسول الله ﷺ من أول نشأته آيات الأخلاق الحميدة، وكان أظهر شمائل الرسول قبل البعثة ثلاث خصال تحلت بها نفسه الكريمة، وجعلته خير أهل لأن يكون مهبط وحى ربه، فالخصلة الأولى تباعده ﷺ من أول نشأته عن الأوثان وقرابينها وحفلاتها، وكل ملاهى

السوء التي كانت عليها حياة الجاهلية قال عليه الصلاة والسلام: «لما نشأت بغضت إلى الأوثان وبغضت إلى الشعر، وما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك، ثم ما هممت بسوء حتى أكرمني الله برسالته، قلت ليلة لغلام كان يرعى معي: لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب، فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة سمعت عزفا بالدقوف والمزامير لعرس بعضهم، فجلست أنظر فضرب على أذنى فما أيقظنى إلا مس الشمس، فرجعت ولم أقض شيئا، ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك، ثم لم أهدأ بعد ذلك بسوء، كما بغضت إلى الأوثان وملاهى أهل الجاهلية حبب إلى الخلوة والوحدة والنظر والتفكير».

أما الخصلة الثانية: صدقه صلوات الله وسلامه عليه فعن ابن عباس رضى الله عنهما أن هرقل ملك الروم سأل عنه أبا سفيان بن حرب قبل أن يسلم أبو سفيان: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال: قال: لا، قال هرقل: كل ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، ولقى رجل أبا جهل ألد أعداء الرسول فسأله: يا أبا الحكم، ليس هنا غيرى وغيرك يسمع كلامنا، فخبرنى عن محمد صادق أم كاذب فقال أبو جهل: والله إن محمدا لصادق وما كذب محمد قط، وفى هذا يقول الله لرسوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام: 33) فشهد له بالصدق أعداؤه وأحباؤه، وقال النضر بن الحارث لقريش: قد كان محمد فيكم علما حدثا أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثا، وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر والله ما هو بساحر، فخلصة الصدق فى النبى صلوات الله وسلامه عليه كانت واضحة فى كل كلمة وفعل يقوم به الرسول ﷺ، فشعر بها جميع الناس التى حوله القريب منهم والبعيد والحبيب والعدو الجميع شهد له بأنه هو النبى الصادق الأمين.

أما الخصلة الثالثة: أمانته ﷺ كان الناس قبل البعثة يودعون أمانتهم

عنده لأمانته قال ابن إسحاق ما كان بمكة أحد عنده شيء يخاف عليه إلا وضعه عند محمد ﷺ لما يعلم من صدقة وأمانته، واختلف قريش في الجاهلية عند بناء الكعبة من يضع الحجر الأسود واتفقوا على أن يحكموا بينهم أول داخل عليهم فإذا محمد أول داخل قالوا: هذا محمد هذا الأمين قد رضيناه حكماً، وكانوا لما عرفوا من صدقه وأمانته يتحاكمون إليه في الجاهلية يفصل في خصوماتهم ويحسم منازعتهم ويرضون بحكمه وعدله ومن هذا يتجلى أن الصادق الأمين كان من أول نشأته على استعداد خلقى لأن يكرمه الله برسالته وكانت نفسه الطاهرة بما طبعت عليه من الكرم والفضائل أفضل منبت طيب لنمو الفضائل والكمالات، هذه الخصال الثلاث كانت هي الصفات التي نشأ عليها النبي ﷺ منذ بدايته وقبل بعثته.

أما بعد بعثته صلوات الله وسلامه عليه تجلت أخلاقه الكريمة ونفسه الفاضلة فيما احتمله في سبيل الدعوة من الشدائد والصعاب، فقام ﷺ في مكة يدعو إلى عبادة الله وحده وتنكيس الأوثان، وهو يتيم لا يعتمد في دعوته على مال أو جاه أو عصبية وهو وحيد يأخذ له أدنى الأقربين إليه، وليس له من دون الله ناصر ولا معين، وفي طريقه إلى الله ودعوة الناس إليه وضعوا أعدائه أمامه كل عقبة، وسدوا في وجه دعوته كل طريق، وآذوه ومن تبعه بكل أشكال وضروب العذاب والإيذاء وما كان هذا إلا يزيد به صلى الله عليه وسلم ثباتاً على إيمانه وتمسكاً بدعوته ولا يتسرب اليأس إلى قلبه ولا الفتور إلى عزيمته، حتى غلب الحق الباطل وأصبحت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، ونخرج من هذا النجاح والنصر بعد المشقة والتعب بعبرتان.

الحبرة الأولى: أنه صلوات الله عليه احتمل في دعوته إلى الله وإلى الحق كثيراً من الصعاب وصنوفاً من الأذى ورغم كل هذه الشدائد وهذا الإيذاء لم يضعف ذلك من عزيمته شيء أو يبسطه عن دعوته وكذلك الداعي إلى الحق يجب أن يوطن نفسه على احتمال المكاره، ويواصل السير في طريقه إلى تحقيق هدفه مهما لاقى من شدائد وإيذاء، ومن صور

الصعاب والإيذاء التي واجهها رسول الله ﷺ وهو في طريقه إلى الدعوة فكان أعداء الله إذا مر عليهم الرسول ﷺ استهزءوا به فكانوا يقولون سخرية منه: هذا بن أبي كبشة يكلم من السماء هذا غلام عبد المطلب يكلم من السماء، وكان عمه أبو لهب جارا له ويتعمد رمي القذر على بابه، فكان رسول الله ﷺ يلقي القذر ويقول يا بني عبد مناف، أي جوار هذا؟ وعقبة بن أبي معيط أخذ من فضلات الإبل وألقاها على رسول الله ﷺ وهو في صلاته ساجدا، ولم يقدر أحد من المسلمين أن يرميها عنه حتى جاءت بنته فاطمة فألقت الفضلات من على ظهره، وبينما كان يصلي في الكعبة إذ أقبل عقبة بن معيط ووضع ثوبه في عنقه، واشتد في خنقه حتى جاء أبو بكر فدفعه عنه وقال: أتقتلون رجلا يقول ربي الله؟ ومن كثرة الأذى الذي لقاه النبي الكريم بدأ التفكير في الفرار بدينه ودعوته، فهذه الصعاب زادت قوة وثبات ونشر الله دينه على يده ونصره على الكفار، وهكذا ما قام إلى الحق داع إلا وجد من أنصار الباطل من يخذله ويحاول إطفاء نور الحق الذي يدعو إليه، ولكن الإيمان القوى واليقين الثابت ينصر دائما الحق على الباطل.

العبرة الثانية: أن الفضل الأكبر في نجاح النبي ﷺ يرجع إلى أخلاقه وشمائله، لأنه أقام من صفاته براهين عدة على صدقه وأن ما يدعو إليه حق، وكان أعداؤه كلما أرادوا به مطعن وجدوا من ماضيه وحاضره وصفاته الكريمة ما ينفي طعنهم ويرد كيدهم حيث كانوا إذا افتروا كبير لهم على محمد فرية ردوا عليه هم أنفسهم بما عرفوه من صفاته الحميدة ﷺ، فالعبرة هنا أن حسن الخلق يجعل صاحبه منصورا دائما والتحلي بالأخلاق الحميدة التي كان عليها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قوة تدفع بصاحبها إلى مهابة الناس له واحترامهم، وذلك مما يساعده في تحقيق هدفه إلى الحق الذي يدعو إليه.

عبرة من هجرته ﷺ:

لما زادت قریش زیادة بالغة فی محاربة الرسول ﷺ وعرقلة دعوته

أصبحت مكة بلدة العذاب فأراد ﷺ أن يولى وجهه إلى بلد آمن غير مكة، وقوم غير قريش يأمن دعوته بجوارهم، فأخذ يعرض نفسه على القبائل في المواسم يكلم كبارهم ويقول: «لا أكره أحدا منكم على شيء وإنما أن تمنعوا عني من يؤذيني حتى أبلغ رسالات ربي»، وما كان جوابهم له إلا بالرفض وأقبح أنواع الرد، ولكن الله رؤوف رحيم جعل من العسر يسرا، فعرض الرسول صلوات الله عليه نفسه على نفر من الخزرج أتوا من يثرب لزيارة البيت الحرام فأسمعهم كلام الله ودعاهم إلى عبادته وحده فاستجابوا دعوته، واستشارهم في أن يهاجروا إليهم حتى يفتح طريقا للدعوة ويؤدي رسالة ربه فقالوا: يا رسول الله، دعنا حتى نرجع إلى عشائرننا ندعوهم إلى ما دعوتنا إليه، فعسى الله أن يجمعهم عليك، فإذا اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك، وموعذك الموسم القادم فبايعه في العام التالي نفر من أهل المدينة، وخرج من أهله وداره فخرج خفية يسير في طريق وعر مخوف ليس معه إلا صاحبه أبو بكر، ينتابه الحزن على فراق وطنه، والخوف من هؤلاء الأعداء المجدين في القضاء عليه، وسرعان ما أن فرج الله كربته، وشد بالأنصار والمهاجرين أزره وأشرق نور الحق على قلوبهم وفتحت السبل للدعوة مصداقا لقوله تعالى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} (التوبة: 32) والعبرة من تلك الهجرة المباركة أن الدعوة إذا كانت للحق وبالحق فإن اضطهادها يكون في الغالب من وسائل نشرها وإعلاء شأنها؛ لأن الداعي ما دام موقنا أنه على الحق لا يرجع عن دعوته، واضطهاده يحمله على إمعان النظر وتقليب وجهه في كل جهة، وهذا قد يوجد لنجاح دعوته أسبابا ووسائل ما كانت تتيسر لولا الشدة في محاربته والإسراف في إيذائه وكذلك أن الداعي كالفارس يتخير أطيب الأرض لنمو غرسه وإذا صادفته صخرة، لا يمنعه ذلك أن يتطلب الأرض الخصبة؛ لأنه موقن بجودة غرسه وطيب بذره، وأنه إذا وجد المنبت الطيب نما وأتى أكله كل حين بإذن ربه فالدعوة إلى الحق إذا صادفت قلوبا غلغا وآذانا صما لا يمنع ذلك الداعي أن يتلمس قلوبا غير هذه القلوب

والحق لا بد أن يظهر والخير لا يعدم نصيراً.

الموعظة السابعة في مواعظ السلف الصالح:

ونذكر من مواعظ السلف الصالح وأقوالهم الماثورة حتى نساعد الواعظ على جمع الأساليب الجيدة في الوعظ واختبار ما يتحدث فيه مع سامعيه.

فمن المأثور أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه مر على طائر واقع على شجرة فقال: طوبى لك يا طائر تطير فتقع على الشجرة وتأكل من التمر وليس عليك حساب ولا عقاب يا ليتني كنت مثلك، والله لوددت أني شجرة إلى جنب الطريق فمر على بعير فأخذني فلاكني ثم ازدرني ثم أخرجني بعرا ولم أك بشراً، وقدم عليه وفد من أهل اليمن فقراً عليهم القرآن فبكوا فقال أبو بكر: هكذا كنا حتى قست القلوب ثم قال: طوبى لمن مات في نأنة الإسلام (أي في بدئه حين كان ضعيفاً قبل أن تكثر أنصاره والداخلون فيه)، وقال لخالد بن الوليد حين وجهه لقتال أهل الردة: احرص على الموت توهب لك الحياة وقال: إياكم والعمل بالمعاصي وكفر النعمة، فقلما كفر قوم بنعمة ولم ينزعوا إلى التوبة إلا سلبوا عزهم وسلط عليهم عدوهم.

وروى الحسن عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: الناس طالبان طالب يطلب الدنيا فأرفضوها في نحره، فإنه ربما أدرك الذي طلب منها فهلك بما أصاب منها، وربما فاتته الذي طلب منها بما فاتته منها، وطالب يطلب الآخرة فإذا رأيتم طالب الآخرة فنافسوه وعنه أيضاً قال رضي الله عنه: أيها الناس إنه أتى على حين وأنا أحسب أن من قرأ القرآن إنما يريد الله وما عنده، ألا وقد خيل إلى أن أقوما يقرؤون القرآن يريدون به ما عند الناس، ألا فأريدوا الله بقراءتكم وأريده بأعمالكم، فإننا كنا نعرفكم إذا الوحي ينزل وإذا النبي ﷺ بين أظهرنا، فقد رفع الوحي وذهب النبي ﷺ فإنما أعرفكم بما أقول لكم ألا فمن أظهر لنا خيراً ظننا به خيراً، وأثنينا به

عليه ومن أظهر لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه اقدعوا هذه النفوس عن شهواتنا فإنها طلعه وإنكم لا تقدعوها تنزع بكم إلى شر غاية. إن هذا الحق ثقيل وىء وإن الباطل خفيف وىء، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة ورب نظرة زرعت شهوة ورب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا (ومعنى اقدعوا أى امنعوا، ومرىء أى محمود العاقبة ووبىء أى مهلك) وقال ابن عمر: لما حضرت الوفاة عمر غشى عليه فأخذت رأسه فوضعتها فى حجرى فقال:

ضع رأسى على الأرض لعل الله يرحمنى فمسح خديه بالتراب وقال: ويل لعمر إن لم يغفر له فقلت: وهل فخذى والأرض إلا سواء، يا أبتاه فقال: ضع رأسى بالأرض لا أم لك كما أمرك فإذا قضيت فاسرعوا بى حفرتى، وإنما هو خير تقدمونى إليه أو شر تضعونه عن رقابكم، ثم بكى فقليل له: ما يبكيك؟ قال: خبر السماء لا أدرى إلى جنة ينطلق بى أو إلى نار.

وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه يقول: "إنى لأكره أن يأتى على يوم لا أنظر فيه إلى عهد الله (يعنى المصحف) وكان رضى الله عنه حافظا وكان حجره لا يفارقه المصحف فقليل له فى ذلك فقال: إنه مبارك جاء به مبارك.

ودخل على بن أبى طالب كرم الله وجهه المقابر فقال: أما المنازل فقد سكنت وأما الأموال فقد قسمت، وأما الأزواج فقد نكحت فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟ ثم قال: والذى نفسى بيده لو أذن لهم فى الكلام لأخبروا أن خير الزاد التقوى ومن أقواله رضى الله عنه وكرم الله وجهه ولو أن الناس حين تنزل بهم النقم وتزول عنهم فزعوا إلى ربهم بصدق من نياتهم ووله من قلوبهم لرد عليهم كل شارد وأصلح لهم كل فاسد ومعنى الوله أى ذهاب العقل.

ولما ضربه ابن ملجم دخل كرم الله وجهه فنزله فاعترته غشية ثم

أفاق ودعا الحسن والحسين رضى الله عنهما فقال: "أوصيكما بتقوى الله والرغبة فى الآخرة، والزهد فى الدنيا ولا تأسفا على شئ فاتكما منها، أعملا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عوناً ثم دعا محمداً وقال له: اما سمعت ما أوصيت به أخويك ؟ قال: بلى، قال فإنى أوصيك به وعليك ببر أخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما، ولا تقطع أمرا دونهما ثم أقبل عليهما فقال: أوصيكما به خيرا فإنه أخوكما وابن أبيكما وأنتما تعلمان أن أبكما كان يحبه فأحباه ثم قال: يا بنى أوصيكم بتقوى الله فى الغيب والشهادة وكلمة الحق فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر والعدل فى الصديق والعدو والعدل فى النشاط والكسل والرضا عن الله فى الشدة والرخاء: يا بنى ما شر بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار بخير، وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار عافية يا بنى من أبصر عيب نفسه شغل عن غيب غيره ومن رضى بقسم الله لم يحزن على ما فاتته ومن سل سيف البغى قتل به ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيه ومن هتك حجاب أخيه انكشفت عورات بنيه، ومن نسى خطيئته استعظم خطيئة غيره ومن أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله ذل ومن تكبر على الناس ذل، ومن خالط الأندال احتقر، ومن جالس العلماء وقر، ومن يصاحب صاحب السوء لا يسلم ومن يصحب صاحباً صالحاً يغنم، ومن دخل مداخل السوء اتهم، ومن لا يملك نفسه ندم ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شئ عرف به، ومن كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار: يا بنى الأدب خير ميراث وحسن الخلق خير قرين: يا بنى العافية عشر أجزاء: تسعة منها فى الصمت إلا عند ذكر الله تعالى والواحدة فى ترك مجالسة السفهاء: يا بنى لا شرف أعلى من الإسلام ولا كرم أعلى من التقوى، ولا معقل أحرز من الورع ولا شفيح أنجح من التوبة لا لباس أجمل من العافية والحرص مفتاح التعب ومطية النصب التدبير قبل العمل يؤمنك من الندم بئس الزاد للمعاد العدوان على العباد فطوبى لمن أخلص لله علمه وعمله وحبه وبغضه وأخذه وتركه وكلامه وصمته وقوله وفعله".

وقال الحسن البصري: يا ابن آدم، بع دنياك بأخرتك تريحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا، يا ابن آدم إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه وإذا رأيتهم في الشر فلا تغتبطهم فيه، الثواء ههنا قليل والبقاء هناك طويل أمتكم آخر الأمم، وأنتم آخر أمتكم، وقد أسرع بخياركم فماذا تنتظرون؟ المعاينة فكأن قد، هيهات هيهات ذهبت الدنيا بحال بالها، وبقيت الأعمال قلائد في أعناق بن آدم فيا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة أما أنه والله لا أمة بعد أمتكم ولا نبي بعد نبيكم، ولا كتاب بعد كتابكم أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم وإنما ينتظر بأولكم أن يلحقه آخركم، من رأى محمدا ﷺ فقد رآه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة رفع له علم فشمر إليه فالوجاء الوحاء والبهاء البهاء علام تعرجون؟ أتيتم ورب الكعبة، قد أسرع بخياركم وأنت كل يوم تنظرون، إن الله تبارك وتعالى بعث محمدا ﷺ على علم منه اختاره لنفسه وبعثه برسالته، وأنزل عليه كتابه وكان صفوته من خلقه ورسوله إلى عباده، ثم وضعه من الدنيا موضعا ينظر إليه أهل الأرض وآتاه منها قوتا وبلغة ثم قال: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، فرغب أقوام عن عيشه وسخطوا ما رضى له ربه فأبعدهم وسحقهم، يا ابن آدم، طأ الأرض بقدمك فإنها عن قليل قبرك، واعلم أنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك، رحم الله رجلا نظر فتكفر وتفكر فاعتبر فابصر فصبر فقد أبصر أقوام ولم يصبروا فذهب الجزع بقلوبهم ولم يدركوا ما طلبوا ولم يرجعوا إلى ما فارقوا: يا ابن آدم اذكر قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا.

عدل والله عليك من جعلك حسيب على نفسك خذوا صفا الدنيا وادروا كدرها، فليس الصفو ما عاد كدرا، ولا الكدر ما عاد صفوا دعوا ما يريبكم إلى ما لا يريبكم ظهر الجفاء وقلت العلماء، وعفت السنة وشاعت البدعة، لقد صحبت أقواما ما كانت صحبتهم إلا قرة العين وجلاء

الصدور ولقد رأيت أقواما كانوا لحسانتهم أشفق من أن ترد عليهم منكم من سيئاتكم أن تعذبوا عليها، وكانوا فيما أحل الله لهم من الدنيا أزهد منكم فيما حرم الله عليكم منها ما لا أسمع حسيسا ولا أرى أنيسا؟ ذهب الناس وبقى النسناس لو تكاشفتكم ما تدافنتم تهاديتم الأطباق ولم تتهادوا النصائح قال ابن الخطاب: "رحم الله امرئ أهدى إلينا مساوينا". أعدوا الجواب فإنكم مسؤولون المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكنه أخذه عن ربه يا ابن آدم الإيمان ليس بالتحلى ولا بالتمنى ولكنه ما وقر في القلب وصدقة العمل.

وقال أبو الدرداء: كان الناس ورقا لا شوك فيه وهم اليوم شوك لا ورق فيه ودخل يوما على رجل يعود فقل: كيف تجدك. قال: افرق من الموت قال: فممن أصبت الخير كله؟ قال من الله قال: فلم تفرق عن لم تصب الخير كله إلا منه؟ وكان يقول: أبغض الناس إلى أن أظلمه من لا يستعين على بأحد إلا الله وكان يقول: من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها.

وروى أن الخليفة المنصور العباسي كان شديد الهيبة يخشاه الناس جميعا وأن الأوزاعي دخل عليه يوما فقال له: عظمى فقال: اعلم يا أمير المؤمنين أن الله هو الحق المبين، ومن كره الحق فقد كره الله يا أمير المؤمنين، إن الملك لا يدوم لمخلوق، وإنما الملك لله وحده، ولو كان يدوم لأحد لما وصل إليك، يا أمير المؤمنين، إن رسول الله دعا للقصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابيا وهو غير متعمد فقال لأعرابي: بأبى وأمى قد أحللتك، وما كنت لأفعل أبدا، يا أمير المؤمنين، إن خير الكرم عند الله التقوى ومن طلب العزة بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبها بمعصية الله وضعه وأذله فلما انتهى من عظته أمر له المنصور مال فاعتذر واستخفى من قبوله وقال: يا مولاي ما كنت لأبيع نصيحتي بعرض الدنيا فأحرم ثوابها، واقلل من نفعها، وما دام أمير المؤمنين قائما فينا بالعدل فنحن في خير الله ثم في خيره.

قال الفضل بن الربيع: حج هارون الرشيد فبينما أنا نائم إذ سمعت

قرع الباب فقلت: من هذا ؟ فقال: أجب أمير المؤمنين فخرجت مسرعا فإذا أنه به أمير المؤمنين، فقلت: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أيتك فقال: ويحك قد حاك في نفسي شئ لا يخرج إلا عالم أنظر لى رجلا أسأله فقلت: ها هنا الفضيل من عياض فقال: امضى بنا إليه فأتيناه وإذا هو قائم في غرفته يتلو آية من الكتاب الله ويردها فقرعت الباب فقال: من هذا ؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين فقال: مالى ولأمر المؤمنين فقلت سبحان الله أما عليك طاعته ؟ فقال: أو ليس قد روى عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس للمؤمن أن يذل نفسه» ثم نزل ففتح الباب، ثم ارتقى الغرفة فأطفأ السراج، ثم التجأ إلى زاوية من زوايا الغرفة فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كف الرشيد كفى إليه: أواه من كف ما ألينها إن نجت من عذاب الله تعالى: قال: فقلت في نفسي: ليكلمته الليلة بكلام تقى من قلب تقى فقال: جد لنا ما جئنا به يرحمك الله قال: وفيم جئت ؟ حملت على نفسك وجميع من معك حملوا عليك حتى لو سألتهم عند انكشاف الغطاء عنك وعنهم أن يحملوا عنك شقفا من ذنب ما فعلوا وكان أشدهم حبا لك أشدهم هربا منك ثم قال: إن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا على، فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة فقال سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن إفطارك فيها الموت وقال محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله غدا فليكن كبير المسلمين لك ابا، وأوسطهم عندك أخا وأصغرهم ولدا فبر أباك وأرحم أخاك وتحنن على ولدك، وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة من عذاب الله غدا فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكرهه لنفسك، وإني لأقول لك هذا وإني لأخاف عليك أشد الخوف يوم تنزل الأقدام فهل معك يرحمك الله مثل هؤلاء القوم من يأمر بك بمثل هذا، فبكى هارون بكاء شديدا حتى غش عليه فقلت: أرفق بأمر المؤمنين فقال: يابن أم الربيع، قتلته أنت وأصحابك وأرفق به وأنا، ثم أفاق هارون الرشيد: فقال: زدنى فقال: يا أمير المؤمنين، إن العباس عم الرسول ﷺ

جاءه فقال: يا رسول الله، أمرني على إمارة فقال له النبي ﷺ: «يا عباس عم النبي نفس تحييها خير من إمارة لا تحييها، إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تكون أميرا فافعل» فبكى هارون بكاء شديدا ثم قال: زدني يرحمك الله قال: يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله تعالى عن هذا الخلق يوم القيامة فإن استطعت أن تقى هذا الوجه من النار فافعل، وإياك أن تصبح وتمسى وفي قلبك غش لرعيتك فإن النبي ﷺ قال: «من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة» فبكى هارون ثم قال: عليك دين ؟ قال: نعم دين لربي لم يحاسبني عليه فالويل لي إن سألتني، والويل لي إن ناقشني والويل لي إن لم يلهمني حجتى قال: إنما أعنى دين العباد، قال: إن ربي لم يأمرني بهذا وأمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مَزْجًا وَمَا أَرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات: 56) فقال له: هذه ألف دينار فأنفقها على عيالك وتقوى بها على عبادة ربك فقال: سبحان الله، أنا أدلك على النجاة وتكافئني بمثل هذا سلمك الله، ووفقك، ثم صحت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فقال هارون الرشيد: هذا سيد المسلمين اليوم.

ما يجب أن يراعى في وضع الخطب المنبرية

لابد للخطب المنبرية أن تلمس مواضع الداء في المجتمع وخاصة المواضع الدينية في العبادات المشروعة المفروضة على كل مسلم: وتصحيح الخطأ في أذهان السامعين فالغرض من الخطابة الدينية دعوة الناس إلى الهدى ودين الحق وإحياء الفضيلة وإماتة الرذيلة وإصلاح فساد القلوب وتطهيرها من الأمراض، والخطب المجملّة لا تقيد الجمهور شيئاً؛ لأنها لم تلمس موضع الداء ولم تهتد إلى الدواء فمثل من يقول: إن المعاصي تزيل النعم، وإن التعلق بالدنيا مبعث من الله وقد استحق الناس العذاب لظهور الفساد في البر والبحر، ولو استقامنا ما انتقمنا، مال المساجد خربت وبيوت اللهو والفسوق عمرت مال القلوب قست مال العيون لا تبكي ومال النفوس لا تتألم قد انتهكتم الحرمات وتعدّيتم الحدود وأغضبتم الجبار، فإننا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله. وهكذا من مجمل القول.

ويجب على الخطيب الديني أن يتكلم على الموضوع الخاص ويحلله تحليلًا دينيًا خلقيًا اجتماعيًا فيتكلم مثلاً على قتل النفس ظلماً، مبيناً ما فيه من الأضرار الاجتماعية والمادية كتولد الأحقاد والضغائن، وبقائها بين الأسر، وتربص الدوائر من كل منها بالأخرى وانتقال ذلك الشر من الأصول إلى الفروع، وكالإخلال بالأمن والراحة، وتوضيح عقاب هذه الجناية الإثيمة وهو الإعدام، وإتلاف الأموال وضياع الأولاد فضلاً عن غضب الله ومقته ذاكرًا الآيات والأحاديث الواردة في التحذير من جناية القتل، ويقبح جريمة الانتحار مبيناً أنه نتيجة للسفاهة وقلة الإيمان وعدم الثقة بالله وأن المنتحر قد باء بإثمه ولقى الله وهو عليه غضبان تاركاً ورائه الخزي والعار وسوء الذكرى ثم يأتي بما يناسب المقام محذراً من هذه البدعة السيئة غاية التحذير.

وكذلك إذا خطب في كبيرة الزنا فيذكر أضراره البدنية والخلقية، والمالية والاجتماعية من اختلاط الأنساب وتمزيق الوحدة، وأن زوج

الزانية يضيع ماله على أولاد الأجانب، وأن الزانية والزاني قد هتكا حرمة الزوج واعتديا على حقه الشرعي وهتكا حرمة الأسرة، وسجلا عليه عارا لا يمحي ويسير على هذا النهج في كل خطبه الدينية ويخص كل خطبة بموضوع خاص بها، ويعطى الموضوع حقه في التوضيح للسامعين مع ذكر الآيات والأحاديث اللازمة لتأكيد كلامه.

ويعلم الخطيب الديني أن أفضل الخطب الدينية ما كان مطابقا لمقتضى الحال ملائما لما تدعو إليه حاجة السامعين وقد جرت عادة الخطباء بالتزام صورة واحدة في الخطبة الثانية للجمعة سموها خطبة النعت وتلك عادة غير معروفة عن السلف الصالح فهي محدثة وغير لائقة بهذا الموقف العظيم الأسبوعي بل اللائق به العناية بالخطبة الثانية كأولى وباب الإرشاد واسع وميدانه فسيح وللناس حاجة إلى الإصلاح من وجوه مختلفة فلا يصعب على الخطيب أن يستحضر للخطبة الثانية كل أسبوع من الآيات والأحاديث أو الآثار أو الحكم البالغة ما يناسب موضوع الخطبة الأولى ولذلك سنختم هذا الكتاب ببعض نماذج الخطب المنبرية لتكون مقياسا للخطباء والواعظين في طريقتهم وأساليبهم في دروسهم وخطبهم للسامعين ونسأل الله العفو والعافية وبالله التوفيق:

النموذج الأول:

أحمد اللهم حمد من أخلص النية لوجهك الكريم، وأشكرك شكر من أطاعك لذاتك، وابتغاء رضوانك العميم، وأشهد أن لا إله إلا الله تفرد بالعزة والسلطان، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله بعثه الله رحمة للإنسان صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأطهار وصحبه الطيبين الأخيار قال الله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (النور: 55).

هذا ما وعد الله الصادق ولن يخلف الله وعده، أمور ثلاثة أيها المؤمنون هي أسمى ما يتصوره الإنسان جعلها الله جزاء العمل الصالح المنبعث عن الإيمان: استخلاف العاملين في الأرض وتمكين دينهم الذي ارتضى لهم وتبديلهم بعد الخوف أمناء وطمانينة والاستخلاف في الأرض خلافة عن الله في عمارة الكون وتوزيع العدل والإحسان بين عبادِهِ، وهو يعتمد على القوة وشمول السلطان ونفاذ الكلمة وهو مطلب تتقانى الأمم في سبيله، وتضحى بأبنائها وأموالها ابتغاء الوصول إليه، وما استقامت عقيدة، لا استقر سلطان، ولا شعرت أمة بالعزة إلا إذا حمتها القوة وبسطت عليها أجنتها، وهذه المثل قائمة وشواهد الماضي حاضرة في ذهن ماثلة وتمكين الدين والعقيدة نعمة عظيمة ومقصد رفيع يتبعه استقرار النفوس وراحة الضمائر، والشعور بالعزة والكرامة ليس أشهى إلى النفس ولا أمتع للقلب، ولا أهنأ للروح من أن يرى الإنسان أن عقيدته صاحبة السلطان والنفوذ في النفوس ونفوس الناس أجمعين، والأمن بعد الخوف أعز مطلب للفرد والجماعة، وللخوف آثار تفسد العقل وتذهب بالتفكير وتجعل العيش مريراً والحياة مضطربة، وما أحلى الأمن يستقر بعد الفرق وما أعذبه يتدفق بعد القلق عندئذ يندفع الإنسان نحو العمل صافى القلب متجهاً إلى الله ملتئماً بالخير والنفع للعباد وليس الإيمان أيها المؤمنون تصورات تتخيلها العقول وتجري عباراتها على اللسان وإنما هو عقيدة تملأ القلب وتتبعها آثارها: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات: 15) ومن آثار العقيدة الدفاع عنها بالنفس والاستهانة في سبيل نشرها بالمال، ومن آثارها العمل الصالح وليس العمل الصالح مجرد صلاة تؤدي بالحركات أو صيام يؤدي بالحرمان من اللذات أو ذكر يجري باللسان ألفاظاً ميتة خالية من خشية والرغبة إنما العمل الصالح ما اشتمل على روح الإسعاد من إخلاص لله ومحبة لخير الفرد والجماعة وأداء للحقوق كاملة لله ولعباد الله: ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (البينة) إن أعلى العمل

الصالح منزلة عند الله فضائل الأخلاق: من الوفاء بالعهد والصدق في القول والشجاعة في الحق والصبر على احتمال المكاره والعدل مع الأفراد بأداء حقوقهم، وحب السعادة لهم وإرشادهم إلى الخير ومعاونتهم فيه ومن العمل الصالح إطاعة الفرد لما تفرضه الجماعة وما يفرضه الحاكم. مما ليس فيه معصية للخالق، ومن العمل الصالح للحاكم توفيره الخير للرعية والدأب والسهر على مصالحها وحياتها من الانزلاق في الشرور والتهاون في الدين، وإن قوام العمل الصالح مهما تعددت شعبه، العدل وهو مطلوب من الحكام ومطلوب من الرعية والعدل هو اتباع السنن الإلهية والأوامر الدينية، والنواميس الوضعية التي لا تتنافى والدين. إن الأمة الصالحة التي تستحق الخلافة أيها المؤمنون كما يجب أن تقوم على العدل، يجب أيضا أن تؤدي للأرض حقها من عمران، وأن تستخرج ما فيها وما حولها من قوى ومنافع لتحقيق الإرادة الإلهية من خلف تلك القوى وتسخيرها لمنفعة الإنسان: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: 34) عباد الله: لا تسعد أمة تتفرق أهواءها وتصبح شيعة وأحزابا، رائدها الهوى وقائدها المصالح الخاصة لا تسعد أمة لا تعتصم بحبل الله المتين، ولا تعتبر بسير الداهيين الأولين لا تسعد أمة تحتكم إلى الشهوات وتتعمى عن الآيات وتدع النذر وتعمى عن العبر، لا تسعد أمة تنبذ تعاليم الدين وراء ظهورها، وتزدرى بالأخلاق الفاضلة حبا في الاستمتاع بالشهوات وما في الحياة من لذات لا تسعد أمة ينغمس أمراؤها وأغنياؤها في الترف ويستعذبون الراحة ويأفنون العمل. ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء: 16).

أيها المؤمنون نحن بين أمرين إما أن نستضيء بنور العقل ونهتدى

بهدي الشرع فنصير في الدنيا إلى عزة نعلو بها في أجواز الفضاء ونخترق بها أطباق الأرض ثم في الآخرة إلى جنة عرضها السموات والأرض إلى مغفرة الله ورضوانه، وإما أن نعمى عن هدى الله ونغمض عما حل بالأمم السابقة أعيينا، ونغلى مراحل الشهوات فيما بيننا فتأكل نيران الأحقاد قلوبنا فنصير في الدنيا إلى ذلة وضعة، ثم في الآخرة إلى نار وقودها الناس والحجارة إلى خزي من الله وخذلان: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (الإسراء: 19).

وقانا الله عذاب النار وسوء المصير وقادنا إلى الخير وحسن العاقبة وهدانا إلى ما يرضيه ويقربنا من عفوه ورحمته روى البخارى عن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار».

النموذج الثاني:

الحمد لله شرع الدين هداية للمؤمنين، ووفق من شاء للتمسك به والتحلى بآدابه، فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم، وأشهد أن لا إله إلا الله كتب رحمته للمتقين، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله المبعوث رحمة للعالمين اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه والحافظين لحدود الله.

أما بعد :

فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: 5].

أيها الناس، الدين يأمرنا بتوحيد الله تعالى وإخلاص العبادة والخضوع له، واعتقاد أن واجد الوجود إله واحد قادر مريد عليم حكيم سميع بصير

متصف بكل كمال منزّه عن كل نقص أبدع الكائنات بقدرته ودبرها بحكمته وعلمه، فهو الذى يحيى ويميت والذى يعطى ويمنع والذى يضر وينفع ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل، هذا هو الاعتقاد الحق الذى يخرج النفس من ظلمة الجهل ويرفعها من وهدة الشرك، ويظهرها من دنس الخرافات والأوهام، فلا تنحط إلى عبادة جماد أو إنسان أو حيوان ولا تخضع إلا لمن له غاية العظمة ونهاية الأنعام: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} والدين بعد ذلك قد فرض على الناس عبادات كلها ذو أثر حسن فى إصلاح القلوب وتهذيب النفوس، فرض الصلاة خمساً فى اليوم والليلة، وجعل مفتاحها الطهارة للبدن والثوب والمكان، فيقف العبد فيها فارغاً من الشواغل موجهاً قلبه إلى مولاه نظيف الظاهر طاهر الباطن يناجى ربه ويثنى عليه بما هو أهله، خائفاً من عذابه طامعاً فى رحمته طالباً منه العون والهداية فيؤثر فى نفسه ويعوده مراقبة الله وخشيته، فيجتنب ما يغضب مولاه ويمتنع عما حرم الله عليه: {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} [العنكبوت: 45]، وفرض الزكاة فى أموال الأغنياء سداً لحاجة الفقراء وتيسيراً لأبناء السبيل وعوناً على المصالح العامة كذلك تغرس فى المؤمن فضيلة السخاء وتطهر نفسه من رذيلة الشح، وتخرج الأضغان من قلوب اليائسين وحقدهم على الأغنياء المترفين، وتملأ قلوبهم بمحبتهم وتمنعهم من الإساءة إليهم وبذلك يسود الأمن، وبذلك تكون الألفة والإخاء، قال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة: 103].

والصيام فرض ليربى فى الإنسان فضيلة الصدق والوفاء والصبر عند الشدائد وقوة الإرادة وضبط النفس عند هيجان الشهوة والعفة والقناعة والأمانة والعطف على الجائعين، ويعرفه مقدار النعمة ليشكر مولاه على التفضل بها {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}

[البقرة: 185].

وأما الحج فالناس فيه أشبه بالموتى يفارقون أموالهم ووعيلهم وينتقلون إلى غير ديارهم متجردين عن زينة الحياة الدنيا ليس على الواحد منهم إلا إزار ورداء، والكل خاضع لعظمة الله تعالى خاشع لجلاله لا فرق بين صغير وكبير غنى وفقير، هنالك تتطامن النفوس وتعلم أن زخرف الحياة باطل، وهناك تشعر بالتواضع والمساواة، وإنه لا يليق الإستعلاء والاستكبار بجاه ولا مال وأن الناس كلهم لآدم وآدم من تراب: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 12].

كذلك الدين حرم ما يفضي الناس إلى الفناء ويوقع بهم العداوة والبغضاء أو يفسد العقل ويحط من كرامة المرء ويذهب بحيائه وماله كالقتل والزنا والقذف وشرب الخمر والمقامرة والربا وأكل مال الناس بالباطل والغيبة والنميمة والخيانة والغدر والضغينة والحسد وكل ما فيه إيذاء للناس، قال ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».

أيها الناس، الاعتصام بالدين يهذب النفس ويطهرها من الرذيلة وسوء الخلق، ويظهر أثر ذلك في المعاشرة والمعاملة فمن كان متمسكاً بدينه واقفاً عند حدوده حسنت معاشرته واعتدلت معاملته فيبر والديه وأقاربه ويواسى إخوانه، ويقوم بحقوق أهله ويهذب أخلاق أولاده لا يؤذى جاراً ولا أحداً في نفس أو مال أو عرض ولا يكون لعانا ولا سبباً، والمسلم المتدين لا يغش إذا باع أو اشترى ولا ينقص مكيالاً ولا ميزان ولا يكذب إذا حدث ولا يخلف إذا وعد ولا يخون إذا أؤتمن، ويقول في الخطبة الثانية بعد الأركان: أيها الناس، اعلموا أنه لا ينفعنا في دنيانا وآخرتنا إلا الاستقامة وصالح العمل مع صدق الإيمان، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97].

وفى الحديث القدسي عن رب العزة: «ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف أجود برحمتي على من بخل بطاعتي» فالذين يهملون طاعة الله تعالى اتكالا على كرمه وسعة رحمته قد لعب الشيطان بعقولهم وعزهم بالله نعم إنه كريم واسع الرحمة، ولكنه حكيم جعل كرمه ورحمته لمن امتثل الأوامر واجتنب النواهي، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: 156].

النموذج الثالث:

الحمد لله الذي أمر بالإحسان ونهى عن الامتنان الكريم الذي جازى الإحسان بالإحسان، لا إله إلا هو أرحم الراحمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ذو فضل على العالمين، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله إمام المحسنين وملجأ البائسين اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وأصحابه الرحماء المخلصين أما بعد..

فقد قال الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: 77)، أيها الأغنياء، إذا كان الله تعالى قد تفضل عليكم ورزقكم من الطيبات وأغناكم عن الحاجة، وصان وجوهكم عن مذلة السؤال فقد وجب عليكم أن تشكروه تعالى على ما منحكم وأولاكم وأعزكم وأغناكم وبذلك يحفظ عليكم نعمتكم ويتفضل عليكم بالمزيد منها والبركة فيها ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم: 7) وليس الشكر قولا بالسان وإنما الشكر امتثال أوامر الله بالطاعة، والإحسان إلى البؤساء الذين أصابتهم شدة والفقراء المحتاجين من أرباب العيال ومن القسوة أن تمنعوا المعونة وتقبضوا أيديكم شحا وبخلا، والشدائد تميت البائسين والضيق يقتل إخوانكم المحتاجين أمن الرحمة أن تكونوا في رغد من العيش، وسعة من الرزق ومن أضنى عليهم الزمان في شدة من الضيق وألم من الإعسار أمن

المروءة أن تتمتعوا بأصناف الغذاء وأخوكم المسلم يتألم من الجوع في الصباح والمساء ؟ أمن المروءة أن تتمتعوا بملابس الزينة وإخوانكم في الإنسانية يحرقهم الصيف ويقرصهم برد الشتاء؟ اللهم إن الغنى الذى لا يحس بأن عليه للبؤساء والفقراء حقوقا وواجبات لقاسى القلب خالى من الشفقة بعيد من رحمة الله **{إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ}**، أيها الناس إن الله عزت وقدرته وجلت حكمته قد وعد من أنفق شيئا فى سبيل الله أن يخلفه عوضا إما عاجلا وإما آجلا فقال جل شأنه: **{وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}** (سبأ: 39) فليس البخل والإمساك بعد هذا الوعد الكريم إلا من ضعف الإيمان أو سوء الظن بالله الغنى الحميد إذا كان الله تعالى قد مدح الأنصار من الصحابة بأنهم كانوا يقدمون المهاجرين على أنفسهم فى كل شئ من أسباب المعاش ولو كانوا هم فى أشد الحاجة حيث قال عز وجل: **{وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}** (الحشر: 9) فإن لم تقدموا الغير على أنفسكم فاعطفوا على البائسين والمحتاجين ببعض ما يزيد عن حاجتكم وإن هذا لهين على من عنده أدنى رأفة ورحمة منكم إن هذا لهين يسير على من حفظه الله من رذيلة الشح: **{وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** (الحشر: 9) أيها الناس صنائع المعروف من علامة الإيمان وعلو الهمة وعنوان الشهمة، والمروءة وإنها تقى صاحبها مصارع السوء وتحفظه من المحن والبلايا وتجلب رضا الله وإحسانه لا تكلفكم الإنسانية الإحسان إلى اليسير ولا تطالبكم المروءة إلا بالشئ القليل فاصنعوا المعروف فى أهله ما استطعتم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ويقول فى الخطبة الثانية أيها الناس فينا من لا يئن لمتألم ولا يتوجع المستصرخ ولا يحن لبائس فتجردوا من العاطفة الإنسانية وحنان الأخاء الإسلامى وفقدوا الرابطة الدينية وقد قال الله تعالى: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}**، وقال ﷺ: **«المؤمنون كرجل واحد إذا اشتكى عينه اشتكى كله وإذا اشتكى رأسه اشتكى كله»** (رواه مسلم). فينا من يقع أمامه الحوادث ما يؤلم القلب ويدمى العيون فلا يتأثر ولا يلين، بل تجده كالصخرة الصماء: كالحجارة أو أشد قسوة والذى نشاهده من أمثال

هؤلاء قساة القلوب غلاظ الأكباد، دليل واضح على انحطاط نفوسهم
 وخبث أرواحهم المال مال الله، والفقراء عيال الله وأحب الخلق إلى الله
 أنفعهم لعياله، ومالك الملك وخالق الخلق قادر على أن ينزع عن الغنى
 لباس غناه ويعطى الفقير كل ما يرضيه من متاع الحياة، فاللهم أصلح
 أحوالنا وهبنا قلوبا رحيمة يا رحمن..

تم والحمد لله

الموضوع	
مقدمة.....	3
معنى الدعوة.....	4
الحاجة إلى الدعوة.....	7
الرسل ودعوتهم إلى الدين.....	10
هدى النبي ﷺ في نشر الدعوة.....	10
الأول: الحجج البالغة.....	10
الثاني: المبادئ الحكيمة.....	12
الثالث: الآداب الراقية.....	14
رابعاً: سياسته ﷺ.....	15
هدى النبي ﷺ في تربية أصحابه.....	19
كتاب النبي ﷺ إلى قيصر الروم.....	22
كتابه عليه الصلاة والسلام إلى النجاشي.....	24
كتابه عليه الصلاة والسلام إلى كسرى ملك الفرس.....	25
كتابه عليه الصلاة والسلام إلى المقوقس أمير مصر.....	25
كتابه عليه الصلاة والسلام إلى ملك البحرين.....	26
كتابه عليه الصلاة والسلام إلى ملكى عمان.....	27
أشهر الدعاة من السلف الصالح.....	30
الحسن البصرى.....	30
أبو إدريس الخولانى.....	33
عمر بن ذر بن عبد الله وابن السماك.....	33
سفيان الثورى.....	34
ابن الجوزى.....	34

38الوعظ والإرشاد
40القصاص في الإسلام
44آداب الدعاة وصفاتهم
44الصفة الأولى
45الصفة الثانية
46الصفة الثالثة
47الصفة الرابعة
48الصفة الخامسة
48الصفة السادسة
49الصفة السابعة
50الصفة الثامنة
50الصفة التاسعة
51الصفة العاشرة
52الصفة الحادية عشرة
53الصفة الثانية عشرة
53الصفة الثالثة عشرة
53الصفة الرابعة عشرة
58الداعى وآداب معاملة السامعين
60صفات يجتنبها الواعظين
64ألفاظ الوعظ وأسلوبه
69إعداد موضوع الموعظة
71ومن أقوال وحكم سيدنا على كرم الله وجهه
87ضرب الأمثال في العظة
91طرق الإرشاد

91	الترغيب.....
91	أولاً: الترغيب في جنس الطاعات.....
94	ثانياً: الترغيب في أنواع الطاعات.....
95	الترهيب.....
95	أولاً: ذكر آيات التحذير من المعاصي.....
98	ثانياً: حكايات الأنبياء والصالحين.....
100	ثالثاً: معرفتهم بعقوبة الذنوب في الدنيا.....
102	رابعاً: ذكر عقوبات كبائر الذنوب كالقتل والزنا وغيرها.....
105	بيان الخوف من الله وما ورد في فضله.....
105	معنى الخوف من الله.....
105	فضل الخوف من الله.....
106	ما يورث الخوف من الله.....
110	الخوف من سوء الخاتمة.....
112	خوف الأنبياء والملائكة والصالحين من الله.....
116	الأعمال الصالحة نجاة يوم القيامة.....
118	القرآن الكريم والدعوة إلى الله.....
121	الدرس الأول: الإيمان والكمالات البشرية.....
123	الأمر الأول: الإيمان وهو بأمور خمسة.....
126	الأمر الثاني: إعطاء المال لمستحقه.....
127	الأمر الثالث: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.....
127	الأمر الرابع: الوفاء بالعهد.....
127	الأمر الخامس: الثابت عند الشدائد.....
128	الدرس الثاني: حسن الخلق وصفات المؤمنين.....
132	الدرس الثالث: النهي عن الانشغال بالدنيا.....

134	الدرس الرابع: القرآن يهدى إلى الخير
138	نماذج من مواعظ العلماء والصالحين
138	الموعظة الأولى في الحث على الكسب الحلال
141	الموعظة الثانية في النفاق
144	الموعظة الثالثة في الحسد وآثاره في المجتمع
146	الأسباب الداعية إلى الحسد
148	الموعظة الرابعة في الغضب
149	درجات الغضب وحكمة وجوده في الإنسان
150	أسباب الغضب
151	علاج الغضب
152	الموعظة الخامسة في الاستقامة
154	آثار الاستقامة في صلاح الفرد والمجتمع
154	الطريق إلى الاستقامة
155	الموعظة السادسة في عبرة من أخلاق الرسول ﷺ
158	عبرة من هجرته ﷺ
159	الموعظة السابعة في مواعظ السلف الصالح
165	ما يجب أن يراعى في وضع الخطب المنبرية
166	النموذج الأول
168	النموذج الثاني
171	النموذج الثالث
173	الفهرس